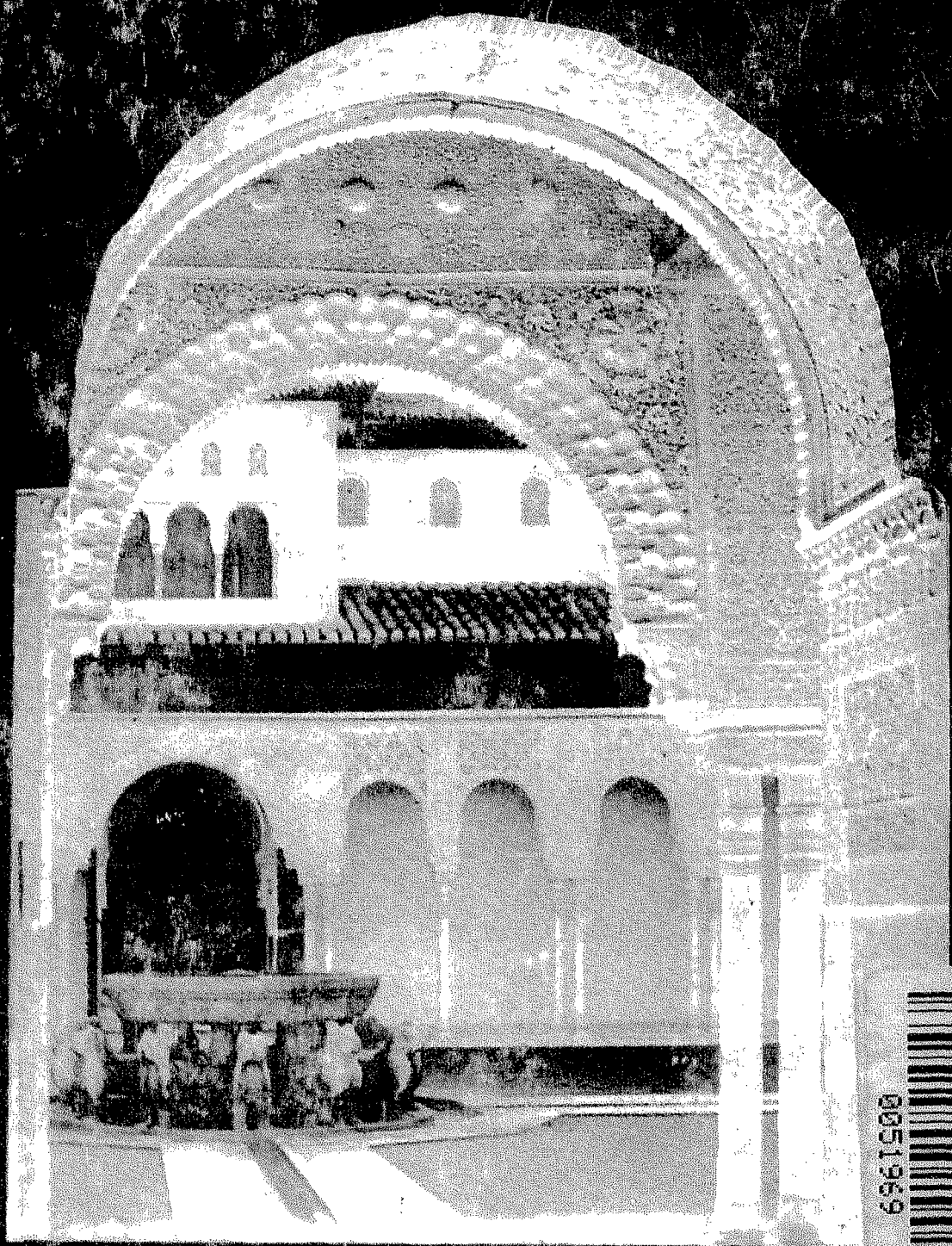


ريپورٹ دوزی

المسلمون في الأندلس



تعمیر

تعمیر د. حسن حبشی



0051989

Bibliotheca Alexandrina

المسألة في الأندلس

الجزء الثالث

تأليف

زينب كرم دوزي

ترجمة وتعليق وتقييم

د. حسن حبشي



الهيئة الوطنية للأرشيف والكتب

١٩٩٥

المقدمة

هذا الجزء هو ختام ترجمة ما وضعه رينهرت دوزى بالفرنسية عن تاريخ المسلمين فى الأندلس منذ دخولهم إياها حتى مجيء المرابطين لانقاذها من براثن أعدائها •

ونحمد الله ان وفقنا الى اتمام ترجمة هذا السفر التى كانت أملا طال عمره أجيالا ثم صار حقيقة •

وقد أضفنا الى الترجمة بعض الملاحق التى رأيناها ضرورية ، وكشافا كان لابد منه ليسهل على القارئ العثور على ما ينشده من الأماكن والأعلام والوقائع الى غير ذلك ، وقد ساعدنا فى اتمام هذا الكشف المهندس مروان حسن حبشى الذى رتبته على الكمبيوتر فله الشكر على ما بذل من جهد •

كما تداركنا النقص الذى يلحظه قارئ الأصل الفرنسى من اقتصاره على ذكر السنوات الميلادية فوضعنا ما يقابلها فى التاريخ الهجرى •
ونسأل القارئ الكريم أن يبصرنا بالنقص - حين يرى نقصا - فى الترجمة أو التعليق لتقويم ما اعوج •

والله من وراء القصد والسبيل • انه نعم المولى ونعم النصير •

حسن حبشى

القاهرة فى ٣ سبتمبر ١٩٩٤

الفصل الأول

الصراعات المحلية وظهور هشام الثاني

دعوى بنى حماد فى حقهم فى السيطرة • سرقسطة وطليطلة ودولة
بنى ذى النون • ابن جهور وقرطبة • الثورات المحلية • القاضى أبو القاسم
على فى أشبيلية • خلف الحصرى يدعى أنه هشام النانى وتأييد أهل
فلعة رباح له • استغلال ابن عباد هذا الادعاء لصالحه وسبب مسaire
ابن جهور لهذا الادعاء الكاذب • الزحف على قرمونة ومصرع صاحبها يحيى
الطاغية • النزاع بين ابن عباد وابن جهور حول حقيقة أمر المسمى بهشام •

اضطراب أهور حكام الأندلس

طلب ولايات اسبانيا الاسلامية - منذ زمن بعيد - وهي تسير أمورها بنفسها ولم يكن ذلك عن قصد وتدبير منها ، وكان الشعب كما فكر في المستقبل استولى عليه الفزع ، وإذا تذكر الماضى استبد به الأسى ، وعم شبه الجزيرة انحلال شامل لم يستفد منه الا أصحاب السلطة من البربر والصقالبة ، فنقاسم قادة البربر الجنوب فيما بينهم ، وآلت مفاليد الأمور فى الشرق الى الصقالبة ، أما بقية النواحي الأخرى فقد بناهبها جماعة من الطارئين الجدد وشرذمة قليون من الأسر الارستقراطية التى أتيج لها من الفرصة ما مكنها من مقاومة الضربات التى أنزلها عبد الرحمن الناصر والمنصور بن أبى عامر بالأشراف .

كان بنو حماد - فى الظاهر - زعماء رهط البربر فادعوا ان لهم حقوقا على جميع رحاب الاقليم العربى من شبه الجزيرة ، أما حقيقة الواقع فتتمثل فى انه لم يكن سوى مدينة مالقة وما حولها ، وكان لهم أتباع كان أقواهم ساعدا أميرا غرناطة : « زاوى » الذى رفع غرناطة الى منزلة العاصمة (١) ، وابن أخيه « حبوس » الذى خلفه .

زد على ذلك أنه كان هناك بعض الأمراء من البربر فى « قرمونة » و « مورة » و « رندة » ، كما كان بنو الأفطس - أصحاب بطليوس - ينتمون الى ذلك الجنس ذاته لكنهم استعربوا تماما ، حتى لقد ادعوا أنهم من أصل عربى ، ومن ثم شغلوا منزلة لم يشغلها أحد سواهم .

أما الفريق المعارض فكان من رجاله « خيران » أمير المرية ، و « زهير » الذى خلفه سنة ١٠٢٨ م [= ٤١١ هـ] ، و « مجاهد » أمير جزائر البليار ودانية ، وهو الذى فاق رجال زمنه فى غاراته البحرية ، وقد أكسبته حملاته على سردينية وسواحل ايطاليا شهرة فائقة ، كما نبه اسمه وذاع صيته لعطفه على الأدباء ورعايته إياهم .

كان الحكم فى بداية الأمر واقعا فى يد جماعة من الصقالبة ، حتى اذا كانت سنة ١٠٢١ م نودى بعبد العزيز حفيد المنصور ابن أبى عامر - ملكا عليها ، كما وفدت على سرقسطة أسرة عربية النبعة نبيلة المحتد هى أسرة بنى « هود » التى صار لها السلطان وآل إليها الحكم بعد موت المنذر [بن يحيى] سنة ١٠٣٩ م [= ٤٣١ هـ] .

ولن نمضى هنا في تعداد العدد الوفير من الولايات الصغيرة ، ولكننا نكتفى بالانسار الى مملكة طليطلة التى ظلت تحت حكم أحد الولاة واسمه « يعينى بن محمد بن يعينى » حتى سنة ١٠٣٦ [= ٤٢٨ هـ] ومنذ ذلك الحين انقل الأمر الى يد بنى ذى النون ، وهم أسرة بربرية قديمة ساهمت فى فتح اسبانيا ابان القرن الثامن الميلادى .

ولقد اجتمع وجوه أهل قرطبة - بعد زوال الخلافة عن بلدهم - وأجمعوا أمرهم على أن يسوقوا الأمر الى « ابن جهور » الذى طبق خبر كفايته الآفاق ، لكنه رفض فى بادىء الأمر قبول هذا المنصب ثم عاد فقبله ازاء الحاح القوم الشديد عليه مشترطا عليهم أن يشاركه فيه رجلان من أهل المجلس تربطهما بأسرته وشائج القرى ، وهما « محمد بن عباس » و « عبد العزيز بن حسن » ، فاستجاب المجتمعون الى ما طلب وان اتفقوا معه على ألا يكون لهذين الرجلين من الأمر سوى المشورة .

سار أول هؤلاء الثلاثة فى حكمه لهذه « الجمهورية » سيرة العقل والسداد ، ويرجع اليه الفضل فى انقطاع شكوى أهل قرطبة من وحشية البربر ، اذ استهل أعماله بصرف البربر عما بيدهم مستعيبضا عنهم بحرس وطنى ، ولم يستبق سوى بنى « يفرن » ثقه منه لطاعتهم له . وكان ظاهر ابن جهور يسير الى أخذه بنظام السورى أخذا مطلقا ، فاذا طلب أحد منه فضلا زعم أن ليس الأمر بيده بل من اختصاص مجلس المشورة ، وقال انه هو ذاته ليس أكثر من منفذ لما يوصى به هذا المجلس ، وكان اذا جاءت رسالة موجهة اليه هو نفسه أبى أن يتسلمها وأصر على وجوب بعثها الى المشيرين ، ولم يكن يقدم قط على أمر ما الا بعد أخذ رأى المجلس ، ولم يؤخذ عليه أبدا أنه ظهر بمظهر الحاكم فلم يعمد للسكن فى القصر الخليفى بل ظل مقيما فى بيته العادى الذى كان يقيم به من قبل ، لكن الواقع أنه كان مطلق السلطان فلم يحدث قط ان جرؤ المجلس على معارضته .

كذلك كان شديد الصلاح بالغ الدقة ، فلم يشأ أن تكون الخزينة العامة فى داره بل عهد بحراستها الى فريق من أعظم رجال البلد احتراما .

أجل . . . لقد كان شديد الحب للمال شرها فى جمعه ، لكن رعايته للصالح العام حالت بينه دائما وبين القيام بأى عمل قد يحط من كرامته ، وكان مقتصدا الى درجة التقصير ان لم نقل الشح ، فتضاعفت أمواله ، وغدى أثرى أهل قرطبة على الاطلاق ، لكنه عمد فى الوقت ذاته الى القيام بمحاولات محمودة الأثر لاستعادة الرضاء العام ، فوثق علاقاته الودية مع جميع الولايات المجاورة ، ونجح فى هذا السبيل الى أقصى غاياته ، فوجدت التجارة والصناعة - بعد فترة وجيزة - من الطمأنينة ما كانا

في ميسس الحاجة اليه ، كما انخفضت أسعار السلع ، ووفد على قرطبة جمع كثير من السكان الجدد أعادوا بناء بعض الأحياء التي دمرها البربر والتي كانوا قد حرقوها حين تخريبهم المدينة (٢) ، ومع ذلك كله فإنه لم تتح الفرصة لعاصمة الخلافة القديمة أن تسترد عظمتها السياسية السالفة ، بل الظاهر أن دور الصدارة آل منذ ذلك الحين إلى اشبيلية التي سنعي بنفصيل تاريخها .

لقد ارتبط مصير اشبيلية منذ زمن بعيد بمصير قرطبة ، ومن ثم مرت بنفس الدور الذي مر بالعاصمة فخضعت لحكام من البيت الأموي ، ثم لحكام من بني حمود ، غير أنه كان لنسوة قرطبة سنة ١٠٢٣ م [= ٤١٤ هـ] رد فعل في اشبيلية ، فقد تمرد سكان العاصمة على القاسم الحمودي وأخرجوه من بلدهم فالتمس له ملجأ باشبيلية التي كان بها ولده مع حامية من البربر بقيادة « محمد بن زيري » من قبيلة « ايفرن » ، ثم عمد بعدئذ إلى إصدار أمره إلى الاشبيليين بإخلاء ألف بيت لتنزل قواته بها ، فاستند استياء أهل اشبيلية وعظم تدمرهم منه ، لا سيما وأن جنود القاسم الحمودي - وهم أفقر أبناء جنسهم - كانوا معروفين بين الناس بالسمعة الشائنة وانهم من كبار اللصوص ، ولما أدرك الاشبيليون - من موقف قرطبة العاصمة - أنهم قادرون على التخلص من النير الذي يرسفون فيه فقد حاولوا أن يتهجوا نهجا جديدا ، لكن لم يصددهم عن السير في هذا الطريق إلا خوفهم من الحامية البربرية ، غير أن قاضي المدينة - وهو أبو القاسم محمد - وكان من أسرة بني عباد - وفق إلى استمالة قائد تلك الحامية مهونا عليه الاستيلاء على اشبيلية فبادر « محمد بن زيري » بالمجاهرة بالعصيان والوقوف إلى جانب « أبي القاسم » ، ومن ثم تم التحالف بين القاضي وبين قيادة قرمونة البربرية ، واذ ذلك نهض الاشبيليون وامتشقوا السلاح وانضمت اليهم حامية المدينة ، وحملوا على أولاد القاسم وأحرقوا بالقصر .

ولما وصل « القاسم » إلى اشبيلية وجدها قد أغلقت أبوابها في وجهه ، فحاول استمالة أهلها إليه ومناهم بالوعد الجمة الخلافة ، لكن ذهبت محاولاته هذه كلها أدراج الرياح ، وأدرك الخطر العظيم المحقق بولديه ، فاضطر للاتفاق مع الاشبيليين فيخلى لهم بلدهم لقاء أن يردوا عليه ولديه فاستجابوا لعرضه حتى إذا اطمأنوا إلى انسحابه اغتصموا أول بادرة سنحت لهم فطردوا الحامية البربرية (٣) .

حين استردت المدينة حريتها التأم شمل أربابها للنظر في إقامة حكومة لهم إلا أنهم لم يكونوا مطمئنين للخاتمة التي انتهت إليها ثورتهم ، فاستبد بهم الخوف من عودة « بني حمود » الغاضبين وحينذاك لن يقصروا

عن انزال العقاب الشديد بالمنتزعين ، ولم يجرؤ أحد من أهل البلد على تحمل مسئولية ما جرى ، فأجمعوا أن يلقوا النبعة على كاهل القاضى الذى كانوا يحسدونه على ثرائه الطائل ، وخامرتهم الفرحة وان أخفوها وتطلعوا الى اللحظة التى تتم فيها مصادرة الأموال الكبيرة التى عنده (٤) .

حينذاك عرضوا الحكم على القاضى الذى كان أحكم من أن يقبل عروضهم فى تلك اللحظة بالذات رغم ما جبل عليه من الطمع الشديد .

لم يكن القاضى أنيل المنبت رعم ثروته الطائلة التى بلغت ثلث أراضى اسبيلية ، الى جانب ما كان يتمتع به من احترام عظيم بفضل مواهبه وعلمه ، غير أن أسرته لم تكن قد بلغت ذؤابة الشرف الا منذ حين قريب ، وقد أدرك هو أنه لابد من أن يكون تحت امرته فريق كبير من الجند والا قام الأشراف الموتورون فى اسبيلية بالتمرد عليه وهو الدخيل عليهم ، المحدث بينهم مما لا يمكن انكاره ، والواقع أنه قد حدث فيما بعد ان قام بنو عباد - حين أوشكوا على التربع على عرش الحكم - فأرجعوا نسبهم الى ملوك لحم القدماء الذين تولوا الحكم بالحيرة قبل ظهور الاسلام ، واذ ذاك أخذ شعراء بلاطهم فى اهتبال كل فرصة للاشادة بهذا الأصل الزكى وان لم يكن هناك ما يؤيده على الاطلاق ، ولم يستطع بنو عباد - ولا متملقوهم - أن يقيموا البرهان على صحة ما يزعمون ، بل كان كل ما يربط الأسرة بملوك الحيرة القدماء هو انتماء الجماعتين الى قبيلة لحم اليمنية ، غير أن فرع تلك القبيلة - الذى زعموا انه قد خرج منه بنو عباد - لم ينزل الحيرة أبدا ، بل سكن العريش من تخوم مصر ، كما استقر بعضه فى كورة « حمص » من بلاد الشام (٥) ، ولم يستطع بنو عباد أن يرقوا بنسبهم حتى يلتقى بملوك الحيرة بل كل ما فى الأمر أنهم وصلوا به الى « أبى العطف نعيم » الذى كان قد وفد الى الأندلس برفقة « بليج » قائد جند حمص الذين نزلوا قرب اسبيلية ، ثم استقر أبو العطف فى قرية « يومين » من أعمال « طشانة » على شواطئ الوادى الكبير ، وقد ظهر من هذه الأسرة سبعة أجيال من الرجال الفضلاء المفنصدين المجدين الذين عملوا فى هدوء وأناة على اخراج الأسرة من ماضيها المظلم ، وكان اسماعيل - أبو قاضينا هذا - أول من رفع مكان أسرته ، وهو الذى خط لاسم بنى عباد سطرًا فى صفحة أشراف اسبيلية الذهبية (٦) .

ولقد جمع اسماعيل فى آن واحد بين الفقه والقضاء والسياف ، فقاد كتيبة من حرس هشام النانى ، ثم صار امام مسجد قرطبة الجامع ، ثم تولى قضاء اسبيلية ، وعرف بالمعيتة وحكمته وصواب رأيه وصرامته ، وقرن ذلك كله بالصلاح والنقوى ، فلم يحدث قط أن قبل هدية من

السلطان أو أحد من الوزراء رغم اضطراب البلد اذ ذاك بالفساد الشامل .
كذلك كان كريما الى حد الاسراف ، فوجد القرطبيون المنفيون عنده
كرم الضيافة ، فلا جرم ان هو استحق لكل تلك الخلال أن يلقب بأنبيل
رجال المغرب ، ثم مات سنة ١٠١٩ م [= ٤١١ هـ] أى قبيل الحقبة
التي نتكلم عنها بقليل (٧) .

ولعل ابنه القاسم كان ضريبه فى العلم وان لم يماثله فى المروءة ،
بل كانت تغلب عليه الأناثية ويتملكه الطمع ، ودل أول عمل له على الجحود
اذ ما كاد أبوه بموت حنى تطلع لولاية القضاء من بعده فى الوقت الذى كان
فيه هناك من ييزه ويفضله ، وقد نجح فى تولى هذا المنصب الذى كان
يتطلع اليه بفضل ندخل الأمير قاسم (٨) بن حمود اذ كان كاتبه ، وسنرى
كيف كان نغديره لهذه المنة عليه وكيف كانت مجازاته اياها .

لقد عرض أولو الحل والعقد حكومة أشبيلية على « أبى القاسم »
الذى أدرك الدوافع التى حركتهم للاقدام على ذلك العمل ، فأبدى تمنا
فى قبول هذا الشرف العظيم الا بعد أن يضموا اليه جماعة يختارهم هو
بنفسه ليكونوا وزراء ومشيريه حرصا على ألا يستبد بأى أمر وحده
وآلا يقطع أمرا دون رأيهم ، فقبل الأشبيليون طلبه ازاء اصراره هذا ،
ثم سألوه أن يسمي لهم أولئك الزملاء الذين يريدهم فسمى لهم طائفة
من أبرز الأسر أمال « الهوزنى » و « ابن حجاج » وغيرهما ممن يعدون
فى الواقع صنائعه ، أو ممن يميلون اليه أشباه « محمد بن يريم » من قبيلة
« ألهان » ، و « أبى بكر الزبيدى » اللغوى النابه الذكر مؤدب هشام (٩)
التانى .

ولما فرغ أبو القاسم من ذلك أخذ نفسه بتكوين جيش له انخرط
تحت لوائه فيه كثير من الجند العرب والبربر الذين تسارعوا الى صفه
بفضل أعطياته ، كما اشترى عددا وفيرا من العبيد ودرّبهم على فنون
الحرب (١٠) .

كذلك جرد حملة الى الشمال قادها بنفسه ، ومن المحتمل أن يكون
قد ساهم معه فيها بعض الأمراء ، وتمخضت هذه الحملة عن زيادة جيشه ،
اذ حاصر فى هذه المرة حصنين يقعان الى الشمال من « بازو » يواجه
أحدهما الآخر ويقومان على يفاع من الأرض ويفصلهما عن بعضهما أحد
الأخوار ، ويعرفان بحصنى « الأخوين » ، وهو اسم لا يزال باقيا الى اليوم
فى التسمية المعروفة باسم « الأفوين » (١١) وكان ينزلها جماعة من
النصارى الاسبان ممن عقد أسلافهم معاهدة مع القائد موسى بن نصير
حينما فتح « بازو » ، أما فى الوقت الذى نتكلم عنه فالظاهر أنهم لم
يكونوا يتبعون ملك ليون ولا أى أمير مسلم .

استولى القاضى [أبو القاسم] على هذين الحصنين وأرغم ثلاثمائة من المدافعين عنهما على العمل فى خدمته (١٣) ، فأصبح منذ ذلك الحين تحت امرته خمسمائة فارس ، وتوفر لديه عدد من الجند كان كافيا لشن الغارات على أراضى جيرانه (١٤) ، ومع ذلك كله لم يكن القاضى قد بلغ من القوة الدرجة التى تمكنه من الدفاع عن اشبيلية ضد أى هجوم جدى .

ولقد ثبت هذا للعيان سنة ١٠٢٧ م [= ٤١٨ هـ] حين قام الخليفة « يحيى بن على الحمودى » - أمير بربر قرمونة - ومحمد بن عبد الله بمحاصرة اشبيلية (١٥) التى كان أهلها أضعف من أن يقاوموا يحيى طويلا ، وما لبسوا أن شرعوا فى مفاوضته وأعلنوا استعدادهم للدخول فى طاعته على ألا يدخل البربر المدينة ، فقبل يحيى شروطهم ، لكنه طلب منهم أن يسلموه بعض أبنائهم رهينة عنده دليلا على اخلاصهم فى صدق دعواهم ، فلب الذعر فى المدينة من جراء هذا الطلب ، وأنكر كل أسبيلي على نفسه أن يسلم ابنه للبربر الذين قد يقتلونه لأدنى شبهة تحثك فى صدورهم ، أما القاضى فكان هو وحده الذى لم يتردد فى الاستجابة فأسلم ولده « عبادا » الى يحيى [بن على] الخليفة الذى كان يعرف ما يتمتع به ذلك القاضى من سعة النفوذ ، فلا عجب ان قنع يحيى [بن على] بهذه الرهينة المفردة .

أدى هذا العمل المنطوى على الاخلاص الى زيادة محبة القوم للقاضى الذى أمن منذ ذلك الحين جانب الأشراف والخليفة على السواء ، وكان القاضى قد اعترف فى الظاهر بسطان يحيى ، وتراى له أن الفرصة قد واتته للانفراد بالحكم .

كان القاضى قد صرف من مجلس المستورة بعض أنصاره كالحجاج والهوزنى ، ولم يبق معه سوى الزبيدى « وابن يريم » ، لكنه ما لبث أن صرفهما هما أيضا فنفى الزبيدى (١٦) ، وساق الحجابة الى رجل من أوساب ضواحي اشبيلية اسمه « حبيب » ، وهو رجل مثقل وان كان ذكيا نشيطا شديد النفاقى لما فيه خير مولاه (١٧) .

وطمع القاضى بعدئذ فى بسط رقعة أملاكه بالاستيلاء على « باجة » التى قاست العذاب فى القرن التاسع من جراء الفتنة بين العرب والعلوج ، والننى أصابها النهب والدمار فى الأيام الأخيرة على أيدي البربر الذين انسابوا فيها يسلبون ويحرقون كل ما يصادفهم ، فعزم القاضى على تجديدها ، غير أن خبر ذلك المنسوع تراسى الى سمع « عبد الله بن الأقطس » أمير بطليوس ، فأنفذ اليها الجند بقيادة ابنه محمد الذى خلفه وسمى « بالمظفر » .

لم يكده اسماعيل بن القاضى يقف أمام أسوار « باجة » على رأس جيش أسبيلية وجيش « قرمونة » الذى كان حليف أبيه حتى كان جند « المظفر » قد تم لهم الاستيلاء عليها ، فبادر اسماعيل فى لحظته بمحاصرتها وشرع هو وفرسانه فى نهب القرى الواقعة بين « يابرة » والساحل ، وعلى الرغم من النجدة التى تسلمها محمد بن الأفطس من « ابن طيفور » أمير « مرتلة » الا أنه كان عائر الجند فقد فقد أحسن محاربيه ووقع هو ذاته فى أبهى أعدائه الذين بعنوا به الى « قرمونة » .

قوى ساعد القاضى وحليفه بما أحرزا من الانتصارات ، فلم يعد الأمر قاصرا على شن الغارات على نواحي « بطليوس » بل تجاوزتها الى أرباض قرطبة التى اضطرت حكومتها الى اصطناع بربر شذونة ، لكن لم تنقض فترة وجيزة حتى عقد الصلح - أو الهدنة - مع بنى الأفطس ، وحسبذاك أطلق سراح محمد من أسره برضاء القاضى وتم ذلك فى مارس ١٠٣٠ م [= ٤٢٢ هـ] .

مضى أمر قرمونة وأفضى الى محمد [بن عبد الله بن الأفطس] بأنه قد أصبح حرا ، وأشار علمه بالانطلاق الى أشبيلية ليشكر القاضى الذى كان محمد شديد المقت له ، فأبى ، ورد على البربرى أنه يؤثر البقاء فى الأسر على الذهاب الى هذا الرجل وشكره ، فلم يشأ أمير قرمونة أن يجرحه فى شعوره ولم يلج عليه فيما طلبه منه ، بل بعث به الى بطليوس معظما التعظم اللائق به .

وبعد ذلك بأربع سنوات ، أعنى سنة ١٠٣٤ م [= ٤٢٦ هـ] انتقم عبد الله من الأفطس لنلك الاهانات التى لحقته انتقاما بعيدا عن الشرف ، اذ أذن للقاضى أن تسيّر جيوشه بقيادة ولده اسماعيل عبر بلاده وهى ماضية فى اغارتها على مملكة ليون ، بيد أن اسماعيل لم يكده يصل الى ممر عبر بعيد عن الحدود الليونية حتى فاجأه ابن الأفطس فهلك كثير من جند أشبيلية ، وقتل البعض منهم أثناء الفرار على يد الفرسان اللسويين ، ونجى اسماعيل فى طائفة ضئيلة من رجاله من تلك المذبحة ، كما صادفوا أشد أنواع الحرمان وهم ماضون شطر مدينة « لشبونة » الواقعة على الحدود الشمالية من ممتلكات أبيه .

أصبح القاضى منذ ذلك الحين ألد عدو لأمير بطليوس (١٨) ، لكن ليس بين أيدينا تفاصيل الوقائع التى جرت بينهما بعدئذ ، ولا شك أنه لم يكن لهذه الواقعة من نتائج هامة فى تاريخ اسبانيا الاسلامية أكثر مما كان لحادثة أخرى ذات وجه آخر سنتكلم عنها حالا .

لقد قلنا ان القاضى اعترف بسُلطان « يحيى بن على » الخليفة

الحمودى ، الا أنه كان اعترافا اسميا فقد استبد القاضى بالحكم فى أشبيلية دون أية رقابة عليه ، وكان يحيى أضعف من أن يحمله على مراعاة ما له من الحقوق عليه ، ثم أخذ هذا الوضع فى التغير بالتدريج ، اذ عمل يحيى على اجتذاب جميع زعماء البربر الى صفه ، وأصبح فى الواقع ضد ما كان عليه أولا ، اذ صار زعيم الحزب الافريقى بعد أن كان له من ذلك الاسم فقط ، ولما كان قد نصب معسكره العام فى « قرمونة » التى استنزل منها محمد بن عبد الله (١٩) فقد أخذ يهدد كلا من قرطبة وأنسبيلية على السواء (٢٠) .

أوحى سدة الخطر اذ ذاك الى القاضى بفكرة وطنية خطيرة لم يكن الطمع هو الباعث عليها ، ذلك أنه رأى ضرورة اتحاد العرب والصقالبة تحت قيادة زعيم واحد للحيلولة بين البربر - الذين توحدت صفوفهم - وبين معاودة فتح البلاد التى فقدوها ، وكانت هذه هى الطريقة الوحيدة المنبى للحفاظ على البلد وتجنب الأخطار التى قاساها من قبل .

كان القاضى يحس بضرورة تلك الوحدة فرغب فى تأليف عصابة كبرى تضم جميع خصوم الافريقيين ، وطمع فى الوقت ذاته أن يكون هو رئيسها ، وان كان يدرك أن هناك عقبات جمة تعترضه لابد له من بخطيها ، ذلك أنه كان يعرف أن كبار الصقالبة ووجوه العرب وأشرف قرطبة يرون فى توليته عليهم امتهانا لكرامتهم ومساسا بهم ، لكنه لم يدع أمثال هذه الاعتبارات تتغلب عليه مخافة أن يتسرب اليأس الى همته ، وكان يدرك أن الظروف أكبر معين له ، لذلك صمم أن يمضى قدما فى تحقيق مشروعه . وسنرى كيف تم له ذلك .



قلنا آنفا ان الخليفة المنكود - هشاما النانى - كان قد هرب من قصره زمن حكومة سلبمان ، وقلنا ان الدلائل تجمع على أنه مات فى آسيا مجهولا من الناس غير معروف لأحد ، الا أن الشعب كان شديد التعلق بالأسرة الأموية التى أتاحت له الرخاء والمجد ، فرفض أن يذهب مذهب القائلين بموت هذا الخليفة أو يصدق ما يشيعون ، بل أخذ يتلقف فى شره وشوق الاشاعات العجيبة المتعلقة بمصيره ، فظهر فريق من الناس حذفوا رواية التفاصيل الدقيقة عن رحلة هشام فى آسيا ، وزعموا فى بادىء الأمر انه سافر الى مكة حاملا معه كيسا من النقود والأحجار الكريمة ، غير أن حرسه السود اغتصبوه منه ، ففضى يومين وليلتين سويا لم تذق عيناه فيهما النوم ولا دخل طعام جوفه حتى قبض الله له أن يصادف خزانها رآه فاشفق عليه وسأله : « أنحسن عمل الطين يا فتى ؟ » فقال :

« نعم ! » ، فقال الخزاف « ان تعجنه وافقتك على درهم وقرصة » ، فقال له هشام : « عجل القرصة فاني جائع !! » .

وظل هشام مدة من الزمن يعمل عند الخزاف رغم عدم اتقانه الصنعة ، ثم ما لبث القلق أن تسرب الى نفسه ، وكان في غاية الفقر والاملاق ، فترك المكان وخرج حيث صادف قافلة كانت في طريقها الى فلسطين ، فانضم اليها ورافقها حتى بلغت بيت المقدس فاقام به ما شاء الله له أن يقيم هناك ، حتى جاء يوم كان يتجول فيه في طرقاتها فتوقف أمام دكان حصرى منهمك في عمله فسأله الحصرى : « كأنك تحسن هذه الصناعة » فقال : « لا » فقال الحصرى : « هل لك أن تقيم عندي تناولني الحلفاء وأجعل لك أجره على ذلك ؟ » فقبل هشام عرضه مسرورا ، وعمل حتى أتقن صناعة الحصر ، وانقضت عليه بضع سنوات وهو مقيم حيث هو ثم عاد بعدها الى اسبانيا (٢١) في مايو ١٠٣٣ م [= ٤٢٥ هـ] فذهب الى « مالقة » (٢٢) ثم مضى الى « المرية » عام ١٠٣٥ [٤٢٧ هـ] ، غير أن الأمير زهيراً ما لبث أن أخرجه من بلاده فمضى الى قلعة رباح وأقام فيها (٢٣) .

وعندنا أن هذه القصة التي آمن الشعب بها كل الايمان وصدقها العامة كل التصديق لا تصح في الأذهان مطلقا ، وأن حقيقة الأمر تتلخص في أنه في الوقت الذي كان يحيى يهدد فيه أشبيلية وقرطبة كان يوجد بقعة رباح حصرى اسمه « خلف » ، شديد الشبه بهشام ، وان لم يكن ثم ما يؤكد أنه هو الخليفة ذاته ، حتى ان الموالى الأمويين وفيهم المؤرخان ابن حزم وابن حيان ممن يهمهم الاعتراف بهشام المزعوم أنكروا أشد الانكار ما يقوله القوم وسموه بالخديعة الكبرى .

على أية حال استندت المطامع بخلف [الحصرى] حين أكثر الناس في أحاديثهم عن شدة شبهه بهشام الثاني ، كثرة أدت به الى أن يدعى أنه هو السلطان ، وصدقته أهل « قلعة رباح » لجهلهم جميعا أصله ، والأعجب من ذلك أنهم ولوه عليهم وثاروا على أميرهم « اسماعيل ابن ذى النون » أمير طليطلة الذي نهض اذ ذاك لحصارهم فلم يقاوموه طويلا ، واضطروا الى اخراج « هشام » المزعوم من بلدهم والعودة الى طاعة مولاهم القديم (٢٤) .

الا أن دور خلف لم ينته بل بدأ من جديد ، اذ ما كاد قاضي أشبيلية يسمع بخبر عودة هشام حتى شرع يفكر فيما قد يستطيع الانتفاع به من هذا الرجل لو أنه استقدمه الى أشبيلية ، ولم يكن يعنيه قيد شعرة أن يكون « خلف » هذا هو هشام الثاني نفسه أم غيره ، بل كان كل ما يرجوه أن يكون الشبه بينهما قويا جدا حتى لا يلقي هو عناء في

الزعم بأنه الخليفة الراحل ، واذ ذاك يسهل عليه تأليف عصابة باسمه لمقاومة البربر ، وهى العصابة التى يصبح القاضى عصبها ومحركها باعتبارها وزير الخليفة ، ومن ثم استدعى الدعى للاقامة فى أشبيلية ووعده بمساعدته ان ثبت ما يقوله من أنه هو هشام النانى .

لم يتوان الحصرى عن المبادرة بالذهاب الى أشبيلية حيث عرضه القاضى على حريم هشام ، ولما كن قد لقن ما سوف يقلنه فقد انعقد اجماعهن على أن هذا الرجل هو الخليفة السابق نفسه ، وحينذاك ركن القاضى الى شهادتهن وكتب الى مجلس المشورة بقرطبة والى شيوخ العرب وزعماء الصقالبة يعلن اليهم وجود هشام عنده ويدعوهم لامتناسق السيف تأييدا لحقه (٢٥) .

وآنت هذه الخطة خير النتائج فقد اعترف بهشام وسلطانه كل من محمد بن عبد الله أمير قرمونة المخلوع الذى ألقى عصا التسيار بأشبيلية (٢٦) وعبد العزيز أمير بلنسية و « مجاهد » أمير « دانية » والجزائر الشرقية وأمير طروشة (٢٧) .

واشتدت حماسة أهل قرطبة حين علموا بأن هشاما لا يزال حيا يرزق ، غير أن أميرهم أبا الحزم [جهور بن محمد] بن جهور لم يصدق ما زعمه القوم ، وكان حريصا على ألا يفلت الأمر من يديه فلم يخدع بما أرجف به الناس ، لكنه أدرك ألا قبل له بمقاومة ارادة الشعب ، ورأى ضرورة اتحاد العرب والصقالبة تحت رياسة أمير واحد ، لكنه خاف أن يعاود البربر مهاجمة قرطبة ، ومن ثم لم يعارض رغائب مواطنيه وسمح للقوم فى نوفمبر ١٠٣٥ م [= ٤٢٧ هـ] بتجديده البيعة لهشام (٢٨) .

فى هذه الأثناء كان الحزب العربى الصقلبى يدعو فى كل مكان الى حمل السلاح ضد يحيى الذى كان يحاصر اذ ذاك أشبيلية مخربا ما حولها ، والذى أجمع عزمه على انزال أشد الانتقام بهذا القاضى الداهية ، وكان يحيى فى محيط من الحونة اذ كان بربر قرمونة الذين حملهم على الانخراط تحت لوائه شديدى التعلق بأميرهم السابق فكاتبوه ، ثم عمد بعض أولئك البربر فى شهر أكتوبر ١٠٣٥ م [= ٤٢٧ هـ] الى التسلسل خفة الى أشبيلية فلما بلغوها أفضوا الى القاضى والى الأمير محمد بن عبد الله أنه من اليسير عليهما مباغثة الأمير يحيى لأنه لا يفيق من سكره ، وفى الحال عزم القاضى وحليفه على اغتنام هذه الفرصة حيث خرج اسماعيل ابن القاضى على رأس الجيش الاشبيلي وفى صحبته محمد بن عبد الله ، ولما أرخى الظلام سدوله بقى هو ومعظم جنده فى مخبأ بعيدين عن الأعين ، وأنفذ كتيبة للزحف على « قرمونة » مؤملا اخراج يحيى من القصر .

ونجحت خطة اسماعيل فقد كان يحيى منصرفا الى الشراب حين أخبروه بقدم الأنسبيليين ، وسرعان ما غادر مجلسه قائلا : « و ابيض بختي ٠٠٠ الليلة ابن عباد زائري » . ثم دعى رجاله لحمل السلاح فاستجاب القوم لأمره وما لبث أن خرج من المدينة مستصحبا ثلاثمائة فارس ، واشتدت به الحميا فكر بغتة على الأعداء دون أن يرتب صفوفه للقتال ، فلم يستتب الأشباح في الظلمة .

أدى هذا الهجوم الفجائي الى شيء من الاضطراب في صفوف الأشبيليين ، الا أنهم استبسوا في صده ، حتى اذا اضطروا الى الارتداد تقهقروا شطر الناحية الموجود بها اسماعيل ، واذا ذلك غطي الحين على بصر يحيى فقد انقض عليه اسماعيل بمن معه من نصارى « الأخوين » وقضوا على أعدائهم ، وكان يحيى نفسه بين القتلى ، وما كان لمعظم رجاله الا أن يشاطروه مصيره لو لم يحل محمد بن عبد الله دون ذلك فقد التمس من اسماعيل الابقاء على أولئك النساء قائلا له ان أغلبهم من بربر قرمونة الذين أكرهوا على العمل في خدمة ذلك الطاغية .

نزل اسماعيل على رجائه وأمر رجاله بالكف عن تتبعهم ، ولم يكده هذا الأمر يصدر حتى اعتلى محمد بن عبد الله صهوة جواده وخب به قاصدا قرمونة لاسترداد امارته ، فأراد سودان يحيى الذين استولوا على أبواب المدينة منعه من دخولها الا أنه استطاع بمعونة الأهالي من اقتحامها من عورة في السور ودخل قصر الأمير يحيى ، وأباح نساءه لأبنائه ، واستحوذ هو على جميع ما بالقصر من مال ومتاع ، وقد تم ذلك كله في نوفمبر ١٠٣٥ م [٤٢٧ هـ] .

طغت على قرطبة موجة من الفرح حين ذاع خبر هلاك يحيى ، كما سجد القاضي لله شكرا حين تناهى اليه هذا النبأ ، وفعل فعله جميع من كانوا حوله اذ ذلك ، اذ لم يعد ثم شيء يخنساءه الناس من جانب بنى حمود (٢٩) .

غير أن أهل مالقة استخلفوا عليهم ادريس أبا يحيى ، لكن الوقت كان أقصر من أن يمكنه من استمالة زعماء البربر اليه بالعطايا والعهود ، وعجز عن أن يخضع الجزيرة الخضراء التي بايع العبيد السود فيها أخاه محمدا بالخلافة (٣٠) ، فلما رأى القاضي أن الظروف مواتية له أراد أن يقيم هو وهشام الثاني المزعوم في القصر الخلفي بقرطبة لولا اصرار ابن جهور على ألا يدع الحكم له اذ نجح في اقناع مواطنيه بأن الخليفة المنصوب ليس الا دعيا أفاقا ، كما أبطل ذكر اسم الخليفة هشام الثاني من الصلاة العامة ، ومن ثم وجد القاضي أبواب المدينة مغلقة في وجهه حين بلغها ، واضطر للرجوع من حيث جاء لقلعة من تحت يده من الجند اللزام لاختضاع مثل هذه المدينة العظيمة (٣١) .

صمم القاضي اذ ذاك على قتال الأمير الصقلبي الوحيد الذي أبقى الاعتراف بهشام الثاني وهو « زهير » أمير المرية الذي كان أميل بطبيعة الحال الى ابن حمود ، وذلك بفضل الخليفة القاسم الذي أراد استمالة العامريين اليه فأقطعهم الاقطاعات الجمة ، فلما نودى بادريس خليفة بادر الى الاعتراف (٣٢) به زهير الذي لما رأى أنه مهدد بالخطر من ناحية القاضي حالف « حبوسا » الغرناطي ثم خف على رأس رجاله ورجال حليفه لصد الجيش الأشبيلي الزاحف عليه ، وأرغمه على الارتداد (٣٣) .

ومن الجلي أن القاضي قد أفرط في النقة بقواته ، وكان يخشى اللحظة التي تقوم فيها جيوش المرية وغرناطة هي الأخرى بدورها فتغزو مقاطعة أشبيلية .

ويشاء حسن طالعه ويمن نجمه أن تساعده المقادير التي كانت في خدمته على الدوام فخلصته من عدويه واحداً أثر الآخر .

الفصل الثامن

الصراع بين صمويل اليهودى وابن عباس

الكلام عن صمويل بن لطفى اليهودى وكفاءته . استقدمه للكتابة
بديوان جبوس فى غرناطة بعد موت الوزير أبى القاسم . ارتقاؤه الى
مرتبة الحجابة وثناء الناس عليه . صفات صمويل وخدماته لليهود .
ابن عباس وزير أمير المرية يفار منه ويحقد عليه . كراهية ابن عباس
للبربر . باديس بن جبوس يخلف أباه . ابن عباس يفسد ما بين غرناطة
والمرية ويرفض نصيحة بلجين البربرى فى اصلاح ذات البين . الحرب
بين غرناطة والمرية ووقوع ابن عباس فى أسر جبوس وسجنه ثم مقتله .
فرحة صمويل بزوال ابن عباس .

الصراع بين صمويل اليهودى وابن عباس

كانت مقاليد الأمور فى غرناطة والمرية أثناء الحقبة التى نتكلم عنها فى يد رجلين يتنازعان الشهرة ،، وان انطوى صدر كل منهما على المقت الشديدا للآخر ، وأعنى بهما ابن عباس العربى وصمويل اليهودى .

فأما « صمويل هاليقى » الربانى المعروف « بابن نغديلة » فقد ولد بقرطبة ودرس بها التلمود على يد الربانى « هنخ » حاخام الطائفة اليهودية بها ، كما اهتم بدراسة الأدب العربى وألم بمعظم علوم الوقت اذ ذاك ، وأصاب حظا عظيما من كل ذلك ، ولم يكن بم ما يشغله بعد هذا سوى حانوت عطارة صغير افتتحه أولا فى قرطبة ثم انتقل الى « مالقة » التى نزع إليها بعد استيلاء بربر سليمان على العاصمة . وظل مقبدا بها حتى واتته الفرصة السعيدة فانتشلته من هذا العمل التافه .

كان حانوت هاليقى على كنب من حصن تابع لأبى القاسم بن العريف وزير جبوس ملك غرناطة ، وكثيرا ما كان أهل تلك الناحية – وهم أميون – يكتبون الى مولاهم فكان لابد لهم من التردد على صمويل لكتابة رسائلهم التى كانت تنال اعجاب الوزير لما هى عليه من روعة البلاغة والاناقة اللفظية ، تعطرها زهرات البيان العربى .

وحدث أن قدم الوزير الى مالقة واغتنم الفرصة واستفسر من أهلها عن من يكون محرر هذه الرسائل فلما عرف أنه ذلك اليهودى استقدمه إليه وقال له :

« ما يليق بك المقام بالحنوت ، انما مقامك ومكانك عند أقدام سرير الملك ، أستكتبك فتكتب !! » .

واستجاب له صمويل ، واصطحبه الوزير معه الى غرناطة حين رجع إليها ، وازداد تقدير ابن العريف له ، وما تباحث معه فى شأن من شئون الدولة الا تكتسفت له فيه نواح من الذكاء النادر فى الحكم الصحيح على الرجال والأعمال ، كما تبدى له صدق نظرتة ، حتى ليقول أحد المؤرخين اليهود « ان جميع ما يصدر عن صمويل من الآراء يبدو وكأنه الهام » ، ومن ثم كان الوزير دائم الأخذ بآرائه والثناء عليها ، فلما أقعده المرض وشعر بدنو أجله قال لمولاه الذى خف لزيارته وقد أوقع فى يده اذ لم يدر

الى من يعهد بالوزارة ان وافقت ابن العريف المنية وهو الوزير المخلص
فقال له :

« ليس ما عهدت عندي من الرأي برأىي يا مولاي ، انما أنا فيه
تبع لكاتبى صمويل اليهودى ، فاجعله قبلتك يكن لك وزيرا وأبا حنونا ،
وليساعدك الله » .

ونزل الملك حبوس على مشورة وزيره واستقدم صمويل الى القصر
واتخذة كاتباً ومشيراً (١) .

ربما لم يحدث فى أية اماره أخرى ما حدث فى هذه الامارة من أن
يباشر الوزارة رجل من اليهود ، وأن يلقب بالوزير والمشير ، على الرغم
من أنه طالما حظى اليهود بالقرب من بعض الحكام المسلمين الذين كانوا
يؤثرون أن يكلوا اليهم ادارة الشؤون المالية على وجه الخصوص ، لكن
لم يحدث قط أن بلغ التسامح الى الدرجة التى يوكل فيها منصب الحجابة
الى أحد اليهود ، فان صبح ذلك فلا يصح الا فى غرناطة التى كانت زاخرة
باليهود حتى لقد تألف الناس على تسميتها « بمدينة اليهود » (٢) الذين
طالما تدخلوا فى شئون الدولة ، يساعدهم على ذلك ما هم عليه من الثراء
والقوة البالغة ، ومجمل القول انهم وجدوا فى غرناطة أرض المعاد أو على
الأقل « من الصحراء والسلوى وصخرة حوريب » .

كذلك يمكن تفسير ارتقاء صمويل بطريقة أخرى تلك هى أنه لم
يكن من اليسير على ملك غرناطة أن يجد له حاجبا ، فالواقع أنه كان
لا يستطيع أن يكل هذا المنصب الخطير الى أحد من البربر أو العرب لأن
القوم فى تلك الأيام كانوا يميلون لأن يكون الوزير أدبيا كبيرا حتى يضع
الرسائل التى يبعث بها الأمير الى غيره من الأمراء ، وكانت تكتب فى نثر
مسجوع وبأسلوب بالغ الروعة ، وكان ملك غرناطة أشد القوم اهتماما
بالكفاءات التى من هذا القبيل ، وهو فى ذلك يشبه رجلا قد واثته النعمة
على كبر وعلى غير انتظار فحاول أن يظهر بمظهر العظيم . ولما كان حبوس
نصف بربرى فقد عمل كل جهده على اخفاء تلك الناحية فيه ، فراح
يشجع الأدب ، ويظهر الميل اليه والى الأدباء ، ثم ادعى بأن الأمة التى
خرج منها - وهى صنهاجة - ليست بربرية بل هى عربية (٣) النبعة ،
ومن ثم بذل غاية وسعه للبحث عن وزير لا يقل عن وزراء جيرانه .

لكن أنى له به ؟ وكيف يجده ؟

ان قومه من البربر يحسنون القتال ويجيدون الاستيلاء على المدن
ولا يجارون فى تخريبها وتدميرها ، لكنهم عاجزون عن كتابة سطر واحد

صحيح بلغة القرآن ، كما أنه هو نفسه لا يستطيع أن يعهد بالوزارة الى العرب الذين كانوا لا يرون عارا أن يخونوه ويسقطوه .

اذن يحق لحبوس - في هذه الظروف - أن يعد نفسه قد حصل على كثر ثمين اذ أتيج له أن يجد رجلا - وان يكن يهوديا مثل صمويل - يشهد له علماء العرب أنفسهم بتمكنه غاية التمكن من لغتهم الرائعة ، ثم انه - مع عطفه الشديد على أبناء ملته - لم يخطئه القصد مطلقا وهو يكتب الى المسلمين اذ كان يكثر من اقتباس العبارات الدينية التي ألفوا استعمالها (٤) ، لذلك لم يجد حبوس غضاضة في رفعه الى مرتبة الحجابة ، بل ان العرب أنفسهم زكوا هذا الاختيار واعترفوا - على الرغم منهم - بأنه من ذخائر العبقريات .

والحق أنه كان غزير العلم ، واسع المعرفة ، ملما بالرياضة والمنطق والفلك (٥) ، متقنا لما لا يقل عن سبع (٦) لغات ، أضف الى هذا مبالغته في العطف على الشعراء وأهل الأدب عامة ولم يقصر عن مدحهم بعظاياه جزاء مدحهم اياه والاشادة به ، حتى لقد قال فيه الشاعر المنفتل الأبيات التالية التي لا يذكرها المسلمون الا متبرئين منه ومستعيزين بالله ، ومنها قوله :

أجامع شمل المجند وهو مشنت
ومطلق شخص الجود وهو من الأسرى

فضلت كرام الناس شرقا ومغربا
كما فضل العقيان بالخطر القطرا

وان فرقوا بين الضلالة والهدى
لما قبلوا الا أناملك العسرا (٧)

أما الأمر الذي عجز العرب عن ايفاء صمويل حقه فيه فهو خدماته التي أداها للأدب العبري ، وهي خدمات جليلة ، فقد وضع مقدمة للتلمود وألف اثنين وعشرين كتابا في النحو ، كان من أوسعها انتشارا وأبرزها كتاب « الكنز » الذي عده أحد من لهم القول الفصل في هذا الموضوع وكان على دين صمويل وعاش في القرن الثاني عشر - أقول انه اعتبر كتاب « الكنز » هذا فوق جميع الكتب التي تبحث في النحو .

كذلك كان صمويل شاعرا حاكمي المزامير وأمثال سليمان وسفر الجامعة وبعض أسفار التوراة ، ولما كانت تلك الأشعار تزخر بالكنايات والأمثال الغريبة والاصطلاحات والتعابير النادرة المقتبسة من الشعراء القدماء فقد كانت صعبة الفهم حتى ان كثيرا من أعظم علماء اليهود كانوا

لا يستطيعون ادراك مراميها دون الاستعانة بالشروح (٧) ، لكن كان التخصص والبحث اذ ذاك شائعين في الأدب العبرى كما هو الحال في الأدب العربى الذى اتخذه صمويل مثالا يحتذيه وكان التموض يعد اذ ذاك حسنة أكثر مما يعد عيبا .

كذلك كان صمويل يعطف عطفاً أبويًا على شباب اليهود الباحثين فيسقط يده للمملقين منهم بما يكفيهم ، واستخدم جماعة من الكتاب ينسخون له « المشنا » و « التلمود » وراح يهب هذه المخطوطات الى الطلاب العاجزين عن شرائها ، ولم تقتصر أفضاله على أبناء دينه من الاسبان وحدهم بل شملت أيضا من كان في افريقية وصقلية وبيت المقدس وبغداد وغيرها من اليهود الذين عاشوا على رفته وعطاياه (٨) ، وأراد يهود ولاية غرناطة تقديم الدليل على تقديرهم اياه واعترافهم بفضله فخلعوا عليه سنة ١٠٢٧ م [٤١٨ هـ] لقب « نغيد » أى زعيم أو أمير يهود غرناطة .

ولما كان صمويل رجل دولة فقد جمع الى رجاحة العقل وجلائه : الحزم والبصيرة النافذة ، وكان من عادته - شأن السياسى - أن يتكلم قليلا ويفكر طويلا ، واستفاد من جميع الظروف اسفاده عجيبة ، فكان ملما بطبائع الناس وميولهم وبالطرق التى يسلكها للتغلب عليهم وعلى شروهم ، وكان الى جانب هذا أيضا رجل دنيا ، فاذا كان فى أبهاء قصر الحمراء الرائعة بدى فى غاية الرقة حتى ليحسبه الناظر اليه أنه ولد فى مطارف النعيم ، فلم يكن ثم من يجاربه ذلاقة لسان فى ادارة دفة الحديث ، أو بساؤه فى اللطف ، أو يبلغ مبلغه فى الرقة وحلاوة الكلام ، أو يجاربه فى اجتذاب محدثه اليه بفصل قريحته الوقادة وحججه القوية الناصعة .

ثم ان هناك أمرا نادرا عند من دفعهم الحظ الى ذروة الرفاهية والمرتبة السامية ، ذلك أنه لم يكن عند صمويل ما قد يكون عند أرباب النعمة الجديدة من التعاطم والغطرسة والزهو الأحمق ، وقد بلغ صمويل ما بلغ من المكانة عن استحقاق وذلك نتيجة حتمية للطف معشره وقربه من نفوس الجميع وبعده التام عن التعالى .

أضف الى ذلك أنه لم يخجل من وضعه الأول ، ولم يعمد الى اخفائه ، بل كان يشير اليه فى اعتزاز ويعلنه فى بساطة الى من يعيبه (٩) .

وأما ابن عباس - وزير زهير أمير المرية - فكان هو الآخر رجلا بارزا ، ويقال انه امتاز بأمر أربعة لم يبره فيها أحد ما ، تلك هى : الكتابة والمال الوفير والبخل المتناهى والعجب الشديد .

والنابت أن ثروته بلغت من الضخامة مبلغ الخيال ، اذ أربت على ثلاثة آلاف ألف دينار ، وقد أسرف فى تأنيث قصره تأنيثا هو بالأمر

اليق ، فكان غاصا بالخدم ، تضم حجراته خمسمائة جارية كلهن من ذوات الجمال النادر ، لكن أعظم ما يعجب به المرء هو أنه كان عند ابن عباس مكتبة ضخمة تضم رفوفها أربعمائة ألف كتاب ، هذا الى جانب عدد جم من الدفانر والكراسات .

ولم يكن ينقص ابن عباس شيء من السعادة فكان جميلا ، فى مبيعة الشبابة لا يجاوز الثلاثين ربيعا ، وكان شريف المولد اذ هو أنصارى الأصل ، وكان يتقلب فى مطارف النعمة ، ويترجم عما يريد فى لفظ يسيل رقة وبلاغة ، فذاعت بين الناس شهرته الأدبية الا أنه لسوء طالع له لازم الغرور الذى لم يكن له حد ولا نهاية مما أدى الى كثرة أعدائه ، وكان القرطبيون على الأخص ألد الكارهين له ، اذ حدث فى ذات مرة أن قدم مع زهير الى بلدهم فعامل أبرز رجالهم وأشرفهم أرومة وأرفعهم مكانة معاملة تنطوى على الزراية بهم والتحقير ، فلما حان وقت رحيله قال لهم : « ما رأيت بقرطبة الا سائلا أو جاهلا » .

ومن المحقق أن غروره قارب الجنون حتى لقد قال فى بعض قصائده ما معناه انه لو كان جميع الأنام عبيدا له لتمنى ما فوق الجوزاء فان بلغها استقلها .

كما نظم البيت التالى الذى كان دائم التردد له كلما جلس يلعب الشطرنج :

عيون الحوادث عنى نيسام وهضمى على الدهر شيء حرام

غير أن هذا التحدى المعيب للقدر أثار غضب أهل المرية على بكرة أبيهم فقام أحد الشعراء الجريئين وترجم عن رأى الناس فقلب الشطر الثانى من البيت وقال : « سيوظننا قدر لا ينام » .

ولما كان ابن عباس عربيا خالصا فقد كان شديد الكراهية للبربر عظيم الازدراء لليهود ، ولعله كان لا يود عن صدق أن ينضم موله الى العصبة العربية الصقلبية لأن ذلك سوف يؤدى الى أن يصبح زهير فى المرتبة الثانية بعد قاضى أشبيلية رئيس تلك العصبة ، وكان أشد ما يثير ضيق ابن عباس أن يرى موله يحالف بربريا استوزر له رجلا من اليهود يكرهه ، لذلك اتفق مع ابن بقنة (١٠) - وزير آل حمود - بمالقة على القضاء على صمويل ، فافتري عليه كثيرا من الوشائيات لكنها لم تبلغه غايته ولم تحقق له اربته ، واذا ذلك حاول التضريب بين موله وبين ملك غرناطة بأن سأل النهوض لمعونة محمد أمير قرمونة عدو حبوس ، وجازت عليه الحيلة .

لكن لم يلبث حبوس أن قضى نحبه في شهر يونيو ١٠٣٨ م [= ٤٣٠ هـ] تاركاً وراءه ولدين أكبرهما « باديس » وثانيهما « بلجين » ، فمال البربر وفريق من اليهود لاستخلاف الأخير مكان أبيه ، على حين رغب العرب وبقية اليهود - ومنهم صمويل - في أن يؤول الحكم الى باديس بن حبوس ، وكادت الفتنة أن تشب بين الجانبين لو لم يبادر بلجين بالتنازل لأخيه عن العرش من تلقاء ذاته ، واقتدى به أتباعه فبايعوا منله أخاه (١١) مثلما بايعه هو .

وبدل الأمير الجديد قصارى جهده في إعادة التحالف مع صاحب المرية الذي أعلن في النهاية أن سيتم الاتفاق على كل شيء عند اللقاء .

وخرج زهير في موكب ضخم رائع ووصل فجأة أمام أبواب غرناطة دون أن يستأذن صاحبها في عبور بلاده ، فكان عملاً كريهاً أسخط « باديس » لكنه كظم سخطه وبالغ في الترحيب بأمير المرية وأوسع على من معه في القرى والضيافة وخلع عليهم الخلع الجمة ، الا أن المفاوضات لم تفض الى شيء ما ، اذ لم يصل الأميران ولا وزراؤهما (وكان صمويل لا يزال في الوزارة) الى اتفاق ما ، أضف الى ذلك أن زهيراً كان تحت تأثير ابن عباس ومن ثم تعالى « باديس » تعالياً جرح كبيراءه ، لذلك فكر ملك غرناطة في القصاص من أمير المرية جزاء سفهه لولا أن قام أحد ضباطه واسمه بلجين أيضاً وحاول المحاولة الأخيرة في تهدئة الأمور واستقرارها واصلاح ذات البين فتسربل بالظلام ومضى الى ابن عباس وقال له :

« اتق الله وصاحبك منقاد اليك ، وقد تعرفنا في تألفنا البركة .

• وقد ر بيننا مثل هذه النعمة التي كثر عليها حسادنا

« ما الذي غركم من ابن عبد الله حتى تقاطعونا في رضاه ؟

• فأجيبوا أميرنا الى ما دعاكم اليه من الألفة »

• فرد عليه ابن عباس رد المستخف الهازيء بما يقوله .

ولما حاول البربري استمالته بتقبيله والبكاء بين يديه قال له

ابن عباس :

« دع القعقة فليست تهولنا ، وكلامى لك الليلة مثل كلامى لك

بالأمس والله لا نزلتم الا على رضانا والا أعقبكم على ذلك ندامة »

فتميز بلجين البربري غيظاً من قوله هذا وسأله : « يا هذا أو أرجع

للجماعة فأحمل اليها ما تقول ؟ »

فأجابه ابن عباس : « نعم ، وزد فيه ما شئت » .

وانصرف [الضابط البربري] بلجين وقد استفزه الحقن وتملكه الغضب وانقلب الى باديس ومشىخته فأخبرهم بما كان بينه وبين الوزير وصاح : « يا صنهاجة ٠٠٠ والله هذه احدى الكبر ، قوموا لدفاعها بالقوة والا فليست داركم !! » .

وشاركه أهل غرناطة حنقه ، وكان أشدهم تسعرا في الغيظ بلجين أخو باديس ، الذى راح يزيد ضرام الحقد فى نفس أخيه وألج عليه أن يبادر الى اتخاذ ما ينبغى اتخاذه من اجراءات عنيفة لتأديب أهل المرية ، فوعده أخوه باديس بتحقيق سؤاله .

واذ كان لابد لزهير - وهو منكفىء الى بلاده - من أن يمر على كثير من الأوعار ، كما لم يكن ثم محيص له من عبور قنطرة « البونت » المسماة باسم البلدة المجاورة لها فقد أمر « باديس » بقطعها وأرسل رجاله لاحتلال الاحراج ، لكنه لما كان لا يحقد على زهير حقد أخيه عليه فانه لم يقطع الأمل بعد فى عودة صديق أبيه القديم الى ما كان بينهما من الحلف والمصافاة بدلا من الخلف والمعاداة ، وأجمع على أن ينفذ فى السر من يحذر زهيراً بالخطر الكامن له ، ومن ثم وسط ضابطا بربريا ممن يعمل فى جيش المرية ، فمضى ذلك الفارس ليلا الى زهير وقال له :

« أظعنى وقلدنى عارها وهون على نفسك هذا الحزن وخل عنها ، وتقدم الى قوادك الليلة فى الارتحال معك سرا ، واتخذ الليل جملا ، فلعلك تجاوز هذه الأوعار فتخرج من الورطة ، فان القوم متى تبعوك فيها دخلوا من التغرير فيما خرجت عنه ، وتهيا لك العطف عليهم بمجال فسيح يمكنك القتال فيه والتعلق ببعض حصونك » .

والظاهر أن زهيراً لم يجد غضاضة فى الأخذ بهذا الرأى لولا أن صاح به ابن عباس وكان حاضرا المجلس قائلا « هذا وسواس أدخلك فيه الذعر ! » ، فأجابه الفارس : « المثلث تقول هذا وقد نيفت على عشرين وقعة ٠٠٠ وأنت ما قرعتك قط وعوعة ؟ ٠٠ ستعلم عاقبة أمرك !! » ، ثم خرج مغضبا حانقا .

علم المتربصون لابن عباس - وهم كثر - ما كان من نبذه مشورة الفارس البربري ، ولم يكن نبذه اياها عن اعتقاد فى خطئها بل لطعمه فى أن يلقى زهير مصرعه اذا نشب القتال ، وقالوا ان ابن عباس كان يطمع فى حكم المرية ومن ثم رغب أن يلقى « زهير » حتفه فى محاربتة الغرناطين ، وحينذاك ينجو ابن عباس بنفسه ويتفرد بامارة المرية .

وليس من المستبعد أن يكون لهذا الاتهام نصيب من الصحة وسنرى

فيما بعد ابن عباس يمن على باديس بأنه نصب الشرك لزهير وأوقعه فيه .

على أية حال أهدقت قوات غرناطة في صباح ٣ أغسطس ١٠٣٧ م [= ٤٢٩ هـ] بزهير فاستولى الذعر على جنده أما هو فلم تطر نفسه شعاعا بل راح يرتب من معه من السودان للقتال وكانوا زهاء خمسمائة رجل، وضم اليهم الأندلسيين ، ثم أمر قائده ، هذيل [الصقلي] بالنهوض مع الفرسان الصقالبة ومهاجمة العدو ، فاستجاب له هذيل ، لكنه لم يلبث أن سقط عن جواده وربما كان ذلك من طعنة أردته عن صهوته ، أو من كبوة كباها حصانه ، فابذعر أصحابه وانهزموا وهم في أشد حالات الفوضى .

في هذه اللحظة بالذات غدر « السودان » بمولاهم زهير الذي كان شديد النقة بهم وانضموا الى العدو بعد أن نهبوا خزانة سلاح مولاهم الذي لم يبق الى جواره سوى الأندلسيين الذين كانوا على وجه العموم أسوأ الجند ، فما لبسوا أن فروا ، وفعل زهير فعلهم ان طوعا أو كرها ، ولما كانت قنطرة « ألبونت » مقطوعة وقد سد العدو الأوعار فقد انطلق الهاربون الى الجبال رجاء الاعتصام بها ، لكن تنخبطت سيوف الغرناطين معظمهم أنى تقفتمهم ، ولقى غيرهم حتفهم في شعاب وعرة وكان ممن قتل « زهير » ذاته .

وسبق جميع الموظفين المدنيين الى الأسر ، فأمر « باديس » بالابقاء عليهم وكان من بينهم ابن عباس ، الذي لم يكن ثم ما يخشى عليه ويضطرب من أجله سوى كتبه ، فدأب على الصباح استفسارا عما حل بها . ثم التفت الى الجند الماضين به الى باديس وقال لهم :

« الله الله في حمولتي . . . قولوا لمولاكم باديس يحتاط عليها حتى لا تنخرم فان فيها دفاتر لا كفاء لها » .

فلما مثل في حضرة باديس قال مبتسما « يا أبا مناد ، رأيت أي كأس أدرتها لك على هؤلاء الكلاب ؟ » ، وأشار بأصبعه الى الصقلاب ، ثم تابع كلامه قائلا :

« أريد أن تتقدم الى في حفظ دفاتري فانها أهم ما علي !! » .

كان الأسرى من أهل المرية في أثناء كلامه هذا ينفضونه بعيون ترميه بنسر الغيظ منه والسخط عليه ، فصاح أحدهم - وهو القاضي ابن شبيب - موجبا الكلام الى باديس : « يا حاجب : بالذي نصرك لا يفوتك هذا الفاعل الزارى بالخليفة فما جر ما تراه سواء ، وليتني عاينت حتفه ولا أبالي الموت بعده » .

فتبسم باديس وأمر باطلاق سراح القائد فكان هو - بين الفرسان والقواد - الرجل الوحيد الذى أبقى الصنهاجى على حياته ، أما من سواه فقد قتلوا جميعا .

بيد أن ابن عباس كان الرجل الوحيد من بين حملة الأقالم (١٢) الذى لم تطلق له الحرية ، وأدرك هذا الوزير التيهام المضرة التى ساقته اليها جرأته فى السفاهة ، ورأى أن نبوءة شاعر المرية توشك أن تتحقق .

وألقي بابن عباس فى سجن الحمراء و قيد بسلاسل ثقال لا تقل عن أربعين رطلا ، وعرف أن باديس متخشن الصدر عليه ، وأن صمويل يتمنى قتله ، لكنه مع ذلك كله كان لا يزال يؤمل بعض الأمل اذ عرض على باديس ثلاثين ألف مثقال من الذهب لقاء اطلاق سراحه ، فأجابه باديس بأنه سوف ينظر فى الأمر ، ثم تركه قرابة شهرين دون أن يبيت فيه . برأى قاطع .

فى خلال هذه الفترة كان هناك جماعة متضاربة الأفكار تتصارع فى بلاط غرناطة ، فقد بعثت قرطبة برسول من قبلها يستشفع فى اطلاق سراح بعض الأسرى لاسيما ابن عباس ، ومن ناحية أخرى كان أبو الأحوص معن بن صمادح رسول فتى بنى عامر عبد العزيز صاحب بلنسية وصهره يلج على « باديس » بقتل جميع الأسرى بدءا بابن عباس .

كان عبد العزيز [صاحب بلنسية] قد بادر الى امتلاك المرية مدعيا أنها تؤول اليه بحق الولاء لأن « زهيرا » كان من موالى أسرته ، وخاف أن يطلق « باديس » سراح ابن عباس ومن معه من الأسرى فيكون فى ذلك حرمانه من السلطان .

وتحير باديس لا يدرى أى الطرق يسلك ولأن ينصم ، فقد تنازعه الطمع فى المال والرغبة الملحة فى الثار ، ثم كانت ليلة ركب فيها ومعه أخوه بلقين للنزهة ، وتحدث اليه فيما عرضه ابن عباس وسأله رأيه ، فذكر له بلقين أنه اذا قبل الفدية واسترد ابن عباس جويته أثار ضده حربا تكلفه أضعاف فديته ، وقال ان رأى عنده هو أن يبادر الى قتله . ولما فرغ باديس من جولته استقدم اليه أسيره وأقبل يسبه ويلومه على جميع ذنوبه ، وابن عباس قد أزم الصمت حتى يفرغ باديس من تقريره وسبه ، فلما سكت قال له ابن عباس : « ناشدتك الله أن تريحنى من ألى » فأجابه باديس « اليوم تستريح » .

ولما رأى باديس وجه أسيره الشاحب المقطب وقد أومض ببريق الأمل سكت ساعة من الزمان ثم قال فى ابتسامة صفراء : « أجل يا ابن عباس ، اليوم تستريح من هذا الألم وتنتقل الى ما هو أشد !! » ثم جعل

يراطن أخاه « بلقين » باللسان البربري الذي يجهله ابن عباس وان أدرك من آخر كلمات باديس أن قد دنت منيته ، فركع على ركبتيه أمام الأمير وتوسل إليه الابقاء على حياته رحمة بنسائه وعياله ، على أن يضاعف له الفدية فيجعلها ستة آلاف مثقال من الذهب العين .

أنصت باديس الى ابن عباس وهو صامت لم تنفرخ شفثاه عن كلمة ما ، ثم هز مزراقه وقذف به فأغمده في صدر ابن عباس ، وحذا حذوه أخوه. بلقين وحاجبه على بن القروي . أما ابن عباس الذي لم يكف عن استدراة رحمة قاتلة فلم يسقط على الأرض الا بعد أن أصابته سبع عشرة طعنة (١٣) ومات يوم ٢٤ سبتمبر ١٠٣٨ م [= ٢١ ذو الحجة سنة ٤٢٧ هـ] .

لم تلبث غرناطة أن علمت بموت ابن عباس الغنى التياه ، فاشتد سرور من بها من المغاربة ، وكان أسعدهم جميعا بالخبر صمويل الذي لم يكن له من عدو كاشح غير « ابن بقنة » ، وقد هتف هاتف خفي بصمويل أن ابن « بقنة » لن يلبث أن يزول هو الآخر ، وكان اليهود اذ ذاك كالعرب يؤمنون بأن المرء تغشاه في نومه روح تكشف له عما سوف يلقاه ، وفي ذات ليلة بينما كان صمويل نائما اذا به يسمع صوتا ينشده ثلاثة أبيات عبرية هذه ترجمتها :

« لقد مات ابن عباس كما مات أصدقاؤه وحلقاؤه .

« فالشكر لله والحمد له .

أما الوزير الآخر الذي كان يتآمر معه فسوف يهلك عمما قريب وتسحق دولته .

« فما الذي آل اليه جميع ما دبراه » .

« وكيف كانت نهاية سوء طويتهما وقوتهما » .

« فليقدس اسم الرب » (١٤) .

الفصل الثالث

مؤامرة الجرجاني ونهايته

تبدل نظرة الناس الى حكم باديس • مؤامرة ابي الفتوح الجرجاني
وكفائه الفكرية ونشاطه الحربي • تدخله في الشئون السياسية تدخله
ضارا • تحركه ضد ابن عمه باديس وأشبيلية • اضطراره للفرار
الى باديس وطلبه العفو عنه • القبض عليه والتنكيل به واهائه الالهانة
البالغة • مقتله وأسف الناس عليه •

مؤامرة الجرجاني ونهايته

لم يدر باديس أنه بمهاجمته زهيرا وقتله اياه قد أدى أجل خدمة للمتحالفين الذين اتفقوا على الاعتراف بخلافة المدعى هشام ، ذلك أن عبد العزيز - فتى بنى عامر أمير بلنسية الذى أشرنا الى استيلائه على امارته المرية - كان فى الواقع عاجزا عن مد يد المساعدة الى حاكمه فاضى استبيلية لاصراجه على الانصراف حينذاك الى دفع مجاهد أمير دانية الذى نظر بعين الخوف الشديد الى اتساع أملاك جاره (١) ، أما القاضى فلا أقل من أنه لم يكن هناك ما يخيفه من وقوع الحرب بينه وبين « المرية » ، فاطمان خاطره غاية الاطمئنان من هذه الناحية ولم يعد يشغل باله سوى التأهب فى الوقت ذاته لقنال البربر بطائفة من أهل غرناطة محاولا دفعهم الى الثورة .

كان أكثر أهل غرناطة كارهين لباديس الذى استهل حكمه بما أطمع الناس فى عهده وبث الأمل فى نفوسهم (٢) ، لكنهم ما لبثوا أن تبينوا ما طبع عليه من القسوة والشدة ، وما ركب فى طبعه من اللؤم والخسة ، وما جبل عليه من مبل لسفك الدماء واسرافه فى الشرب دون ما حُجل ، فكريهم أمره كريبا تحول الى تذر منه فتأمروا عليه .

كان عصب هذه المؤامرة رجلا مخاطرا اسمه « أبو الفتوح ثابت ابن محمد الجرجاني » الذى ولد فى بقعة نائية عن الأندلس ، وانحدر من أسرة عربية أقامت فى جرجان ، ودرس الأدب والفلسفة والفلك على يد أشهر أساتذة بغداد ، لكنه كان الى جانب علمه فارسا بارعا ومحاربا باسلا ، فكان يقدر الجواد الأصيل ويعجبه المهند البتار أكثر مما تهزه القصيدة الرائعة أو تستهويه المقالة العلمية الدقيقة ، والأرجح أنه قدم الأندلس سنة ١٠١٥ م [= ٤٠٥ هـ] ليجرب بها حظه ، وقضى فترة من الزمن فى بلاط مجاهد أمير دانية ، فكان يتناقش وهذا الأمير فى فنون الأدب ، وانكب على وضع شرحه للرسالة النحوية المعروفة بالجمل ، كما حارب الى جانب أمير « سردانية » وكثيرا ما شغل نفسه بالتفكير فى أعقد المسائل الفلسفية وفى محاولة الكشف عما يخبئه الغد بين طيساته بملاحظة النجوم ، ثم رحل بعد ذلك الى سرقسطة مستقر الأمير « منذر »

الذى أولاه فى بادىء الأمر صداقته وعهد اليه بتربية ولده ، الا أنه يتجلى لنا من شهادة صادقة كل الصدق ، ذكرها المؤرخ العربى الذى نعتمد عليه فى هذا البحث أن الزمن كان قد تغير وتغير معه أهلوه ، فقد جاء المنذر ذات يوم وأنبأه باستغنائه عنه وعدم حاجته الى خدماته ، ثم أذن له بمغادرة سرقسطة ، فिमم أبو الفتوح حينذاك وجهه شطر غرناطة واتخذها دار اقامة له ، وشرع يلتقى سلسلة من المحاضرات عن الشعر القديم لاسيما المجموعة المعروفة بالحماصة (٣) ، غير أنه قام هنا بعمل آخر ذلك أنه عرف أن أعداء باديس كثيرون ، فعمد الى ابن عم الأمير واسمه « يدير » (*) فحرك مطامعه بأن أدخل فى روعه أن النجوم طالعه أن باديس سيفقد العرش ، وان ابن العم « يدير » سبلى الحكم بعده مدة ثلاثين سنة ، وصدق « يدير » ما زعمه أبو الفتوح فراح يعد المؤامرة ما لبث مخفى أمرها أن ذاع وتناهى الى سمع باديس قبل تنفيذها ، فخاف أبو الفتوح و « يدير » وغيرهما من المتآمرين وبادروا الى طلب النجاة من ثأره وغضبه ، والتمسوا لهم ملجأ عند قاضى أشبيلية الذى لا يشك أحد فى أنه كان شريكهم فى تلك المؤامرة وان يكن من العسير علينا أن نعرف الى أى مدى كان ضالعا معهم ومحركهم عليها (٤) .

فى هذه الأثناء هاجم القاضى محمدا أمير قرمونة وكان جيشه - كما هى العادة - بقيادة ابنه اسماعيل الذى أحرز انتصارات باهرة ، فاستسلمت له « أشسونة » و « استجة » ، بل لقد حاصر « قرمونة » ذاتها ، وضيق الحناق على محمدا الذى التمس المعونة من ادريس أمير مالقة ومن باديس [ملك غرناطة] فاستجابا له .

أما ادريس الذى كانت العلة قد ألحت عليه فقد أنفذ اليه جنده تحت امرة وزيره « ابن بقنة » ، على حين قدم باديس بنفسه اليه على رأس قواته ، وانضم هذان الجيشان بعضهما الى بعض ، وبادر اسماعيل الى النهوض للحرب اطمئنانا الى كشافه عسكره وشجاعتهم ، ولم يجرؤ باديس وابن بقنة على منازلة اسماعيل ادراكا منهما بتفوقه عليهما فى العدد ، فمالبثا أن غادرا « قرمونة » وتركها أميرها يواجه العدو وحده وبلاقى مصيره ، وسار أحدهما نحو غرناطة ويمم الآخر شطر مالقة .

ولكن اسماعيل أخذ السير فى آثار الغرناطين ، ومن حسن طالع باديس أنه لم تكن قد انقضت ساعة على انفصاله عن « ابن بقنة » حين بعث اليه رسولا يسأله القدوم لتجديته والا تغلب عليه الأشبيليون فأسرع « ابن بقنة » للوقوف الى جانب باديس ، وانضم الجيشان بعضهما الى بعض قرب « استجة » متحفزين لقتال العدو .

أما الأشبيليون الذين حسبوا أنهم سيهاجمون جيشا ناكصا على

(*) بفتح الياء وتشديد الدال المكسورة بعدها ياء ساكنة ثم راء .

أعقابه فقد فوجئوا بما لم يجر لهم في حسابان ، حين وجدوا أنفسهم يواجهون عسكريين على تمام الأهبة لقتالهم ، فدب اليأس في قلوبهم من جراء تلك المفاجأة غير المتوقعة ، حتى ان الصدمة الأولى كانت كافية لبت الفوضى في صفوفهم ، وحاول اسماعيل أن يحملهم على الثبات في مكانهم وقاتل عدوهم لكن ذهبت مساعيه أدراج الرياح ، بل لقد أدت به شجاعته الى أن يكون في طبيعة القتلى ، واذا ذلك لم يعد الأشيبليون يرومون غير النجاة (٥) .

أصبح باديس سيد الموقف بعد نصر جد بسيط ، فأقام معسكره على كذب من أبواب « استنجة » ، وما كان أعظم دهشته حين أبصر أبا الفتوح يركع عند قدميه وقد دفعه حبه لعائلته الى المخاطرة بنفسه والمجيء الى هنا ، فقد اضطر لمفاداة غرناطة على جناح السرعة تاركا زوجته وطفليه بين يدي القدر ، حين تناهى اليه الخبر بأن باديس قد أصدر أمره الى نائبه « قدام » (***) السوداني بالقبض عليهم ، فأنفذ « قدام » أمره وزج بهم في سجن المنكب ، وكان أبو الفتوح كبير الحب لزوجته الأندلسية الجميلة ، شديد الحنان على ولده وابنته ، ولم يكن يحتمل العيش دونهم ، وكان أشد ما أفزعته أن يصب باديس نغمته على هؤلاء الأعداء فينتقم منهم لجرم أبي الفتوح ، ومن ثم جاء الى باديس يلتبس منه العفو ، وعلى الرغم مما يعرفه في هذا الطاغية من شراسة الطبع والاستبداد الا انه طمع أن يلين قلبه هذه المرة وأن يعفو عنه كما عفا عن ابن عمه « أبي ريش » الذي زل هو الآخر أيضا حين شارك في تدبير المؤامرة ، لذلك جثا أبو الفتوح أمام باديس وقال له : « اتق الله يا سيدي وارح ذمامي » فصاح به باديس وقد رماه بنظرة حقد قاتلة وقال : « ترى بأى وجه جئتني ؟ ما أجراك على حتفك وأشد اغترارك بسحرك !! » فرقت بيني وبين بنى ماكسن ، ثم جئت تخدعني كأنك لم تصنع شيئا !! » .

فأجابه : « ارحم غربتي وسوء مقامي ، ولا تلزميني ذنب ابن عمك فمالي سبب فيه ، وما حملني على الفرار الا الخوف على نفسي لسابق خلطته ، ولقد لفظتني البلاد اليك مقرا بما لم أجته رغبة في صفحك ، فافعل فعل الملوك الذين يجلون عن الحقد على مثل من الصعاليك » .

فقال باديس : « بل أفعل ما تستحقه ان شاء الله ، انطلق الى غرناطة قدم على حالك والى أهلك وأصلح من شأنك » .

اطمان خاطر أبي الفتوح حين سمع هذا الكلام الذي لم يدرك في بادئ الأمر مغزاه وما ينطوي عليه من قصد سيء ، وشخص الى غرناطة

(*) بضم القاف وفتح الهمزة غير المشددة .

في حراسة فارسين ، فلما قاربوها أنفذ « قدام » الأسود الأوامر التي نلقاها من مولاه اذ بعث جماعة من شرطته ألقى القبض على أبي الفتوح وحاقوا له رأسه وأردفوه على بعير ، وجعلوا خلفه عبدا أسود جلدا مفتول الساعدين ظل يصفعه صفعاً شديداً ، وطاقوا به الطرقات على هذه الصورة ، ثم أودعوه سجناً شديداً الضيق شاطره فيه أحد المتأمرين معه ، وهو جندي بربري أسروه في وقعة « استجة » .

انقضت عدة أيام عاد بعدها باديس الى غرناطة ولم يكن قد قرر نسنا ما حيال أبي الفتوح ، لكن جرى له عكس الذي جرى لابن عباس اذ حال أخوه « بلقين » بينه وبين الفقيه دون أن يعرف أحد سر ميله اليه ، ففد عمل جهده على تبرئة ساحته ، ودافع عنه دفاعاً كبيراً حمل باديس على الأحجام في البت في أمره بشيء ما حتى لا يفضب أخاه .

ثم كان يوم أفرط « بلقين » فيه في الشراب مثلما كان يحدث كثيراً منه ومن أخيه ، واذا ذلك بعث « باديس » في طلب أبي الفتوح ورفيقه فلما رآه انهال عليه سباً واهانة ثم قال له :

« لم تغن عنك نجومك يا كذاب !! ألم تعد أميرك الجاهل بالظفر بى وتملك بلدى ثلاثين سنة ؟ .. لماذا لم تمنع النظر لنفسك وتحذر ورطنك ؟ .. قد أباح الله لى دمك !! » فلم يجبه أبو الفتوح بشيء بل اعصم بالصمت ، لكنه حين رغب في العودة الى زوجته وولديه الذين يهواهم عمد الى الاستعطاف والكذب ، فلما أيقن ان لا شفاعة ترجى من هذا الطاغية الظالم الغضوب استرد حميته ، وعاودته شجاعته وقوة شكيمته ، فراح ينظر الى الأرض وقد انفرجت شفتاه عن بسمة ساخرة ، وصمت ساعة من زمان استرد فيها كرامته فأثار هذا المنظر الهادى الكريم نائرة باديس ونزت فيه نزوة الغضب فانتصب واقفا واستل حسامة وأغمده في قلب ضحيتته فتلقى أبو الفتوح الضربة القاتلة وهو ثابت الجنان دون أن يثن ، حتى لقد أكبر باديس ذاته شجاعته ، فصاح - رغم أنفه - صيحة المعجب به ثم النفث الى عبده « برهون » وقال له : « خذ برأسه وارفعها على الخشبة ، أما الجسد فضعه الى جنب عدوى [ابن عباس] حتى تقوم الساعة » ثم التفت الى الجندي وقال له : « تقدم فقد جاءت نوبك » .

اشتد الفزع بالبربري الذي كلمه باديس وارتجفت أوصاله رعباً ، فجنأ على ركبتيه عساه يحمل الأمير على الصفح عن جرمه والبقاء عليه ، الا أن باديس قال له : « أما تستحي يا ابن الفاعلة ... يصبر المعلم الضعيف القلب على الموت مثل هذا الصبر ويملك نفسه عن كلامه لى

واستهطافى ، وأنت تجزع وطالما عدت نفسك فى أشدء الرجال ؛
لا أقال الله مقيلك ! » •

ثم قتله يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٠٣٩ م [٤٣٠ هـ] •

ودفن أبو الفتوح - كما أمر باديس - الى جانب ابن عباس ، وحزن
الأدباء والحكماء من أهل غرناطة على موته ، أما العرب الذين أرغمتهم
المقادير على الخضوع لبربرى غريب فكانوا كلما مروا بالناحية التى دفن
فيها أبو الفتوح قالوا :

« يا له من قبر جمع أدبا لا كفاء له !! » •

« والبقاء لله سبحانه » (٦) •

الفصل الرابع

اضطراب الأحوال بين الأمراء مرة أخرى

ظهور قوة البربر في بلاط مالقة • تفاقم شأن الصقلية في بلاط
غرناطة • وفاة ادريس والنزاع بين ابن بقنة البربري ونجاء الصقلبي حول
من يخلف ادريس • ظهور الأسطول الأفريقي فجأة في خليج مالقة •
خلاص الحكم للحسن بن يحيى وقتله ابن بقنة • مقتل الحسن بن يحيى
مسموما بيد زوجته • نجاء الصقلبي يأخذ الحكم فيسكت البربر على كره
منهم له • استكناره من الصقلية ومحاولته التفريق بين البربر ولكنهم
يقتلونه ويولون مكانه ادريس بن يحيى الذي أبدى من الضعف ما أحزنهم
منه • استخفاف السودان بادريس لطيبته وتمردهم عليه •
تولية محمد ابن عم ادريس وشجاعته • التجاء ادريس الى بربر
رندة • الحرب بين باديس ومحمد • وجود أربعة خلفاء في وقت واحد وكلهم
ضعاف لا حول لهم ولا قوة • مك غرناطة يطرد حمود من مالقة •

اضطراب العلاقات بين أمراء الأندلس

أخذ طاغية غرناطة السفاح في ارتقاء معارج القوة شيئاً فشيئاً حتى صار زعيم جماعته ، ومع أنه كان لا يزال يعترف بالولاء لبني حمود إلا أنه كان اعترافاً اسمياً وولاءً صورياً وذلك لتسدة ضعف أولئك الأمراء الذين كانوا آله في أيدي وزرائهم يسيرونهم وفق أهوائهم وحسبما شاءوا ، كما يعتمد البعض منهم إلى قتل البعض الآخر : بالسيف تارة وبالسم تارة أخرى ، وكانوا لا يفكرون في مراقبة أتباعهم الأقوياء ، بل يرون أنفسهم سعداء أن أتبع لهم أن يحكموا مالقة وطنجة وسبتة في شيء من الهدوء الظاهري .

لكن كان هناك تباين كبير بين بلاطي مالقة وغرناطة ، فلم يكن في بلاط الأولى سوى البربر أو من يعملون دائماً لما فيه مصلحة البربر أسماً صمويل اليهودي ، ومن ثم كانت تسود هذا البلاط وحدة تامة في الأفكار والأساليب .

أما بلاط غرناطة فكان على العكس من ذلك يزخر بالصقالب الذين كان لابد من سقوطهم أن أجلاً أو عاجلاً لما كانوا عليه من التحاسد والتنافر والتنافس مما أدى إلى سقوط الأمويين .

كان الخليفة إدريس الأول طريح الفراش حين بعث قواته لقتال الأشبيليين ، ثم أسلم الروح بعد يومين من تسلمه رأس اسماعيل المقتول في وقعه « استجة » ، إلا أن النضال ما لبث أن نشب بين ابن بقنة الوزير البربري وبين نجاء الوزير الصقلبي ، إذ أراد الأول أن يسوف العرش إلى يحيى بن إدريس البكر حتى يتمكن من أن ينفرد وحده بالسلطة والاستبداد بها دون شريك ، فعارضه الصقلبي الذي كان عاملاً الخليفة على بر العدو بافريقية ونادى فيها بشعار الخليفة حسن بن يحيى ابن عم يحيى بن إدريس ونأهب لعبور المضيق .

كان ابن بقنة ضعيف الشخصية ، جباناً رعيدياً ، ومن ثم أذعن لتهديد الصقلبي ، وكان تردده الدائم يجعله يميل تارة للاستمرار في مشروعه ، وتارة أخرى للرجوع عنه ، وأدى ذلك إلى إهماله الاستعدادات لأي طارئ ، لذلك فوجيء ذات يوم بالأسطول الإفريقي يرسو في خليج مالقة فبادر إلى الهرب وشخص إلى « كمارش » برفقة يحيى بن إدريس ، فلما آل الأمر في العاصمة إلى الحسن بعث إلى ابن بقنة يؤمنه ويأذن له بالعودة ، فوثق البربري بقوله فجاءه فقطع الحسن رأسه ، وهكذا تحققت نبوءة صمويل اليهودي التي رآها في منامه .

لم يلبث منافس الحسن أن قتل هو الآخر ، وربما كان « نجاء » هو الوحيد المسئول عن هذه الجريمة كما يشهد بذلك جماعة من المؤرخين

(*) كمارش بضم الكاف وفتح الميم وكسر الراء ثم شين .

غير أن الحسن ما لبث أن نال جزاء ما جنت يده ، إذ دست له السم زوجته
وكانت أخت يحيى المقتول .

حينذاك ظن « نجاء » أنه قادر على تولية شخص لا يكون له من
السلطان غير الاسم ، ولم يقنع بأن يكون له سلطة الحاكم بل تطلع لأن
يتولى الحكم ذاته ، ومن ثم عمد إلى قتل ابن للحسن كان لا يزال طفلا ،
وسجن أخاه ادريس ، وفرض نفسه ملكا على البربر محاولا استمالتهم
إليه بثتى العهود وأطيبها .

وعلى الرغم من سدة حنق البربر عليه من جراء قحته المفرطة وطمعه
الذى دنس نوقيرهم العظيم الذى يكاد يبلغ حد الخرافة لمن هو من نسل
الرسول [عليه الصلاة والسلام] إلا أنهم رأوا أن يترينوا ترقبا منهم لأول
فرصة تسنح لهم للوثوب على « نجاء » ، ومن ثم استجابوا له مظهرين
الطاعة والولاء .

حينذاك جاهر « نجاء » برغبته فى المضى إلى « الجزيرة الخضراء »
بغية انتزاعها من يد حاكمها الحمودى ، وزحف للقتال ، إلا أنه لم يكد
يلتحم مع الأعداء حتى أدرك أن البربر غير جادين فى القتال وشاهد فتورهم
فصرخ أنه لا يستطيع الاطمئنان اليهم ، ورأى السلامة فى الأمر بالعودة
بعد أن أسر فى نفسه أن ينفى من يخاف غائلته من البربر حال عودته
إلى العاصمة ، كما عول على اكتساب الباقين منهم إلى صفه باغداق المال
عليهم ، ورأى أن يبذل غاية وسعه للاكثار من الصقالبه حوله ، إلا أن أشد
أعدائه كراهية له علموا بما يبيتهم لهم ، لذلك لم يكد الجيش يمر بأحد
الأوعار السديدة الضيق حتى وثبوا على المعتصب يوم ٥ فبراير ١٠٤٣ م
[٤٣٤ هـ] وفتكوا به (١) .

سادت الفوضى صفوف الجيش ونعالت صبحات الفرع من
جانب البربر ، بينما أخذ الصقالبه فى التسلل لوإذا مخافة أن يلاقوا
ما لقبه كبيرهم ، كما انطلق زعيمان من زعماء البربر إلى مالقة على جناح
السرعة فلما بلغاها صاحوا بالناس « البشرى لكم أيها الناس !! البشرى لكم
أيها الناس !! لقد قتل الطاغية !! » ووثب الناس على عامله بمالقة
[واسمه السطيفى] وقتلوه وأخرجوا ادريس بن يحيى - أبا الحسن - من
مطبقه واستخلفوه عليهم .

حينذاك انتهى دور الصقالبه بمالقة ، وعاد الهدوء الذى لم يقدر نه
البقاء طويلا .

لا جدال فى أن ادريس لم يكن رجلا عظيما وإن كان خيرا جوادا يؤثر

حسن الصنيع ، ولو كان الأمر له وحده دون سواء لما بقى فى مملكته مملوك بائس ، فلقد أعاد جميع المنفيين على اختلاف أحوالهم ورد عليهم أملاكهم ، أما عطفه على النسعب الذى كان يؤثر التحدث اليه فكان مما يتنافر تماما مع ما هو مألوف فى البلاط من الأبهة والنعاظم والتقاليد ، وقد أدى انتساب الحموديين للرسول [عليه الصلاة والسلام] الى أن أصبحوا فى نظر رعاياهم أنصاف آلهة ، وأراد الحموديون المحافظة على هذا الوهم المتعلق بسلطانهم فلم يكونوا يظهرن للجمهور الا لاما ، وكانوا اذا طلغوا عليه طلغوا محاطين بالأسرار ، حتى ان ادريس نفسه - رغم بساطته - لم يححر من التقاليد التى جرى عليها أسلافه من وجود حجاب يججبه عن عيون محدثيه ، غير أنه كان ينسى فى بعض الأحيان القمام بهذا الدور لما طبع عليه من الطيبة الشخصية ، من ذلك ما حدث ذات يوم من أن شاعرا من أهل لسبوننة أنشده قصيدة أطرى فيها كرمه ومجد فيها شرف نبعنه وقال فيها :

فكان الشمس لما أشرقت فانتنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن على بن حمود : أمير المؤمنين
يا بنى أحمد يا خير الورى لأبيكم كان وفد المسلمين
أنظرونا نقتبس من نوركم انه من نور رب العالمين

فلما سمع الخليفة ذلك قال لحاجبه : « ارفع الستر » وذلك لانه لم يكن ليرد أبدا سؤال سائل ، ومن ثم كان هذا الشاعر أسعد من محبوبه « جويتر » النسقية التى راحت ضحية رغبته الملحة القاتلة .

وقد استطاع الشاعر حينذاك أن يسرح طرفه مطمئنا فى وجه مولاه الذى وان لم ينسج نورا باهرا الا أنه كان يحمل دليل اليمن والوداعة ، ولعل طلعة الأمير كانت أحسن عند الشاعر مما لو كانت محاطة بهذه الأضواء التى تعشى الأبصار والتى أشار اليها الشاعر فى أبياته ، والواقع أنه لا بد وقد انقلب الى داره راضيا أكثر مما لو كان قد أصاب صلة سنية .

لكن الأمر الذى يؤسف له هو أن ما طبع عليه ادريس من التناهي فى طيبة القلب واللين أضرا بمكانة الدولة واطمئنانها ، ذلك لانه كان لا يفكر - أو لا يجرو - على رفض طلب أحد ما ، فلو سأل « باديس » أو غيره أن يهبه حصنا من حصونه لاستجاب له فى الحال . وقد حدث ذات مرة أن طلب منه باديس أن يسلمه وزيره (٢) لانه كان يتلطف له على حنق ، واذ ذلك قال ادريس لوزيره « ان الصنهاجى يطلبك منى ، ولابد من تسليمك اليه » فأجابه الوزير القاضل : « افعل ما تؤمر وستجدنى ان شاء الله من الصابرين » ثم رحل الى غرناطة بحيث قطعت رأسه .

أحنق البربر ضعف ادريس وكرهوا فيه عطفه على الشعب ، ونقموا منه ما نسميه اليوم بميوله الشيعية ، غير أن أشد الناس حنقا عليه هم « السودان » الذين اعتادوا أن يضربوا بالسياط أو يقتلوا بالسيف أو يصابوا على المشنقة ، لذلك استخفوا بمولاهم الذى لم يأمر قط بقتل أحد ما ، ثم عم الغضب منه حتى قام صاحب قلعة « ايرش » (٣) بالنورة عليه ، فأطلق من أسره سراح ابنى عم ادريس ونادى بأكبرهما محمد خليفة ، وحينذاك تمرد السودان الذين رتبهم لحماية حصن « مالقة » وراسلوا محمدا يطلبون منه أن يوافقهم هو ذاته ليكون بينهم .

أما أهل « مالقة » الذين كانوا شديدى التعلق بأمرهم المتحنن عليهم فلم يتركوه وحده فى ساعة الخطر بل جرت جموعهم اليه وطلبوا منه أن يمدهم بالسلاح ، مؤكدين له أنهم اذا تدرعوا وتسلحوا لم يبق السودان فى القلعة ساعة من نهار ، فشكرهم ادريس [ابن يحيى بن على بن حمود] على اخلاصهم ، لكنه رفض أن يجيبهم الى ما سألوه اياه قائلا لهم : « الزموا منازلكم ودعوني » ، واذ ذاك استطاع محمد دخول العاصمة وحل ادريس محله فى سجن « ايرش » ، وهكذا قام كل منهما مكان الآخر سنة ١٠٤٦ - ١٠٤٧ م [= ٤٣٩ هـ] .

لم يكن الحاكم الجديد على نمط سابقه ، بل شابه أمه وهى مقاتلة بأسلة تميل لحياة المعسكرات ومشاهدة استعدادات الحرب وأعمال الحصار ، وكانت تثبر حماسة الجند بكلماتها وبسط يدها لهم بالمال . أما محمد فقد بلغ من الشجاعة حدا كبيرا ، لكنه كان فى الوقت ذاته شديد القسوة ، واذ كانت الشجاعة تنقص ادريس [ابن يحيى] فهى أكثر مما يجب أن تكون عليه عند محمد ، وهذا على الأقل فى نظر مؤرخى النورة ، منلهم فى ذلك مثل أسطورة الضفادع التى طلبت من جوبيتر ملكا لها ، وشبيهه بشعب المستنقع هذا - كما يقول لافونتين المبدع - جماعة البربر والزنوج الذين سرعان ما تدمروا من ثقل وطأة محمد [بن ادريس] عليهم وراحوا يبكون على سلفه الطيب الهادى .

استعد المتآمرون فيما بينهم للثورة وأخذوا فى مفاوضة حاكم « ايرش » الذى لم يجدوا صعوبة فى ضمه الى صفوفهم ، فرد على ادريس الثانى حريته بعد أن نادى بشعبار الخلافة ، وفى هذه المرة لم يمتنع ادريس عن الأخذ بفكرة الحرب الأهلية ، وكان السبب فى ذلك أن اقامته المملة الرتيبة فى السجن لاشمت تردده .

غير أن محمداً - وقد عاونته أمه - دافع أعداءه أشد مدافعة حتى أكرههم على الغناء السلاح وإن لم يسلموا ادريس الذي عمدوا إلى نقله إلى إفريقية قبل استسلامهم ، حيث دفعوه إلى طلبين بربرين هما (٤) « سقوط » حاكم سبتة ، و « رزق الله » حاكم طنجة . فآكروا وفادته وعظما قدره وخاطبوا بالخلافة وإن لم يسمح له بنىء من السلطة الحقيقية . بل إن خوفهما على سلطانهما دفعهما لاجبالغة في مراقبته ومنعه من الظهور جهرة ، ولم يدع أحداً من الناس يصل إليه ، ومع ذلك فقد استنطاع جماعه من أعوان البربر - الذين ينغمون في السر على هذين الحاكمين - أن يجدوا السبيل إلى لقائه وقالوا له : « إن هذين العبدین غلبا عليك وحالا بينك وبين أمرك ، فأذن لنا تكفيكما » ، فرفض طلبهما لما طبع عليه من الرحمة واللين الكبيرين ، ودفعته سريره الطيبة للأفضاء بكل ما جرى للوالدين اللذين انزعجا وأمرأ بذفي من أسرار اليهم ، لكن الظاهر أنهما خافا أن يستجيب ادريس - في مرة أخرى - إلى دسائس الناقلين عابتهما فبعما به إلى الأندلس وإن لم يكف عن الحطبة له في الصلوات العامة ، فاتجه ادريس إلى زعيم بربر « رندة » يطلب عنده ملجأ له (٥) .

في هذه الأثناء قام المتذمرون بمالقة يلمسون المساعدة من باديس الذي بادر إلى إعلان الحرب على محمد ، إلا أنه ما لبث أن انفق معه ونمت الموادعة بينهما ، وحينذاك استغاثوا بأمر الجزيرة الخضراء واسمه هو الآخر أيضاً محمد [ولكنه محمد بن القاسم بن حمود] ، وقد نسمي بالخليفة .

بهذا كان هناك في تلك الحقبة أربعة من الخلفاء فيما بين اسبيلية وسبتة وهم :

هشام الثاني المزعوم باشبيلية ، ومحمد [بن ادريس] بمالقة ، ومحمد [بن القاسم بن حمود] بالجزيرة الخضراء ، ثم ادريس الثاني [وهو بن يحيى بن ادريس] .

كان اثنان منهم مجردين في الواقع من السلطة . أما الآخران فكانا من الأمراء التافهين أو الأقيال ، فكان سوء اصطناع لقب الخلافة أبلغ في السخرية ، لما كان يدل عليه من أن صاحبه يحكم العالم الإسلامي كله وهو ليس في شيء قط من ذلك أو بعضه .

وقهسل محمد [القاسم بن حمود] أمير الجزيرة الخضراء في محاولته وتخلي عنه من استغاثوا به ، فسارع بالعودة إلى ولايته ، ولم تمض أيام قلائل حتى مات خجلان كسير القلب ، وذلك سنة ١٠٤٨م [٤٤٠ هـ] كذلك ما إن انقضت أربع أو خمس سنوات حتى لفظ محمد [بن ادريس] - أمير مالقة - نفسه الأخير ، فتطلع أحد أبناء عمه - واسمه ادريس الثالث - إلى العرش ، لكنه لم يفلح فيما ارتجاه ، فقد أعاد القوم

هذه المرة ادريسا الثاني [بن يحيى بن ادريس] الذى آن للأقدار أن تكف
عن اضطهاده ، فظل يحكم الباد فى هدوء حتى وافاه أجله سنة ١٠٥٥ م
[= ٤٤٧ هـ] .

حينئذ طمع حمودى آخر فى أن يلى العرش مكانه ، لكن فجعه فى
آماله باديس صاحب غرناطة ، ذلك لأنه لما كان الزعيم الحقيقى للحزب
البربرى فانه كان لا يحب وجود خليفة ما ، ومن ثم عقد العزم على التخلص
من بنى حمود وأن يضم مالقة الى أملاكه . ونجح فى تحقيق مشروعه دون
أن يجد مقاومة كبيرة .

حقيقة أن خضوع العرب له كان عن غير رضا منهم ، الا أنه استطاع
أن يستميل اليه أقواهم نفوذا وأعظمهم شكيمة أمثال الوزير القاضى
عبد الله (٦) الجذامى ، ومن ثم لم يعد يكثر بتذمر الآخرين .

أما البربر الذين تأكدوا من ضعف أمرائهم والذين أدركوا عن حق
ضرورة اتحادهم مع اخوانهم بربر غرناطة اذا شاوروا مقاومة الحزب العربى
الذى كانت أملاكه تتسع فى الجنوب الغربى يوما بعد يوم فقد عطفوا على
مشاريع باديس ولم يناهضوها ، وبذلك أصبح ملك غرناطة أميرا على
مالقة أيضا ، وطرد منها جميع بنى حمود الذين أخذوا يمثلون دورهم بعد
ذلك فى العدو . لكن دورهم فى أسبانيا كان قد انتهى وتلاشى (٧) .

التفصل الخامس

ارتقاء المعتضد معارج القوة

المعتضد عباد بن محمد يصبح حاجب هشام الثاني • صفات المعتضد
وشمائله • الفرق بينه وبين باديس فى السام والحرب • دهاء
المعتضد ومكره وتدبيره المؤامرات • حيلته لمعرفة أحوال أهل قرمونة وما هم
عليه • حقه الأعمى على من يخاصمه ولو كان معوقا حتى بعد موته •
قصته مع الفقيه الأعمى حتى بعد هروبه من وجهه •

ارتقاء المعتضد معارج القوة

ألمنا بحوادث مألقة رغبة منا في متابعة تاريخها ، أما الآن فقد آن لنا أن نلقى نظرة عابرة على ما ناله الحزب (العربي) من التقدم في تلك الفترة ، ومن ثم ينبغى علينا أن نرجع الى الوراء بعض السنوات .

مات أبو القاسم محمد [بن اسماعيل] قاضي اشبيلية في ختام يناير ١٠٤٢ م [= ٤٣٤ هـ] فخلفه ابنه عباد [بن محمد] وكان في السادسة والعشرين من عمره ولقب بحاجب هشام الثاني ، وعرف في التاريخ باسم « المعتضد » ، وعلى الرغم من أنه لم يلقب بهذا اللقب الا بعد زمن طويل لكننا نسميه بهذا الاسم تجنباً لما يحدثه تغيير الاسم من الاضطراب .

لقد تمكن هذا الزعيم الجديد - الذي قيضه الله للحزب العربي في الجنوب الغربي - أن يجمع في ذاته السمات التي لا تكون لمجتمع أشرف على الشيخوخة ، وكان كل ما في هذا الزعيم يؤهله لأن يكون منافساً خطيراً لباديس زعيم الحزب المعارض له ، وكان المعتضد عباد مثل باديس رجلاً شديداً الريبة ، ميالاً للانتقام ، غداراً ، ظالماً فظاً ، سفاكاً للدماء منكباً على الشراب ، لا يتورع عن الموبقات ، ولم يكن هناك أمير من أمراء ذلك العهد قد اجتمع له ما اجتمع لعباد [بن محمد] من الحریم ، ويؤكد البعض أنه وجد له منهن ثمانمائة جارية (١) .

وعلى الرغم مما بين هذين الأميرين من التشابه الا أن كلا منهما كان تقيض الآخر في الشخصية ، قد تفاوتت أذواقهما ، وتباينت عاداتهما بعضها عن بعض في كثير من النواحي ، ذلك أن باديس كان رجلاً بربرياً أو شبه بربرياً لا يكثر بالتقاليد ولا يعبأ بالثقافة والحضارة ، ومن ثم خلعت أبهاء قصر الحمراء من الشعراء الذين لم يكن من اليسير عليه فهم قصائدهم لتعوده الحديث بالبربرية .

أما المعتضد [عباد بن محمد] فكان على العكس من ذلك قد تلقى قسطاً من الثقافة والتعليم الرفيع ، وان لم يرق الى مكانة العالم لعدم مداومته النظر في الكتب ، الا أنه وهب ذوقاً عظيماً رائعاً ، وذاكرة قوية مكناه من أن يتوفر عنده أكثر مما يتوفر للرجل العادي ، ولم تخل قصائده - دون نظر الى قيمتها الأدبية - من فائدة توقفنا على شخصيته ، وقد رفعت هذه القصائد بين معاصريه الى مرتبة الشاعر المبدع (٢) ، وكان محباً للآداب والفنون ، يصل الشعراء بالعطايا الجسام على مديحهم اياه

وان قل ، وكان الى جانب ذلك يتعشق اقامة القصور الفخمة (٣) ، كما كان مسرفا في طغيانه .

اتخذ [عباد بن محمد الملقب] بالمعتضد خليفة بفداد مثلا له يقتدى به ولقب نفسه بلقبه ، ومع انكباب كل من المعتضد وباديس على الشراب الا أن غلظة طبع الأخير كانت تؤدي به الى الاسراف في الشراب مع الاسفاف شأنه في ذلك شأن الرجل الجلف أو الجندي السوقي ، بينما يبدو المعتضد رجلا كيسا محافظا على كرامته فلم يؤخذ عليه شيء من هذا القبيل ، بل كان على جانب كبير من حسن الذوق ورقة الشعور حتى في مجالس شرابه ، وكان هو وندماؤه يرتجلون الخمريات التي تمتاز بالركة البالغة وطلاوة التعبير ، هذا الى أنه كان يقسم وقته قسمة عادلة بين اللهو والعمل ، وقد ينتقل من الانكباب على اللهو الى الانكباب على تصريف أمور الدولة (٤) ، ومن أعجب الأمور أن هذا الطاغية الذي كانت نساؤه حريمه الجميلات يضطربن من نظرتة المروعة قد نظم في بعضهن أشعارا تسيل رقة وعذوبة .

كان بين باديس والمعتضد ما بين العرييد البربري والماجن المتحضر من الفارق ، لكن مهما يكن الأمر فقد كان باديس البربري أقل من صاحبه دناءة طبع ، اذ لم يكن مسرفا في جرائمه ، على حين أن المعتضد كان لغزا حتى على خلانه ، فتراه يحاول بنظرتة الفاحصة أن يتعرف على دخائل الآخرين وطواياهم الخفية ويدركها ، لكن لم يحدث قط أن عرف أحد ما ينطوى عليه صدره وما بجول بخاطره لجمود وجهه وعدم تغير نبرات صوته (٥) .

ولقد لقي أمير غرناطة حتفه في ميدان الوغى ، أما صاحب اشبيلية فعلى الرغم من دأبه على شن الحروب وعلى الرغم من أنه لم تكن نعوزه الشجاعة الا أنه لم يقدر الجيوش بنفسه غير مرتين أو ثلاث مرات فقط في حياته كلها ، فقد كان يدير أمور الحرب وهو مترفة ، جالس فوق أركنته (٦) ، بعيد عن مكابذتها .

كان باديس مسرفا في مكائده وان كان من اليسير احباطها ، أما المعتضد فكان يحكم تدبيرها وتنظيمها حتى قل أن أخطأت هدفها ، وتلك ناحية من نواحي عبقريته ، ويروى المؤرخون بشأن هذا الموضوع قصة تستحق الايراد ، فقد حدث في أثناء محاربتة « قرمونة » أن اتصل سرا بأحد سكانها من العرب ، الذي أخذ يفضي اليه بحركات البربر وخططهم ، ومن الطبيعي أن يتخذ المعتضد الحيلة الشديدة حتى لا تقع الرسائل التي يتبادلها هو والعربي في يد أحده ما وحتى لا يخامر الشك

احدا فيما يجرى ، واتفق المعتضد مع جاسوسه العربي على الخطة التي تكون بينهما ، فاستقدم ذات يوم الى قصره رجلا ساذجا كبير الغفلة من فلاحى تلك الناحية وقال له : « خل عنك هذه التياب واليك هذه الحبة على أن تفعل ما أمرك به » ، فسر الرجل غاية السرور ولبس الحبة دون أن يحدس أن فى جيبها رسالة أراد المعتضد أن يدفعه الى حملها الى رجله بقرمونة ، وتعهد الرجل أن يؤدي باخلاص ما يلقى اليه الأمير من الأوامر ، واذ ذاك قال له المعتضد : « اخرج الى قرمونة فاذا وصلت بقرمونها فاجمع حزمة حطب وادخل بها البلد وقف حيث يقف أصحاب الحطب ولا تبعها الا لمن يشتريها منك بخمسة دراهم » .

وعلى الرغم من أن الفلاح لم يدرك مطلقا علة تلك الاوامر العجيبة الا أنه أطاعها ثم غادر أشبيلية ، حتى اذا قارب قرمونة أخذ يحطب ولم يكن من عادته الاحتطاب ، ثم دخل المدينة متأبطا حزمة صغيرة من فروع الشجر ووقف بها على قارعة الطريق ، فمر به رجل سألته : « بكم نبيع يا رجل حزمتك هذه ؟ » فقال : « لا أبيعها الا بخمسة دراهم » ، فضحك الرجل منه وقال له : « ما أراك نبيع الأبنوس يا هذا » ، فقال آخر كان يسمع ما قيل ويرى ما جرى : « بل انه ليبيع العود الهندي » ، وراح الناس يسخرون منه ويتضحكون عليه ، وكاد النهار أن ينقضى حين قدم عليه رجل لم يكن سوى جاسوس المعتضد وسأله عن النمن الذي يطلبه فيها فاشترها منه بما قال ، ثم قال له : « قد اشتريتها فاحملها الى البيت ، وسوف أدلك على الطريق » . فلما بلغا الدار ألقى الفلاح بما يحمل وأخذ دراهمه الخمسة ، حتى اذا هم بالانصراف سأله رب البيت أين تريد الذهاب فى هذا الوقت من الليل ؟ ، فأجابه : « أرجل فاست من أهل هذا البلد » ، فقال صاحب الدار : « أما علمت خوف الطريق ؟ ٥٠٠ بت الليلة عندي وتناول عشاءك ، فاذا أصبحت رجعت الى منزلك !! » .

فاستجاب له الرجل شاكرًا يده عليه ، وانسأه الطعام الجيد ما عاناه من سخرية القوم به ، حتى اذا شبع سأله رب البيت « من أين أنت ؟ » ، فقال له « أنا من بادية أشبيلية » . فسأله : « يا أخى ما جاء بك الى هذا الموضع وقد علمت نكد البربر وشؤمهم وهوان الدماء عليهم ؟ » .

فقال : « حملتنى على ذلك الحاجة ، وماذا يدعوهم للتعرض بسوء لرجل تافه الثنائ منلى ؟ » وراحا ينحذران حتى أخصن الفلاح بالنوم يقهره ، واذ ذاك سار به مضيغه الى المكان الذي أعده له ، وأراد الضيف أن ينام دون أن يخلع ملابسه الا أن القرمونى قال له : « اخلع عنك فهذا أهنا لنومك وأروح لجسمك » .

فخلع الرجل جنبه وسرعان ما استغرق في النوم .

حينئذ أخذ الجاسوس الجبة ففتق بطانتها حيث وجد كتاب المعتضد له فقرأه وكتب رده في لحظته وجعله مكان كتاب الأمير ، ثم أعاد الجبة الى حيث وضعها الفلاح الذي بكر في الاستيقاظ ولبسها شاكرا للقرموني حسن كرمه ، ثم انصرف عائدا الى اشبيلية ، فلما دخلها وقف أمام المعتضد وقص عليه خبره ، فقال له الأمير وقد تهدج صوته فرحا : « اخلع نلك الجبهة واليك نوبا جيدا » .

سعر الرجل بالفرح الشديد وأخذ ما خلعه عليه الأمير وراح يقص في ازدهاء على أصحابه وجيرانه ومن يعرفهم أن الأمير شرفه بما يشرف به ذوى المكانة وكبار عماله ، ولم يدر الرجل أن الأمير انخذ منه ساعيا عجيبا يحمل الرسائل التي كانت لا بد وأن نؤدى الى قتله لو أنه وقع في يد البربر ووقفوا على أمره (٧) .

كان أمير أشبيلية [المعتضد عباد بن محمد] واسع الحيلة ، ناجح الوسائل في فنون الحرب وشتى ضروب المكائد ، وكان جم التدابير ، مسرفا في التفتن في الكيد لمن ينير غضبه ، حتى لقد حدث ذات مرة أن هرب منه رجل الى قطر آخر وذهب الى أقصى الأرض فلم ينجح ذلك من انتقام الأمير المعتضد ، ويروون في ذلك أنه وضع يده على أموال رجل أعمى ثم ذهب بباقي ماله حتى افتقر ، فمضى الرجل الى مكة يلتمس فيها العيش بالتسول ، ودأب في الدعاء جهرا على هذا الطاغية الذي اضطره الى سؤال الناس ، فلما علم المعتضد بخبره استقدم اليه رجلا من مواليه كان ذاهبا الى الحج وناوله حقا فيه دنائير طلاها بالسهم الناقع وقال له : « لا تفتح هذا الحق حتى تدفعه الى فلان الأعمى ، وسلم عليه عنا » ، فوعد الرجل بتنفيذ هذه الأوامر ومضى في سبيله ، فلما بلغ مكة لقي الكفيف وقال له : « هذا من عند المعتضد » .

فقال الرجل : « كيف يظلمنى بأشبيلية ويتصدق على بالحجاز ؟ » .

فقال الحاج : « لعله أنكر ما فعله معك فخذ اليك ما بعته » .

فقال له الأعمى : « جوزيت خيرا واشكر للأمير يده » .

ثم أخذ المال وأسرع الى كوخه الحقير ، ثم أغلق بابه عليه وشرع يعالج فتح الحق .

لم يكن من هناك هو أعظم نشوة وسرورا من هذا البائس الذي ظل

يصارع المثربة زمنا طويلا حين وجد نفسه فجأة وعلى غير انتظار رجلا موفور
الثراء ، ولولا عمى عينيه لمتع ناظره بهذه الحفنة من الذهب ولافتتن ببريق
تلك النقود ، غير أن ذهاب بصره حرمة لذة التمتع بذلك ، فقامت حاستنا
اللمس والسمع عنده مقام حاسة البصر ، واستبدت به الفرحة فأخذ
يتحسس دنائره ويتسمع رنينها ، ويعدها بين آونة وأخرى ، ويضعها في
فمه ويتذوقها ، فسرى السم الناقع في دمه ، ولم يأت المساء حتى كان
جثة هامدة (٨) .

لقد كان باديس والمعتضد رجلين فظين غليظي القلب ، ولكن فظاظة
أحدهما كانت تختلف عن فظاظة الآخر ، فبينما نرى الأول يكتر في نوبات
غضبه الأحمق من قتل ضحاياه بيده، إذا بنا نرى المعتضد قل أن يجور على
مهمة جلاده ، ومع أنه لا يحب تلطيخ يديه بالدماء الا أن حفده كان حقا
لا يهدأ سعيره ، وهو أشد تأججا مما في نفس خصمه عليه .

كان باديس إذا مات عدوه هدأت شرة نفسه وقنع بما كان ، وعمد
الى رفع رأس القتيل على خشبة كما جرت العادة ، ثم لا يذهب الى ما هو
أبعد من ذلك ، أما أمير أشبيلية فكان على النقيض منه لا تسلم سخيته
أبدا ولا تتألف نفرتة قط ، بل انه ليلتبتع ضحاياه حتى بعد قتلهم ،
ولا يبل رؤية بقاياهم ارضاء لعواطفه الوحشية .

ولقد شابه الخليفة المهدي اذ كان يفرس الأزهار في جماجم قتلاه ،
ويضعها في درج قصره ومسالكه ، ويعلق بكل أذن رقعة تحمل اسم
صاحبها ، وكان يشعر بالفرحة على حد قوله كلما سار في تلك الحديقة
التي لم تكن تحتوى الا على أعلى الرؤوس ألا وهي رؤوس الأمراء الذين
تغلب عليهم وقهرهم ، بل كان يبالي في المحافظة على أمثال هذه الرؤوس
في خزانة داخل قصره (٩) .

على أن هذا الوحش القاتل كان يمد نفسه أعدل الناس ، وكأنه
« تبتس » جاء لاسعاد النوع الانساني فقال في احدي قصائده :

قلو أردت الهى بالورى حسنا	فملكنى زمام العرب والعجم
فاننى لا عدلت الدهر عن حسن	ولا عدلت بهم عن أكرم الشيم
أقارع الدهر عنهم كل ذى كلب	وأطرد الدهر عنهم كل ذى عرم (١٠)

الفصل السادس

استفحال أمر المعتضد حرييا

تخوف المعتضد من بربر قرمونة على عرشه • حقه على اسحق
ابن محمد بن عبد الله أميرها • حركاته العدوانية على مرتولة وليلة تؤدي
الى تحالف ضده • افساده في نواحي بطليوس في غياب صاحبها • هزيمة
المظفر بسبب رعونته • الصلح بين المظفر والمعتضد بفضل مساعي ابن
جهور • انصراف المعتضد الى مضايقة لبلبة وولبة وشلب • وعهده بالأخيرة
الى ولده المعتمد ابن عباد • زيارته الفجائية لمورور وافساد كبار بربرها
بالرشاوى • وقوفه على مؤامرة يدبرها بربر رندة وهو نائم عندهم
فيعرفها فيكتم علمه بها • البربر يدبرون هذه المؤامرة ولكن يسفها
ابن أبي قررة من الناحية الأخلاقية •

المعتضد يدبر مؤامرة ضدهم ويقتالهم وهم ضيوفه ولا يستثنى منهم
سوى ابن أبي قررة ويستبقه عنده مكرما • سقوط رندة في يد المعتضد •

استفحال امر المعتضد حريبيا

بعد أن فرغ المعتضد من قتل حبيب وزير أبيه وموضع ثقته (١) شرع في محاربة البربر لاسيما جيرانه بربر فرمونة ، وكان عنده من المبررات ما يدفعه للحقد عليهم ، فقد كان كبير الاعتقاد بأنهم لابد أن يسلبوا العرش منه أو من أولاده من بعده ان لم يبادر هو الى الوتوب عليهم والتخلص منهم ، وقد تنبأ له المنجمون أن زوال ملكه سوف يكون على أيدي جماعة من الوافدين (٢) على سببه الجزيرة ، ومن ثم بذل قصارى جهده لاستئصال شأفتهم فحاربهم حربا دامت زمنا طويلا ، فقتل محمد [بن عبد الله] - أمير فرمونة - سنة ١٠٤٢ - ١٠٤٣ م [٤٣٣ هـ] بعد أن استدرجه رجال المعتضد الى كمين نصبوه له (٣) .

لكن ذلك لم يذهب بالكراهية التي ظلت في صدره باقية قوية فتحركت ضد ابنه اسحق (٤) .

على أن المعتضد قام في الوقت ذاته بمد حدوده غربا حيث انتزع في سنة ١٠٤٧ م [= ٤٣٨ هـ] « مرتولة » من ابن طيفور (٥) ، ثم ثنى بمهاجمة صاحب « لبله » ابن يحيى الذي لم يكن بربريا بل عربيا ، بل ما كان للمعتضد أن يعبا بوشيجة النبعة هذه طالما هو يسعى لمد حدوده وتوسيع رقعة أرضه ، مما دفع ابن يحيى لعبور المضيق والقاء نفسه في أحضان البربر ، فنهض « المظفر » أمير « بطليوس » لمعاونته وصد المعتضد وكون حزبا قويا ضده ، وانضم اليه باديس ومحمد صاحب مالفه ومحمد أمير الجزيرة الخضراء ومن ثم قام أبو الوليد [محمد] بن جهور الذي حلف أباه سنة ١٠٤٣ م [= ٤٣٥ هـ] كرئيس لحكومة قرطبة وبذل قصارى جهده لتقريب سقاة الخلاف بين الفريقين ، لكن ذهب كل جهوده ادراج الرياح اذ لم يصغ أحد لسفرائه .

اتفق البربر فيما بينهم على الزحف على أشبيلية حالما تنجم قواهم - ويتصل بعضها ببعض ، الا أن المعتضد حال بينهم وبين ما يعتمونه فقد اغتنم فرصة غياب المظفر [محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة] الذي لم تكن لديه قوة كافية للدفاع عن مملكته (٦) فعاش في نواحي « بطليوس » ، ثم تولى بنفسه قيادة جيشه على غير عادته ، وزحف على « لبله » وهاجم

الأعداء عند ممر قريب من أبواب المدينة وردهم على أعقابهم الى « ريو تنتو » ،
بيد أن المظفر نجح في جمع رجاله ودفعهم للقتال وأرغم المعتضد على
الارتداد .

اتصل المظفر بعدئذ بحلفائه ، لكن بينما كان هو وإياهم آخذين في
العيث بالندمير في الاقليم الشمالى انفصل يحيى عنهم ، وأرغمه المعتضد
على التحالف معه ، فعاقبه المظفر بالحوطة على الأموال التى كان قد عهد
بها اليه ، وشرع فى نهب اقليم « لبله » (٧) ، واذ ذاك استصرخ ابن يحيى
بالمعتضد الذى هاجم قوات « بطليوس » ودفعها الى كمين رصده لها وأنزل
بها الهزيمة ، ولم يكتف بهذا النصر بل أرسل ابنه اسماعيل فخر
ارباض « يابرة » .

وأراد ملك بطليوس دفع هذا الهجوم فأمر أن يحمل السلاح كل قادر
على حمله ، وجاءته نجدة من حليفه اسحق صاحب قرمونة وخرج بها لمقاتلة
العدو ، ونصح به بربر قرمونة أن يرجع عما هو بسبيله لكنه جعل كلامهم
دبر أذنه ، فقالوا له : « لا تلقهم فلست تعرف قدر من زحف نحوك ،
ونحن رأيناهم وسمعنا يجمعهم بأشيبيلية » ، فلم يستمع المظفر الغضوب
الى كلامهم ومضى فى طريقه ، وقد كلفته جراته ثمنا غاليا اذ منى بهزيمة
ساحقة ، وفقد مالا يقل عن ثلاثة آلاف فارس من رجاله ، وكان من بين
القتلى ابن أمير قرمونة الذى تولى قيادة عسكر أبيه وقد حملت رأس هذا
الشاب الأمير الى المعتضد الذى وضعها الى جانب رأس جده .

وقدر لبطليوس أن تبقى زمنا غير قصير مسرحا لأحداث ضخمة حيث
أغارت الحوانيت وأقمرت الطرق من السابلة وهلك نخبة أهلها فى هذه
الوقعة المبيدة (٨) ، وأراد الاشبيليون أن يبلغ النكد غايته فدأبوا على
اتلاف المحاصيل حتى تهلك المبيعة الملكة ، ووقف المظفر [محمدا بن
عبد الله] مكتوف اليدين ، فقد تخلى عنه حلفاؤه الذين توسل اليهم أن
يجيئوا لمساعدته فلم يستجيبوا له ، وقضى عليه أن يبقى ببطليوس ساكنا
لا يستطيع القيام بعمل ما ، تقلة الرعدة ويقطع أنامله غيظا ، ومع ذلك
لم تفارقه كبرياؤه فلم ينسأ أن يقبل الصلح على الرغم من أن أعداءه
المنتصرين لم يرفضوا توسط ابن جهور ، بل تظاهر بعدم اكترائه بخسائره
حتى لقد بعث رجاله لشراء بعض المغنيات من قرطبة وكن نادرات الوجود
اذ ذاك ، وبعد طول البحث والتقصى عثروا على اثنتين متوسطتى المواهب ،
ولقد عجب الناس بادئ ذى بدء لرعونة ملك بطليوس ، فقد عرفوه رجلا
وقورا منصرفا الى الجاد من العمل ، ولم يعهدوا فيه الميل من قبل الى
الجوارى ، ولم يفهم القوم سر اقدامه على شراء الفتيات واختياره بالذات
هذه اللحظة التى كانت بلاده خلالها مسرحا للخزاب الشامل ، غير أن

العجب زال حين أدركوا سر سلوكه هذا ، ذلك أنه علم أن المعتضد اشترى جارية ذائعة الصيت حسنة الغناء حين تناهى الى سماعه خبر بيع مخلفات أحد الوزراء القرطبيين ، لذلك أراد المظفر أن يثبت لعدوه أن في طاقته الاهتمام بالجوارى ، فقام واشترى هاتين الجاريتين .

غير أن ابن جهور دأب على اصلاح ذات البين ، وقدر لمجهوداته أن تكلل بالنجاح فى شهر يوليو ١٠٥١ م [= ٤٤٤ هـ] اذ توصل المظفر والمعتضد حينذاك وبفضل وساطته الى عقد الصلح فيما بينهما بعد مفاوضة طال أمدها (٩) .

حينئذ جيش المعتضد جميع قواته ضد ابن يحيى صاحب لبلة الذى كان قد أذعن لمطالبه من قبل ، ولم ير المعتضد فى هذه الحملة الأ نزهة حربية ، ولما كان ابن يحيى يدرك تمام الإدراك ضعف ما تحت يده من العسكر فإنه لم يحاول الدفاع عن نفسه ، بل شخص الى مدينة قرطبة قاصداً أن يمضى بها بقية أيام حياته ، كما بع المعتضد اليه بكتيبة (١٠) لحراسسته .

أما الأمير الذى كان يحكم فى تلك الأثناء فى « ولبة » وجزيرة « شلطيش » الصغيرة واسمه [عز الدولة] « عبد العزيز البكرى » [٤٠٣ - ٤٤٤ م] فقد أدرك أن قد حان دوره لكنه كان لا يزال يطمح فى انفاذ شئ ما ، ومن ثم بادر الى مكاتبة المعتضد مهثنا اياه بفتحه الجديد ، ومذكرا اياه بالعلاقات الودية التى كانت على الدوام بين أسرته وأسرة بنى عباد ، وأعلن تبعيته له ، وتنازله له عن « ولبة » على أن يترك له جزيرة شلطيش ، فقبل المعتضد عرضه وتظاهر برغبته فى مفاوضته وجها لوجه ، ثم سار الى ولبة فرأى عبد العزيز البكرى أن الصواب يقتضيه ألا ينتظره فانتقل بأمواله الى شلطيش ، فلما استولى المعتضد على « ولبة » انكفأ راجعا الى أشبيلية ، الا أنه ترك بولبة أحد قواده ، وكانت مهمته منع [عز الدولة] عبد العزيز من مغادرة جزيرته ، والحيلولة دون وصول أحد ما اليه ، فلما سبغ عبد العزيز بذلك اتبع أقوم سبيل فأخذ فى مفاوضة قائد المعتضد وبناع لأمير أشبيلية مراكبه وعدده الحربية بعشرة آلاف دينار ، وحصل على الأذن لنفسه بالمضى الى قرطبة ، وأراد المعتضد الخائن أن يستدرجه أثناء رحلته الى شرك نصبه له ليستولى على ما معه من الأموال ، الا أن البكرى أفسد عليه خطته وطلب من أمير « قرمونة » جماعة من الحرس استطاع بهم الوصول الى قرطبة سالما (١١) .

أخذ المعتضد بعد ذلك فى مهاجمة ولاية « شلب » الصغيرة التى تخضعها جماعة من العرب هم بنو مزين (*) الذين كانت أملاك أسلافهم تمتد

(*) يضم الميم وفتح الزاى بعدها ياء ساكنة ثم نون .

فى تلك النواحى من شبه الجزيرة ، والذين شغلوا الوظائف الكبرى زمن
الأمويين (١٢) .

آثر أمير سلب الموت على الحياة فاستبسلى غاية الاستبسالى فى
الدفاع عنها ، الا أن الجيس الاشيبلى تمكن أخيرا من الاستبلاء عليها ،
وكان هذا الجيتس بقيادة محمد بن المعتضد ، ولم تكن قيادته اياه الا اسمية
اذ لم يكن لبتجاوز اذ ذاك الثالثة (١٣) عشر من عمره ، وكان ابن مزين
قد بذل جهده حتى يموت فى ساحة الوغى الا أن المعتضد أبقى عليه وقنع
بنفيه (١٤) .

حينذاك عهد المعتضد بحكومة « سلب » الى ولده [المعتمد] محمد بن
[عباد] ، ثم سير جيشه للزحف على بلدة « شنت مرية » الواقعة قرب
الرأس الذى لا يزال يعرف الى اليوم برأس شنت مرية ، وكان الخليفة
سليمان قد أقطعها الى رجل اسمه « سعيد بن هرون » من « ماردة »
لا يدري أحد أصله ، فليس هو بالعربى وليس هو بالبربرى . . والأرجح
أنه من أصل أسباني لأن الرجال المجهولين عند المؤرخين العرب انما هم فى
العادة من الأسبان ، فلما مات سليمان أعلن سعيد بن هرون استقلاله
بشنت مرية ، ثم خلفه فيها بعد موته ابنه محمد [بن سعيد المعتصم] الذى
هاجمه الاشيبليون فلم يصمد طويلا أمام هجماتهم ، واستولى المعتضد على
الناحية الممتدة من شنت مرية الى سلب وأراد أن يحكمهما معا ابنه
محمد (١٥) [المعتمد بن عباد] سنة ١٠٥٢ م [= ٤٤٤] .

أدت هذه الفتوحات السريعة الى اتساع رقعة أملاك صاحب أشيبلية
اتساعا عظيما فى الناحية الغربية ، على حين كانت فتوحاته فى القسم
الجنوبى الواقع تحت حكم أمراء البربر ضئيلة نسبيا ذلك لأن أغلب أولئك
الأمراء كانوا لا يزالون على وفاق مع المعتضد والاعتراف بسلطانه ، أو على
الأصح بسلطان المدعو هشام الثانى ، غير أن المعتضد لم يقنع بما تم له ،
بل كان همه تمزيق أوصال أولئك الأمراء والاستيلاء على ما بيدهم من
الولايات ، لكنه أخذ نفسه بسياسة التمهل والتريث والحذر ، ونهج نهجا
اتسم بالاعتدال ، فلم يئسا أن يخاطر بنفسه فى محاولة صعبة الا بعد أن
يستتب له الأمر فى النواحى التى تم له فتحها .

بعد أن تم للمعتضد الاستيلاء على « سلب » استصحب معه خادمين
ورحل بهما لزيارة اثنين من أتباعه هما : « محمد » ابن نوح صاحب
« مورور » ، و « هلال بن أبى قره » أمير « رندة » دون أن ينبئهما من
قبل بزيارته ، ولقد يعجب الانسان حقا حين يرى أنه لم يكن من العقل
ولا الصواب أن يضع المعتضد نفسه تحت رحمة أولئك البربر مع ما يضمرونه

له من المقت الشديد ، لكن الواقع هو أنه لم تكن تنقصه الجرأة ، وانه كان يشق بصدق عهود غيره ، رغم ما طبع عليه هو نفسه من الغدر بجميع الناس وعدم وفائه بما يقطع لهم من عهود .

وصدق ظنه ففد لقي أحسن استقبال في « مورور » ، ولم يخف « ابن نوح » فرحه بهذه الزيارة غير المتوقعة ، فبالغ في اقامة الولايم له ، وعاد يؤكد من جديد بقاءه على الولاء والطاعة ، غير أن المعتضد لم يكن قد حضر ليسمع السناء عليه أو لبرى النرحيب به ، لكنه جاء من أجل غرض آخر ، ذلك أنه أراد أن يسبر غور القوم في الميل اليه ، وأن يكتسب الى جانبه - ان أمكن - فريقا من ذوى النفوذ ، وأدرك فى يسر أن السكان العرب يتحرقون شوقا للتخلص من نير البربر ورآى أنه مستطيع الاعتماد على معونتهم اذا جد الجهد وتعقدت الأمور ، وقد تمكن المعتضد بفضل ما حملة خادميه من الاحجار الكريمة والمال أن يفسد كثيرا من الضباط البربر على رؤسائهم دون أن يحدثس [محمد] بن نوح بمكائده .

رضى المعتضد كل الرضى بما تمخضت عنه هذه الزيارة من النتائج ، ثم تابع رحلته الى « رندة » حيث قوبل فيها بنفس الاستقبال الكريم والروح الطيبة التي قوبل بها فى « مورور » ، ونجحت وسائله السرية هنا أيضا ، بل ربما كان نجاحها هنا أعظم ، ذلك لأن عرب « رندة » كانوا أكثر تطلعا من عرب « مورور » للتحرر من حكم البربر .

والظاهر أن بنى أبى قرة كانوا أقسى من بنى نوح ، ومن ثم نصب المعتضد شباك مؤامرة واسعة النطاق لا تلبث أن تنفجر عند أول اشارة ، فقد حدث فى ختام احدى الولايم - وقد استبدت الخمر بالرؤوس أن أحسن المعتضد بحاجته الى النوم فأبداها لمضيفه فقال له أبو قرة : « افعل ما بدى لك يا مولاي » ثم سجاه على الفراش .

ومضى بعض ساعة ظن القوم أن المعتضد قد استغرق فى سباته ، وما كان الأمر كما ظنوا فقد كان متظاهرا بالنوم واذا ذاك نهض أحد شيوخ البربر وسأل عشيرته أن ينصتوا اليه برهة فان عنده خبرا هاما ، فأنصتوا اليه فقال لهم بصوت منخفض : « هذا كبش سمين حصل لكم ، والله لو أنفقتم ملك الأندلس عليه ما قدرتم على حصوله فى أيديكم ، وهو شيطان الأندلس ، واذا قتل خلصت لكم البلاد » ، فلم يجيبوه ولاذوا كلهم بالصمت كان على رؤوسهم الطير واكتفوا بتبادل النظرات ، وكانت فكرة قتل هذا الرجل الذى يخشاه الجميع ويمقتونه ويعرفون أساليبه الملتوية ترضى كل الرضى أولئك الرجال الذين ألفوا جميع ضروب الجرائم منذ صغرهم ولم تظهر على قسماط وجوههم السمراء دلائل الدهشة أو

الامتعاض ، الا أن رجلا من بينهم - كان أصدق منهم وفاء - سمر بهياج دمه حين فكر في ضخامة الخيانة الدنيئة التي هم مقدمون عليها ، ذلك هو « معاذ بن أبي قره » أحد أقارب أمير رندة ، فاتقدت عيناه غضبا وهب واقفا وقال لهم في صوت خافت وان يكن قوى النبرات :

« لا فعلنا هذا ولا رضينا به ! » .

« رجل قصدنا ونزل بنا ولو علم أنا نرضى فيه بقبيح لما أتانا مستأما
الينا » .

« كيف تتحدث عنا القبائل أننا قتلنا ضيفنا وخفرنا ذمتنا ؟ » .

« فعلى من يرضى هذا لعنة الله » .

أثر هذا القول الكريم في نفوس البربر وحرك معاذ « بن أبي قره » فيهم الشعور بما تقتضيه واجبات الضيافة ، فكأنه بذلك مس من قلوبهم وترا من العبث أن يتلاشى عند شعوب آسيا وأفريقية .

كان المعتضد في تمام اليقظة وان تظاهر بالنوم ، فسمع كل الذي قالوه وهو مكروب أشد الكرب ، الا أن كلام معاذ فيهم رد عليه جأشه وطمان خاطره ، فتظاهر بالاسنبقاظ وانضم اليهم في مجلسهم ، فبادروا جميعا للوقوف له مجددين السلام عليه والتلطف اليه ، وقبلوه ، وراحوا يتملقونه كأنما وخزتهم ضمائرهم ، ولعلمهم أخذوا يلومون أنفسهم سرا على أن خطرت ببالهم فكرة اغتيال ضيفهم حين قال لهم الأمير :

« ما حملت معي من الخلع غير القليل ، فأتوني بدواة وقرطاس ،
وليكن لكل منكم خلع ودنانير وأفراس وعبيد وجواري » .

فلبوا منسيئة الأمير الذي ما كاد يبلغ أشبيلية حتى نوافدت عليه رسل البربر زرافات بعضها في أثر بعض ، ثم عادوا من عنده الى « رندة » محمليين بالهدايا الرائعة .

وتوثقت عرى المودة بين المعتضد والبربر منذ ذلك الحين ، وسحب النسيان ذيوله على ما كان بين الجانبين من أحن وأحقاد ، وحل محل ذلك كله رباط وثيق من المودة التي لا انفصام لها ، وتمكنت بين الطرفين وشائج المحبة والصدقة العظيمة القلبية ، بحيث إذا انقضى نصف عام على زيارة المعتضد لرندة ومورور كتب الى سيوخهما يدعوهم الى وليمة كبرى يقيمها خصيصا لهم ، زاعما أنه يريد اظهار شكره لهم جميعا على جهيل لقائهم اياه ، كما بعث في دعوة ابن خنزرون البربري صاحب أركن وشريش ، وسرعان ما وصل الأمراء الثلاثة الى أشبيلية سنة ١٠٥٣ م [= ٤٤٥ هـ]

فبالغ في اكرامهم غاية الاكرام و « طيب لهم ولمن معهم الحمام » كما جرت العادة ، الا أنه احتال فأبغى معاذًا الشاب الى جواره .

ودخل الحمام ما يقرب من ستين بربريا فلما نضوا ما عليهم من النياب في الحجرة الأولى دلفوا الى الثانية وهي الحمام ذاته ، وكان كمثيله اليوم (*) في البلدان الاسلامية مبنيا من الحجارة ومغطى بالرخام ، تعلوه قبة بها فتحات على شكل نجوم عليها زجاج خشن غير مصقول وتمتد القنوات من الرخام بعضها الى جانب بعض وتخرج من الجدران أنابيب تتصل بمراجل تجعل درجة الحرارة شديدة الارتفاع .

بينما كان البربر ينعمون ببلدة الاستحمام سمعوا شبه حركة كأنها صادرة من بنائين يقومون بالبناء فلم يلقوا الى ذلك بالا في بادئ الأمر ، الا أن الحرارة اشتدت حتى أصبحت لا تطاق فعالجوا فتح الباب لكن ما كان أسد فزعهم حين وجدوه قد سور من الخارج وأغلقت عليهم جميع منافذ الهواء فاخنقوا جميعا وهلكوا حيث هم (١٧) .

طال انتظار معاذ لرفاقه فاشتد قلقه عليهم ، ثم نجاسر على الاستفسار من المعتضد عن سر ابطائهم في العودة اليه ، فلم يكتمه الأمير الخبير ، ثم قال له وقد لاحظ ما ارتسم على وجهه من امارات الفزع المروع :

« لا برعك الذي جرى ، فقد حضرت آجالهم » .

« لقد أرادوا قتلى ولولاك ما كنت حيا ولا نجوت منهم » .

« وانما جعل الله صيانة دمي بك ، فان أردت أن أقاسمك في جميع ما أنا فيه فعلت » .

« وان أحببت الرجوع الى بلدك رددتك على أجمل الوجوه وأحسنها وأسرها » .

فرد عليه معاذ في صوت فيه رنة الأسى العميق : « وبأى وجه أرجع أنا دونهم ؟ » .

فقال له المعتضد : « لا عليك ، وابق معي ان شئت » .

ثم التقى الى أخذ خدمه وقال له :

« أعد للأمير فصرا ، ورتب له ألف دينار وعشرة أفزاس وثلاثين جارية وعشرة أعبد » تم عاد مخاطبا معاذًا قائلا له : « ولك كل اثنى عشر ألف دينار » .

(★) كتب هذا منذ قرن تقريبا وقد اندثرت هذه الحمامات اليوم أو كادت . انظر :
Lane : Modern Egyptians

أقام معاذ فى أشبيلية ينقلب فى مطارف النعيم والبلهنية ، واعتاد المعتضد أن يرسل إليه كل يوم غالى الطرف وأندرها ، كما وكل إليه قيادة احدى كنانب جينسه (١٨) . وكان كلما جمع وزراءه لمساورتهم فى سئون الدولة جعل الصدارة فيهم لمن هو مدين له بحيانه .

وضع المعتضد رؤوس أولئك السادة البربر فى خزانه رؤوسه العجيبة التى كان يلذ له التمتع بمشاهدتها ، ثم أنفذ جنده للاستيلاء على «أركش» «ومرور» «شريس» «ورندة» وغيرها من الأماكن . ولم يجد الجند عناء فى تحقيق مهمتهم بفضل مساعدة السكان العرب لهم ، وبفضل معونة الخونة الذين استطاع المعتضد رشونهم فاشتراهم الى جانبه ، غير أن الاستيلاء على «رندة» - التى ولى الحكم فيها «أبو نصر» - مكان أبيه المقتول استلزم من العسكر جهدا غير قليل ، وذلك لقيامها على جبل شاهق الارتفاع وحولها المنحدرات التى يصعب اجتيازها ، غير أن العرب تكاتفوا جميعا وقاموا بالثورة على البربر ووثبوا عليهم وفتكوا بهم فنكا ذريعا ، حتى ان أبا نصر ذاته حاول النجاة فلم يفلح ولم يستطع الهرب ذلك أنه فى اللحظة التى حاول فيها تسلق السور زلت قدمه ، وندرج جثمانه فهوى الى قاع ذلك المنحدر (١٩) .

أحس أمير أشبيلية بالفرح الشديد اذ سقطت رندة فى يده ، وبادر الى المبالغة فى تحصينها تحصينا أعظم مما كانت عليه من قبل ، فلما فرغت أعمال التحصين نهض لمشاهدتها ، فلما وقف أمامها شعر بالطمأنينة تغمره وأنشد (٢٠) :

لقد حصنت يا رنده	فصرت للمكنا عهده
أفادتناك أرمحاح	وأسياف لها حده
وأجنساد أشهداء	اليهم تنتهى الشده
غدوت بروننى مولى	لهم ، وأراهمو عهده
سأفنى مدة الأعداء	ان طالت بى المدة
وتبلى بى ضلالتهم	ليزداد الهدى جده
نظمت رؤوسهم عقدا	فحلت لبسة السده

الفصل السابع

انتقام باديس

اضطراب أحوال باديس النفسية • تديره خطة للانتقام من العرب
ومعارضة صمويل له • متابعة باديس لمؤامراته وتسريب صمويل خبرها
للعرب على يد حريم كبار رجال البلد • اضطراب أحوال المهاجرين وهروبهم
الى سبتة وموتهم جوعا • مقتل بربر رندة •
المعتضد يفتح الجزيرة الخضراء • اعلانه موت هشام الثاني • البزلياني
يحرك اسماعيل بن المعتضد ضد أبيه • نهب اسماعيل قلعة أشبيلية
وتفكيره في العودة للجزيرة الخضراء • المعتضد يفسد على اسماعيل خطته •
ويتظاهر باستجابته للحصرى في العفو عن ابنه اسماعيل • الصراع الخفي
بين الوالد والولد • انتشار الثورة بين البربر • هزيمة جيش اشبيلية
وغضب المعتضد على ولده المهتمد وضربه المتدردين بيد من حديد •
موت صمويل وتولى ابنه يوسف مكانه • عنجهية يوسف تؤدي الى غضب
العرب والبربر واليهود منه • الصراع بين يوسف بن صمويل وأبي اسحق
الالبيري • مصرع يوسف بن صمويل •

انتقام باديس

بينما كان المعتضد ثمالا بانتصاراته ، مسلما نفسه الى فورة النشوة كان باديس فريسة اضطراب راح ينزايد يوما بعد يوم تزايدا أفضى به الى أن يمزق ثيابه ، ويسلم نفسه للحزن ويستولى عليه الغضب فيستنخرط فى البكاء ، وذلك حين تناهى الى سمعه نبأ النازلة المروعة التى ألت بأدراء البربر ، وتناهيته الأفكار السوداء ، وأقضه ما علمه من تحرك جميع عرب « رعدة » بدافع العامل الوطنى فقاموا كلهم قومة رجل واحد للفتك بمضطهديهم ، ولم يكن هناك من يفهم « باديس » أن رعيته من العرب لم تتفق مع « عباد » ولم تتآمر معه عليه وعلى عرشه ، وهى الفكرة التى لم تفارقه ليلا ولم تبارحه نهارا ، بل انها أقضت مضجعه حتى بات يهدى ، وكان اذا اشتد به الغضب صاح وسب من حوله ، ثم يستولى الخوف على نفسه وتسود أمامها السبل فيلزم الصمت الممض وتملكه الكآبة فيصبح كالشجرة التى ضربتها صاعقة ، وكان ذلك مستغربا منه ، ثم يعكف على الشراب .

ودبر « باديس » فى السر مشروعا مروعا ، ذلك أنه رأى أن ابن يطمئن له بال مادامت بلاده تزدهم بالعرب ، وخيل اليه أن الفطنة تقتضيه استئصال شأفتهم ، واتفق على أن ينفذ خطته فى يوم الجمعة التالى حين نؤم جموعهم المسجد للصلاة .

ولما كان لا يقضى أمرا دون مشورة وزيره « صمويل » اليهودى فقد أنهى اليه ما انتهى اليه تدبيره ، وان يكن قد أفهمه عزمه القاطع على تنفيذ هذا الأمر سواء رضى « صمويل » عنه أم أنكره .

ولم يدخر اليهودى وسعا فى اظهار ما ينطوى عليه مشروع الأمير « باديس » من الخطر ، وحاول أن يثنيه عنه ويحمله على نبذه ، وسأله أن يتدبر الأمر ويتروى فينظر بعين واعية فيما تتمخض عنه هذه الخطة من العواقب قائلا له :

« هبك وصلت الى ارادتك ومن بحضرتك على ما فى استباحتهم من الخطر ، فكيف تقدر على الاحاطة بحميمهم من أهل حضرتك وبسائط أعمالك ؟ أتراهم يطمثنون الى الذهول عن فصائهم والاستقرار فى

مواضعهم ؟ ما أراهم الا سيوفا ينتظمون عليك فى جموع يغرقونك فى لججها أنت وجندك ! » .

وعلى الرغم من وجهة هذه الآراء الا أنها لم تجده استجابة فى نفس « باديس » الذى أصر على مشروعه ، وطلب الى « صمويل » أن يكتب الخبر كان لم يدر به ، لكنه فى الوقت ذاته أمر باتخاذ جميع الاستعدادات وبالتأهب ليوم الجمعة الذى اجتمع فيه شمل الجند وهم فى كامل عدتهم وسلاحهم بدعوى القيام بالاستعراض .

الا أن « صمويل » لم يقف ساكنا ، بل أرسل خفية الى شيوخ العرب وكبارهم بعضا من النسوة اللاتى يعرفنهم ، ينصحنهم بعدم الذهاب يوم الجمعة الى المسجد للصلاة ، وينرن عليهم بالبقاء فى بيوتهم فى ذلك اليوم . فامتثل الرجال لما أشارت به عليهن النسوة ، فلما كان يوم الجمعة المضروب ثم ينش المسجد للصلاة سوى نفر قليل من العامة ، فأحتد باديس غضبا من فشل تدبيره ، واستقدم اليه « صمويل » وعنفه « وقلده البوح بسره الذى ائتمنه عليه » ، فأنكر الوزير ما اتهمه به « باديس » وقال له :

« من أين ينكر على الناس الخبر وأنت قد استركبت جندك وجميع جيشك فى التعبئة ، لا لسفر ذكرته ، ولا لعدو وثب عليك ، فمن هناك حدس القوم على أنك تريدهم ، وقله أجمل الله لك الصنع فى نفاهم ، ووقاك شرهم . فأعد نظرك يا سيدى فسوف تحمد عاقبة رأى وغبطة نصحى » .

الا أن « باديس » ظل رافضا هذه النصيحة بدافع من سورة غضبه الرعناء حتى جاءه شيخ من شيوخ البربر فأيد الأسباب التى ذكرها « صمويل » ، واذ ذلك فقط اعترف « باديس » بخطئه (١) ، ولم يعد يفكر منذ ذلك الحين فى استئصال شأفة رعاياه العرب ، الا أن الجاح الهاربين من « مورور » و « أركش » ، و « رنده » الذين قدموا الى غرناطة التماسا للحياة فيها قد حملة على عقد النية على معاقبة العدو الخائن لبنى جنسه ، ومن ثم خرج لغزور « أشبيلية » على رأس جنسه ومن عنده من المهاجرين (٢) . وليست لدينا تفاصيل وافية عن هذه الحرب ، لكن كل ما هناك يحمل الانسان على الظن بأنها كانت حربا دامية ، لأن الرغبة فى الانتقام لمقتل البربر كانت تسعر نار الحقد فى قلوب رفاقهم ، ولأن الكراهية التى يضمها العرب - من جانب آخر - لأهل غرناطة كانت أشد من كراهيتهم للبربر ، اذ كانوا يعدونهم فسقة كفارا ، وأعداء الداء للدين الاسلامى لأنهم قبلوا أن يستوزروا يهوديا ، حتى لقد قال أحد الشعراء الأشبيليين فى تهنية للمعتضد بالنصر (٣) :

سقيت بسيفك أمة لم تعتقد الااليهود وان تسموا بربرا
ومن ثم كان الانسبيليون يعدون محاربة أهل غرناطة جهادا، يتابون عليه ،
فقاتلوهم أشد قتال حتى أرغموهم على الارتداد ، كما ساءت حال أولئك
« المهاجرين » اذ لم يسمح لهم المعتضد بالعودة الى وطنهم ، ولم يفبل
« باديس » اقامتهم فى غرناطة ، فاضطروا الى عبور المضيق حيث أرسوا
على مقربة من « سبينة » ، غير أن أميرها « سنوت » كره وجودهم هناك ،
ولما أنكرهم الناس جميعا فى وقت كانت المجاعة ابانه تخرب أفريقية فقد
عملت فيهم المجاعة عملها وأفنت منهم العدد الجم (٤) .

النفى المعتضد بعد ذلك الى محاربة « القاسم الحمودى » أمير الجزيرة
الخصراء الذى كان أضعف أمراء البربر ، فلا عجب اذن اذا ما بادر القاسم
الى الاستسلام ، طالبا من « المعتضد » الترفق به ، فأذن له « المعتضد »
بالاستنزال (٥) الى « قرطبة » وذلك سنة ١٠٥٨ [م ٤٥٥ هـ] .

ولما فرغ « المعتضد » من هذا الفتح الجديد رأى ان الوقت قد آن
لانزال السنار على المهابة التى ظل يقوم بتمثيلها حتى ذلك الحين ، وآن
فيها مقتنيا خطوات أبيه ، وذلك بأن جاهر فأعلن موت المدعو « هشاما »
الثانى وذلك لزوال الدواعى والأسباب التى كانت تحمل أباه على استغلال
اسم ذلك السلطان ، ولاعتقاد الجميع اعتقادا جازما باسحالة العودة الى
الماضى ، ولايمانهم بأن الخلافة قد انتهت الى شبر رجعة ، وقد بدت
التجربة كل شك حول هذه المسألة ، ولم تعد هناك جدوى ترتجى من
« حصرى » قلعة رباح ، وليس من المستبعد أن يكون الموب قد اختطف
منذ سنوات عدة هذا الرجل الذى لم يره أحد قط . من التسعب ولا البلاط ،
كما أنه لا يسبعد أيضا أن يكون المعتضد قد مل ثواءه عند ومقامه لديه
فقتله : وهذا خبر يذهب الى تأكيده رهط من المؤرخين الثقات ، وان كنا
لا نستطيع الجزم برأى قاطع فيه ، لأن أمير أشبيلية كان اذا أراد شيئا
عرف كيف ينجزه دون أن يعلم أحدا ما شيئا عنه .

لذلك قام « المعتضد » فى سنة ١٠٥٩ م [٤٥١ هـ] بجمع وجره
سكان عاصمته ، وأعلن اليهم أن الخليفة هشاما قد مات منذ حين بالصرع ،
ثم زاد فقال ان الأمور اقتضت اذ ذاك أن يكتب هذا الخبر لانشفاله بحرب
جيرانه . أما وقد استقر السلم بينه وبينهم فلا خوف عليه ان هو صرح
بموته ، وحينذاك عمد الى دفن جثة « حصرى » قلعة رباح بكل ما يليق به
من الاحترام كسلطان وأحاط الدفن بكل مظاهر الأبهة .

ولما كان « المعتضد » ذاته حاجبا لهشام فقد سحب الجثة مترجلا
دون طيلسان كما نعى موت الخليفة الى جميع حلفائه فى الشرق سائلا

أيامهم اختيار غيره ، وكان ذلك العمل منه أمراً لم يخطر ببال أحد منهم بطبيعة الحال ، ويقال انه ادعى حينذاك أن الخليفة الراحل استعمله على كل بلاد الأندلس (٦) ، ولا مشاحة في أن المعتضد كان يسعى سعياً حثيماً لبلوغ هذه الغاية التي كرس لها جميع جهوده وبذلك أخذ يتطلع للاستيلاء على عاصمة الخلافة القديمة .

عبر أن المقادير كانت تضم له الفشل الذريع .

كانت قوات « المعتضد » قد سننت كثيراً من الغارات على أرباض « قرطبة » ، وفي سنة ١٠٦٣ م [٤٥٦ هـ] (٧) أنفذ أمره إلى ولده البكر وقائد جيشه « اسماعيل » بالاستيلاء على مدينة « الزهراء » التي كانت نصف مخربة ، وكان ابنه اسماعيل كارها لهذا التكليف ، معترضاً عليه لاستيائه من سياسة أبيه وتأفقه من شرسته واستبداده ، حتى لقد اتهم أباه بأنه كثيراً ما عرضه للأخطار الجسام في الوقت الذي رفض فيه أن يمدّه بالعدد الكافي من الجند اللازم للقتال أو محاصرة مكان من الأماكن الحصينة ، كما أن هناك رجلاً أفاقاً طماعاً أخذ في تسعير غضب اسماعيل على أبيه « المعتضد » ذلك هو « أبو عبد الله البزلياني » (*) الذي هاجر عن مالقة حين استولى « باديس » عليها وآلت إلى قبضته .

كان هذا اللساس يطمح أن يبلغ بأى تمن مرنية الحجابة ، ولم يكن يعنيه لمن يستوزر ولا أين يستوزر ، ومن ثم حاول أن يبيت في نفس اسماعيل فكرة التمرد على أبيه ، ويغريه بتأسيس إمارة مستقلة في أى ناحية ، ولتكن الجزيرة الخضراء مثلاً ، ونجح البزلياني أشد التوفيق في خطته ، ذلك أنه في اللحظة التي تلقى فيها اسماعيل الأمر بالزحف على مدينة « الزهراء » كان الغضب قد بلغ به غايته في نفسه وطفح الكيل ولم يعد يحتمله . ومما يؤسف له أن أباه عاد فرفض من جديد امتداده بالقوات التي طلبها منه ، وراحت جهود الابن اسماعيل عبثاً في محاولته افهام أبيه استحالة مهاجمة إمارة قرطبة بهذا العدد الضئيل من الجند لا سيما إذا تنض باديس « إلى نجدة القرطبيين وهو أمر كان لا بد أن سيفعله . إذ كان حليفهم ، وحينذاك يقع اسماعيل بين سُقى الرحي ، قام بيد « المعتضد » مبالاً لسماح رأيه ، ولم يعرفه أذناً صاغية ، بل حنق عليه وقام في سورة غضبه فرمى ابنه بالجبن ، وأخذ يتوعده ، وكاد أن يقرن القول بالفعل إذ قال له : « لئن توانيت عن طاعتي حززت رأسك » .

خرج اسماعيل بالجبن وهو مجروح الكرامة ناغر الصدر على أبيه ؛ غير أنه مضى لاستشارة البزلياني الذي استطاع التغلب على مخاوفه في يسر ، وأفهمه أن قد دنت ساعة تنفيذ ما اتفقا عليه من قبل .

(*) البزلياني بكسر الباء الموحدة وسكون الزاي وكسر اللام بعدها ياء مثناة من تحت

والف ثم نون وياء .

حين أصبح اسماعيل على مسيرة مرحلتين من أشبيلية أفضى الى ضباطه أن قد سقطت عليه من عند أبيه رسالة يطلب اليه فيها المبادرة بالعودة اليه ، وان هناك أمرا خطيرا يقتضى مشافهته فيه ومناقشته اياه . ثم صحب البزلياني وثلاثين من حرسه وركبوا الجياد وعادوا على جناح السرعة الى « أشبيلية » التى لم يكن « المعتضد » بها آنذاك ، بل كان مقيما بحصن « الزاهر » الواقع على الجانب الآخر من النهر ، ووجد اسماعيل قلعة أشبيلية ضعيفة الحراسة فهاجمها واستولى عليها مغتتما أن الظلام قد مده طنبه على الدنيا ، ثم حمل ثروة أبيه على الدواب .

ورغبة من اسماعيل فى ألا يتمكن أحد من عبور النهر وينهى الى نازل حصن « الزاهر » خبر ما جرى فقد عمد الى اعراض السفن الراسية أمام القلعة ، ثم أخذ أمه ونساء الحرير وسار قاصدا الجزيرة الخضراء .

لكن على الرغم من الاحتياطات التى اتخذها اسماعيل للحيلولة دون وصول الخبر بما جرى الى أبيه فان أحد فرسان الابن استمبح مسلك الابن الشنيع فعبّر نهر الوادى الكبير سباحة وأفضى بالعصاة الى المعتضد الذى بادر فى الحال الى انهاض الفرسان لسد جميع المسالك أمام العصبة الفارين ، وأرسل الرسل الى أصحاب القلاع فأخبروهم فى الوقت الملائم بما جرى . فلا عجب ان وجد اسماعيل أبواب جميع الحصون التى مر بها مغلقة فى وجهه ، وخاف أن يجتمع أصحابها على مهاجمته ، فالتمس حماية « الحصادى » أحد أصحاب الحصون الواقعة على قمة جبل قرب كورة « شندونة » ، فأجابه « الحصادى » الى ما طلبه وان اشترط عليه البقاء حيث هو عند سفح الجبل ، ونزل اليه هو نفسه فى فريق من عسكره ، وأشار عليه حصافة أبيه ومصالحته ، وعرض عليه أن يسعى هو بينهما فى ذلك الصاح ، فقبل اسماعيل كل ما اقترحه « الحصادى » حين أدرك أن خطئه آيلة للفنسل ، وحينذاك أذن له « الحصادى » بدخول الحصن وعامله معاملة كريمة تتفق ومكانته ، ثم أسرع فكانب « المعتضد » ذاكرا له أن اسماعيل نادم على ما كان منه من هفوة فى حقه ، وأنه تائب عينا حدث ، والتمس منه العفو عنه ، فرد « المعتضد » ردا لم يكن متوقعا اذ بعث بالأمان الى ولده عن زلتته .

حينذاك عاد اسماعيل الى « أشبيلية » فترك له أبوه جميع أملاكه ، وان يكن فى الوقت ذاته قد أخذ فى مراقبته مراقبة دقيقة ، ولكنه أمر بقتل « البزلياني » ومن معه من المتآمرين ، فلما تنهى خبر ذلك الى اسماعيل - وكان خير من يعرف دهاء أبيه ومكره - لم يعد يرى فى صفح أبيه عنه الا شركا نصبه لاصطياده وللإيقاع به ، فشرع منذ ذلك الحين فى التأهب للعمل ، واستطاع بفضل المال يبسط به راحته أن يضم الى صفه الخرس

وبعضاً من العبيد الذين جمعهم ذات ليلة وفرق فيهم السلاح ودعاهم
لشراب ليذهب عنهم الجبن ، ثم تسلق بهم القصر من ناحية ظن أنه من
اليسير مهاجمته منها ، وكان يطمح أن يجد والده في هذه اللحظة يغط في
سباته ، وصمم في هذه المرة على قتله وكان تصميمه باناً ، غير أن
« المعتضد » باغتهم على غير توقع منهم وهو على رأس جنده ، فأوقع في
يد المتآمرين فبنهم من نساقتوا لمرآه ومنهم من فروا على وجوههم ، أما
اسماعيل فقد نجح في اجتياز سور المدينة ، غير أن العسكر المدجج بالسلاح
انطلقوا في أثره فأدركوه وأمسكوه وردوه .

استورى غضب الأب فقاد ابنه الى أسفل القصر وأبعد جميع الناس
وقتله بيديه (A) ، وفعل مثل هذا برفاقه المتآمرين معه وباصدقائه وخدمه
بل وبالبحريم أيضا ، وقتل البعض منهم سرا والبعض الآخر جهرا .

حين انفأ غضب الطاغية ألح عليه الشجر المقيم وأمضه نأيب الضمير
وراح يبرر فعلته بأن لاشك في أن هذا الابن الذى تمرد عليه وحاول اغتياله
والحوطة على أمواله وحريمه انما هو مجرم مؤسغ فى الاجرام ، لكن على
الرغم من تكرار « المعتضد » هذا الكلام لنفسه الا أنه لم يستطع أن ينسى
أنه كان يحبه ، وأن حبه له كان حبا صادقا ، فقد كان المعتضد شديد
التعلق بأسرته رغم ما طبع عليه من الشدة .

لقد كان هذا الابن [اسماعيل] فطنا سديده الرأى ، ومردى حرب
وفارس بهمة ، وكان أبوه يعده ويدخره ليكون درعا له فى شيخوخته
وليتابع أعماله . أما الآن فما هو ذا يحطم بيديه عز آماله ، حتى لقد حكى
أحد الوزراء الأشبباليين أنه دخل مع رفقة له على المعتضد بعد ثلاثة أيام من
قتله لولده فأرأوا وجهه مريدا ، فلم يجروا على بدئه بالسلام ، وأرتج عليهم
الكلام ، فصوب المعتضد فيهم نظره وصعده وزأر كالأسد وصاح فيهم :
« يا شامتين . . . ما لى أراكم ساكتين ؟ . . . أخرجوا عنى !! » .

وتحطمت لأول مرة هذه القوة الطاغية وتلك الإرادة الحديدية ،
أما فؤاده الذى كان يبدو كما لو كان فى كنانة تحميه من السهام فقد
أصيب بجرح أخذ فى الاندمال على توالى الأيام ، وان يكن هذا الجرح قد
ترك فيه ندبة عميقة ظلت باقية على الدوام .

بقيت « جمهورية » قرطبة فى هذه الأثناء تنعم بالهدوء الذى أدهشها
وان استراحت اليه ، وكف المعتضد عن التفسير فى مشاريعه الضخمة ،
لكنها عادت دون أن يسعر بها ، وكانت « مالقة » هى التى أيقظت الراقد
من غفوته وأرجعته الى مطامعه ، ذلك أن عربها كانوا قد طأطأوا الهام
منذ سنوات عدة أمام نير « باديس » الا أنهم دأبوا على التذمر من طغيانه ،

رراودتهم المطامع أن يكون خلاصهم على يد أمير « أشبيلية » رغم ما يعرفونه عنه هو الآخر من شدة الجور ، بيد أنهم كانوا يؤمنون أن يدون التلاعبة من بنى جنسهم عن أن يكون من البربر ، ومن ثم انصلوا بالاعتضد وانقروا معه على تدبير المؤامرة التي سيجدهم باديس ذاته عليها بسبب اهماله وانصرافه عن معالجة شئون الدولة الا فى النادر ، اذ كان مسلما نفسه على الدوام الى صبوانه ، منكبا على سرايه .

فلما كان اليوم المحدد للمؤامرة اجناحت العاصمة نورة جارفة عنهما ، وتمرد خمسة وعشرون حصنا ، كما عبرت فى الوقت ذاته الحدود مرات « أشبيلية » بقيادة « المعتمد بن المعتضد » ناهضة لمعونة الموار ، وبوعت البربر بهذا الهجوم ، فحكم المغير والثوار السيف فى البربر ولم ينج منيم الا من أسعفه الظروف بالفرار . ولم ينقض غير أسبوع واحد الا وقد أصبحت جميع نواحي الولاية فى قبضة أمير أشبيلية ، ولم يعز عليه الا حصن « مالقة » الذى تقوم على حراسته «أهية من السودان المغاربة ، فقد استطاع هذا الحصن المقاومة طويلا بفضل مناعته ووقوعه على قمة أحد الجبال الساهمة الارتفاع ، فخاف الأمير أن يفتنم « باديس » ذلك الفترة فينهض لجندة المحاصرين ، وطبعى أن يشغل هذا الخاطر تفكير موقدى الثورة ، ولذلك فانهم أشاروا على المعتضد بأن يشدد الحصار على الحصن ، وأن يعتمد على حراستهم هم أنفسهم اياه ، والا يسرف فى الثقة بالعدد الكثيف من البربر الذين يستخدمهم فى جيشه . . . فلم يصنع المعتمد الى تلك النصائح رغم وجاهتها ، بل ان ما طبع عليه من التراخي وعدم الظنة أديا به الى الفرح بترحيب الشعب الذى أعجبت منه معاملته الودية فاستمع الى ضباطه البربر الذين يعطون سرا على « باديس » فخدعوا المعتمد اذ أكلوا له قرب استسلام الحصن لهم من تلقاء ذاته ، كما اعتقد سواهم من الجنده بأنهم صاروا فى أمان من الأخطار فلم يقوموا بالحراسة القيام الواجب ، وعكفوا على ملذاتهم .

وقد أدى هذا التهاون الى الخطر الفادح الذى أضر بهم جميعا ، اذ لم يعدم سودان الحصن الوسيلة لاخبار « باديس » بأنه من اليسير عليه مهاجمة العسكر الأشبيلي ، وحينذاك أخذت قوات غرناطة فى الزحف عليهم وعبروا الجبال عبورا اتسم بالحذر والسرعة ، حتى لقد دخلوا « مالقة » دون أن يعلم المعتضد بخبرهم الا وقد قاربوها ، ولم يجر قتال أو تحسنت موقعة فقد أخذوا فى حز رقاب الجنده الذى كان اذ ذاك مجردا من سلاحه ، مخمورا من كثرة ما شرب ، وما كانت نجاة المعتمد الا بارتداده الى « رندة » ، غير أن الولاية بأكملها اضطرت الى الاستسلام من جديد لحكم « باديس » .

نرى من ذا الذى يستطيع أن يصور غضب المعتضد حين سمع باهمال
ابنه السفية مما ترتب عليه ضياع جيشه وفقدانه هذه الولاية الرائعة ؟

لذلك أمر بإبقاء « المعتمد » سجيناً فى « رندة » ، ونسى ما لحقه من
الحزن والعذاب من جراء قتله ابنه البكر [اسماعيل] ، فرغب أن يدفع
ابنه الثانى رأسه تكفيراً للغلطة التى ارتكبها .

لم يعلم المعتمد اذ ذاك بغضب أبيه ، ولكنه بعث إليه قصائد يتزلف
فيها اليه ويمندح كرمه ويطرى شفقتة ، كما حاول أن يعزيه عن هذه
الهزيمة بانصراماته السالفة ، فكان مما قاله له :

كم وفتة لك فى الأعداء واضحة تفنى الليالى ، ولا يفنى بها الخير
سارت بها العيس فى الآفاق فانتشرت فليس فى كل حى غيرها سمر

وبذل المعتمد غاية جهده فى التنصل مما انتهت اليه الحملة ، وعزا
النكبة النى منى بها الى خيانة البربر ، ورسم صورة صادقة حية للحزن
الذى ران على نفسه من جراء هذا العار ، فقال :

سكن فؤادك لا يذهب بك الفكر ماذا يعيد عليك العيث والحذر ؟
قد حلت لونا، وما بالجسم من سقم وشبت رأسا ولم يبلغنى الكبر
قالنفس جازعة ، والهمى دامعة والصوت منخفض، والطرف منكسر
لم أوت من زمنى شيئا ألد به فلدت اعرف ما كأس وما وبر
ولا نسكنى دل ولا خفر ، ولا سبى خلدى غنح ولا حور
وضاك راحة نفسى - لا فجمت به - فهو العتاد الذى للدهر أذخر
ما الذنب الا على قوم ذرى دخل وفى لهم عدلك المألوف اذ غدروا .

ولما كان « المعتضد » شديد التذوق للشعر الجميل فقد لمست قصائد
ولده [المعتمد] عواطفه وألانت من حديثه ، كما عمات على تهديته نوسلات
ناسك من أهل « رندة » يسأله الصفح والتجاوز عن زلته ، واذ ذاك أذن
للعميد بالعودة الى اشبيلية وغفر له ما تقدم من ذنبه (٩) رغم ضياع كورة
« مالقة » من يده الى غير عودة .



شرح باديس منذ ذلك الحين فى الانتباه لما يدور حوله بخافة أن
يباغته « المعتضد » مرة أخرى فيتجدد الخطر عليه ، ويقال أيضا ان ملك
غرناطة الذى لم تكن نأخذة شفقة ولا يتوانى عن تنفيذ انتقامه اذا فكر فى
الانتقام ، والذى كان لا يسير الا فى زهرة من السيافين أخذ فى كى المنكودين
المرتدين عليه بالنسار وتكبييلهم بالسلاسل ورميهم فى الجباب ، وبهذه
الوسيلة تمكن من أن يقتل فى نفوسهم كل تطلع لمعاودة الثورة .

وعلى الرغم من عظم البلايا التي امتحنوا بها الا انهم وجدوا عزاءهم
وسلوهم فيما علموه من ان نفوذ اليهود في بلاط غرناطة قد اضمحل حتى
اذنت نهايته بالدنو مما ارضى كراهيتهم وتعصبهم .

كان صمويل قد مات فخلفه ابنه يوسف الذى كان هو الآخر رجلا
أرييا مثقفا ، الا أنه خالف أباه فكان لا يذلل كنفه وهو فى مكانته السامية
هذه ، بل كان يطلع على الناس فى زهو الأمير وخيالاته ، فان خرج فى
رفقة « باديس » وكل منهما على جواده لم ير الناس فارقا بين لباس الملك
ولباس وزيره . والواقع أنه كان للوزير يوسف من السلطان نوق ما كان
للحاكم ذاته نظرا لسيطرته التامة على باديس الذى لم يكن ليصحو أبدا من
سكوره ، كما عمده يوسف الى احاطة « باديس » بالعيون الذين يحملون اليه
كل ما يبدر من مولاة من فول : صغر هذا القول أو كبير ، وقد نهج هذا
النهج حتى يظل مسيطرا على السوام على باديس .

أضف الى هذا أنه لم يكن ليوسف من اليهودية الا اسمها فزعم
الناس انه لا يؤمن بملة آبائه ولا بغيرها من الملل ، وانه لا يكثر بأى دين
من الأديان ، واذا لم يكن قد هاجم الموسوية جهارا الا أنه هاجم الاسلام
فصرح باستحالة مطابقتها للعقل ، ولم يسلم القرآن ذاته من نقده .

ولقد اغضب يوسف بن صمويل العرب والبربر واليهود على السواء
بعتوه وصلفه ومناعره الدينية وقلة احترامه للعدالة، كما روى بكير مر
الكباثر ، وشاء القدر أن يبتليه بنفر من الخصوم الألداء ، كان من أخطرهم
عليه فقيه عربى اسمه « أبو اسحق الألبيرى » الذى كان صغر سنه سببا فى
حدة عواطفه ، فلما تقدمت به الأيام حاول أن يتبوأ فى البلاط فكانة
يؤهله لها طيب نبعته ، لكنه لم يفلح فى محاولته هذه اذ قضى يوسف
على آماله ونفاه ، وحينذاك انصرف للتدين ، ودعاه كرهه ليوسف أن ينظم
القصيدة التالية التى نال فيها من يوسف ومن أبناء ملته ، فقال::

ألا قل لصنهاجة أجمعين	بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقبة مشفق	يعد النصيحة زلفى ودين
لقد ذل سيدكم ذلة	تقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا	ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتخوا	وتاهوا ، وكانوا من الأرذلين
وما كان ذلك من سعيهم	ولكن منا يقوم المعين
فهل اقتدى فيهمو بالالى	من القادة الخيرة المتقين ؟
وأنزلهم حيث يستأهلون	وردهموا أسفل السافلين .
فلم يستخفوا بأعلامنا	ولم يستطيعوا على الصالحين

اباديس أنت امرؤ حاذق فكيف أخفى عنك ما يعبتون ؟
 وكيف تحب فراخ الزنا وكيف يتم لك المرتقى وكيف استنمت الى فأسق ،
 فبادر الى ذبحه قربة ولا ترفع الضغط على رطله و فرق عراهم ، وخذ ما لهم ولا تحسبن قتلهم غدره ولا ترض فينا بافعالهم وراقب الاهك فى حزبه

تصيب بظنك نفس اليقين . وفى الأرض تضرب منها القرون ؟
 وقد بغضوك الى العالمين ؟ اذا كنت تبني وهم يهدمون ؟
 وقارنته ، وهو بثس القرين ؟ وضح به فهو كبش سمين .
 فقدم كنزوا كل علق ثمين فأنت أحق بما يجمعون بل الغدر فى نركهم يعبتون .
 فأنت رهين بما يفعلون فحزب الاله هم الغالبون

لكن لم تنجح هذه القصيدة فى التأثير فى نفس باديس لفرط نقته فى يوسف ، ولكنها تركت أثرا عميقا فى نفوس البربر ، فأقسموا ليهلكن اليهودى ، وأرجف زعماء المؤامرة بانضمام يوسف بن صمويل الى جانب المعتصم [بن صمادح] ملك المرية الذى كانوا يحاربونه فى هذا الوقت ، ولما تساءل من هم أقل من هؤلاء المتأمرين تعصبا وحماسة عما قدم يكون من مكسب يوسف ان هو خان الأمير الذى يخضع له كل الخضوع جاءهم الرد بأن اليهودى يرمى الى ما فيه هلاك باديس ونيل عرشه بالمعتصم [بن صمادح] ، واذ ذاك يشب على « ابن صمادح » ويتمرس بجانبه ويضمن العرش لنفسه . ولا حاجة بنا للقول بأن ذلك كله كان افكا وبهتاناً ، فالحقيقة هى أن البربر كانوا يحاولون تلمس علة لاسقاط يوسف بن صمويل والفتك باليهود حسدا منهم لهم على ثرواتهم الطائلة ، فلما خيل اليهم أخيرا أنهم عثروا على تلك العلة تمردوا وهاجموا قصر « بادين » حيث كان قد لاذ به يوسف الذى حاول الافلات من غضبهم المجنون فأختفى فى بعض خزائن الفحم وسود وجهه حتى لا يتعرف القوم عليه ، الا أنهم عرفوا مخبأه ولم يخف عليهم أمره فقتلوه ورفعوه على عمود من الخشب ، واذ ذاك عمد الفرناطيون الى الفتك ببقية اليهود ونهبوا بيوتهم فراح ضحية هذا الغضب ما ينيف على أربعة آلاف شخص (١٠) .

وكان ذلك الحدث يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٠٦٦ م [٤٥٩ هـ] .

الفصل الثامن

فرديناند ملك ليون وأمراء الطوائف

- ظهور فرديناند ملك ليون وقشتالة • موآاة الظروف للنصارى
- موآاة بعض الحكام المسلمين لفرديناند ورضوخ المعتضد لمطالبة المذلة
- بلوغ المهانة بالمعتضد أقصاها فى أخذ السفارة الليونية جثمان ايزيدور
- حملة فرديناند على بلنسية • النرمنديون يسولى على بوبشيرو ويسرفون فى القتل وهتك الحرم • ثم يعودون من حيث جاؤا فيسترد صاحب سرقسطة الحصن • موت فرديناند ملك ليون وقشتالة • تخوف المعتضد من البربر والمرابطين • أيام المعتضد الأخيرة ووفاته حزنا على ابنة له كان شديد التعلق بها •

فردناند وأمراء الطوائف

لم تكن بقية أسبانيا الإسلامية أكثر طمأنينة من الجنوب ، فقد كان الناس في كل النواحي يتنازعون فيما بينهم نزاعا عنيفا حول بقايا الخلافة الدراسية ، وعلى الرغم من ذلك فقد أخذ السيل الراجف يتزايد في الشمال وهددت أمواج هذا السيل ممالك شبه الجزيرة بالابتلاع .

ولقد ظلت مشاغل الملوك المسيحيين تصرفهم مدة قرن من الزمان عن التمكن من القيام بالفتوح حتى آن للأمور أن تبدل سنة ١٠٥٥ م [٤٤٧ هـ] حين استطاع « فرديناند » ملك قشتالة وليون أن يتفرغ لمحاربة المسلمين فوجه جميع قواته ضدهم إذ أدرك استحالة مقاومتهم إياه لما هم عليه من الضعف . والواقع أن الظروف الطيبة كانت جسد موأنية للندسارى ، إذ توفر عندهم ما لم يتوفر لأعدائهم وأعنى به الروح الحربية والحماسة الدينية ، ومن ثم اتسمت فتوحات « فرديناند » بالسرعة ، وكانت له فتوحات عظيمة فقد انتزع من يد المظفر - ملك بطليوس - مدينتى « بازو » و « لاميجو » سنة ١٠٥٧ م [٤٤٩ هـ] وغنم ما فى يد ملك سرقسطة من القلاع الموجودة جنوب نهر « دورو » ، وقام بغزوة مبررة فى أملاك المأمون صاحب طليطلة ، وتقدم حتى بلغ ما يعرف بقلعة الحنش وحينذاك لم يجد أهلها بدا من أن يفضوا لأمرهم المأمون بأنهم مضطرون للاستسلام لملك قشتالة ان لم يبادر أميرهم الى نجاتهم ومد يد العون اليهم ، غير أن المأمون كان أضعف من أن يستطيع مقاومة العدو فاتبع الصواب وقدم بذاته الى « فرديناند » ودفع اليه بصره كبيرة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وأعلن تبعيته له تبعية تتمثل فى أدائه الجزية له كما فعل من قبل ملكا بطليوس وسرقسطة (١) .

والآن جاء دور المعتضد .

فى سنة ١٠٦٣ م [٤٥٦ هـ] قام فرديناند فأحرق ما حول أشبيلية من القرى والندساكر ، وكان ضعف الولايات الإسلامية شديدا حتى لقد رأى المعتضد أن الحكمة تفرض عليه أن يفعل ما فعله المأمون ، هذا على الرغم من أنه كان أقوى حكام الأندلس ، ومن ثم شخص الى المعسكر

المسيحي وقدم بعض الهدايا اللطيفة الى « فرديناند » ملتصبا منه الإبقاء على مملكته . والظاهر أن ملك قشتالة لم يكن يدري ما طبع عليه هذا الرجل من الحنن والقسوة . بل دفعه تفنى الشيب والبياض فى شعر رأسه وكثرة غضون جبينه الى احترام هذا الشيخ وتوفيره ، ذلك أن شدة الأطماع وكثرة العمل والجهد بل وربما تأنيب الضمير قد طبعه بطابع الشيخوخة قبل أن يدركها ، إذ لم يكن يعدو اذ ذاك السابعة والأربعين من عمره (٢) ، فلا عجب أن اسنجاب مالك قشتالة الى توسلاته، لكنه رأى وجوب استشارة عظماء مملكته وقسيسها ، فجمعهم ليسألهم الشروط التى يرون فرضها على المعتضد ، فقر رأى بالاجماع على أن يبعث ملك أشبيلية بجزية سنوية الى « فرديناند » ، وأن يسلم الى السفراء الذين سيوفدهم ملك قشتالة جثة القديسة العذراء « جست » التى استشهدت زمن الاضطهاد الرومانى . فاستجاب المعتضد لهذه الشروط ، وحسب ذلك عاد فرديناند بعسكره حتى اذا بلغ « ليون » انفذ الى أشبيلية « الفيتس » أسقف العاصمة ، و« أردونيو » أسقف « أستورقة » ، ونيطت بهما مهمتان أولاها أن يحملا الى ليون جثمان القديسة الشهيدة ، أما المهمة الأخرى فخاصة بتنظيم موضوع الجزية (٣) .

لكن مما يؤسف له أن أعمال البحث للكشف عن بقايا القديسة « جست » لم تسفر عن شيء مما كان مقصودا ، واذ ذاك قال « الفيتس » الى رفاقه :

والآن أيها الاخوان ، ها أنتم ذا ترون أننا سنعود فاشلين فى تحقيق ما لنا من هذه السفارة الشاقة اذا لم تسعفنا العناية الالهية بما جئنا من أجله ، ويبدو لى أنه ينبغى علينا أن نتقرب الى الرب فنحكف على الصلاة والصوم ثلاثة أيام سويا ، سائلين إياه أن يتفضل فيهدينا الى الكنز المخبوء الذى نفتش عنه » .

ومن ثم لازمت السفارة المسيحية الصوم والصلاة ثلاثة أيام مما أدى الى سده تدهور صحة « الفيتس » وتجلى ذلك حين باع اشبيلية .

فلما كان صباح اليوم الرابع جمع الاسقف الفيتس مرة أخرى رفاقه وقال لهم :

« أيها الصحاب الكرام ، ينبغى أن نتوجه الى الرب بنية خالصة وقلوب عامرة بالإيمان اذ تعطف علينا برحمته فلم يشأ أن تفشل رحلتنا فنعود صفر الأيدي . حتمة ان الرب حال بيننا وبين أن نأخذ من هنا جثمان . أو حسنت « الطوبانية ولكنكم ستعودون الى وطنكم عطية لا تقل عنها ، تلك هى جثمان « ايزيدور » الطوبانى الذى حمل تاج الأسقفية على مفرقه فى هذه المدينة ، والذى كان حلية أسبانيا كلها بجليل أعماله وأقواله ،

وفد كنت أريد أيها الاخوان أن أسهر الليلة بطولها مصليا ، ولكن مرت على لحظة من الضعف الشديد غلبني فيها النوم على أمرى ، واذ ذاك ظهر لى شيوخ فى مسوح الأسقف وقال لى : اننى أعلم بما جاء بك الى هنا أنت ورفاك ، لكن الارادة الربانية لم نسا أن يحكم على هذا البلد برحيل القديسة « جست » عنه ، ثم ان رحمة الرب الأبدية لم ترض ان نرحل أنت ورفاك صفر الأيدى فمئحكم جسدى » ، فسألته : « ومن أنت يا من تأمرنى بهذا الأمر ؟ » فأجابنى : « اننى كاهن أسبانيا كلها ، ولقد كنت من قبل كبير قساوسة هذه المدينة : اننى أنا ايزيدور ذاته » . ثم اخفى الشبح من أمامى ، فاستيقظت وسألته الرب عما اذا كان هذا أمره ، فنكرر الحديث ثانية وثالثة ٠٠٠ أجل لقد تكرر مرتين كان التسيح فى كل مرة يخاطبني بنفس الكلام الذى قاله من قبل ، ولما كانت المرة الثالثة دلتنى على الناحية التى يثور بها جنمانه ومسها ثلاث مرات بقضبب فى يده قائلا : « هنا ستجد جتتى ، ولكنلا تحسب مخاطبك شبحا فدليل صدقى هو أنه ستلحقك عقب اخراجى من القبر علة لن تبرأ منها أبدا ، ثم تترك هذا الجسد الفانى وتأتى الينا وعليك تاج الصالحين ثم اختفى » .

انقلب « الفيتس » بعدئذ هو ورفاقه الى قصر المعتضد وقص عليه رؤياه ، وسأله أن يأذن له بأخذ جنمان « ايزيدور » بدلا من جنة القديسة « جست » .

أثرت هذه القصة فى نفس المعتضد تأثيرا عجيبا ، فقد كان رجلا شكاكنا ساخرا ، يسخر بالأديان جميعها ، ولا يؤمن الا بشيثن هما : التنجيم والخمر (٤) . الا أنه استمع الى الأسقف وقد ارتسمت علامات الجدة على وجهه ، فلما فرغ الأسقف من حديثه صاح به المعتضد فى رنة حزينة « أسف أيها السيد الحبر . ترى ما الذى يتبقى لى ان أنا أعطيتك جنة ايزيدور ؟ ، ومع ذلك فلتنفذ أمر الله ، انك رجل موقر مبجل . ولا أستطيع أن أرد لك طلبا ، فانهض وامض لما أنت مريده ، وابحث عن جنة ايزيدور ، واحملها معك رغم اعتزازى بمكانته عندي » .

والواقع أن هذا العربى كان مرثيا فيما قال ، لكنه كان يعرف كيف يحبب النصرارى فبه ويحملهم على التأييد له ، وان سخر منهم فبما ببنة وبين نفسه .

ولما كان المعتضد ملتزما بدفع الجزية فقد قدر أن ربما كان من الخير له أن يتغالى فى تقدير ما جاؤوا اليه من أجله ، والا يأذن لهم بنقل جنمان ايزيدور ، فان أذن لهم بما أرادوا ظهر وكأنهم يستلون روحه من جسده . وفعل ما يفعله المدين اذا ألح عليه الدائن بسداد ما عليه ، وعرف كيف

يدخل فى الحساب شيئا لا قيمة له يفبله دائنه كائز قديم نادر لا يقدر بمن ، ومن نم آجاد تمنيل دوره الى النهاية ، فحينما قرر اسقف « استورقة » مغادرة أشبيلية بجثة « ايزيدور » (لأن زميله ألفتيس كان قد مات) ذهب المعتضد لمقابلته ، وكسى التابوت بالديباج المطرز بالطرز العربية الدقيقة الصنع ، وأخذ يقول متنهدا : « ها أنت يا ايزيدور تغادر هذا المكان ، أيها الرجل الوقور ، وانك لتعلم أى صداقة ونيقة توحد بيننا » (٥) .

* * *

كان العام التالى ١٠٦٤ م [٤٥٧ هـ] أسوأ الأعوام التى مرت على المسلمين ، فقد اضطرت « قنبرة » للاستسلام لفرديناند بعد ان ظلت تقاوم الحصار ستة أشهر ، وقضت الشروط بتسليم خمسة آلاف شخص من المدافعين عنها الى الغالب ، أما من سواهم فقد غادروا دورهم غير مستصحبين معهم سوى النفقة الضرورية للسفر ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل صدر الأمر الى جميع المسلمين النازلين بين « دورو » و « منديجو » بمغادرة البلد (٦) .

وجه فرديناند جيوشه بعدئذ ضد مملكة بلنسية التى كانت تحت حكم أمير ضعيف كسول هو « عبد الملك المظفر » الذى خلف أباه عبد العزيز سنة ١٠٦١ م [٤٥٣ / ٤٥٤ هـ] وشرع القشتاليون فى محاصرة العاصمة فعزت عليهم ، فلما رأوا صعوبة الاستيلاء عليها فكروا فى حيلة يخدعون بها المدافعين عنها ويحولون بينهم وبين الذود عنها ، فتظاهروا بالارتداد ، وحينذاك مضى أهل بلنسية فى آثارهم وهم يرفلون فى ثياب العيد ، وقد ظنوا أن النصر مواتيه من غير مشقة ، الا أن جرأتهم كلفتهم غالبا ، اذ ما كادوا يصبحون على مقربة من « بطرنة » الواقعة على يسار الطريق المؤدى من بلنسية الى « مرسية » حتى باغتهم القشتاليون بالهجوم عليهم وفتكوا بالكثيرين منهم ، ولم يستطع ملكهم المظفر النجاة الا بفضل سرعة جواده (٧) .

كذلك نم للعدو الاستيلاء على حصن بوبشترى الذى يعد من أعظم حصون الشمال الشرقى أهمية وأمنها ، وكان وقوعه فى يد العدو خطرا جسيما لسقوطه فى أيدى جيش من النرمندين ، وساء مصير المغلوبين اذ استسلم جنده الحامية بعد أن اشترطوا على المهاجم الإبقاء على حياتهم ، لكنهم ما كادوا يغادرون الحصن حتى وضع العدو السيف فيهم فأفناهم عن بكرة أبيهم ، ولم تكن المعاملة التى عوئل بها السكان أحسن مما لقيته الحامية ، فقد حصلوا على الأمان وبينما هم يتأهبون للجلء عن المدينة اذا بالقائد النصرانى الذى استبده به القلق من كثرة عددهم يأمر جنده ببذل السبف فى البعض منهم ، ولم ينثن العسكر عن متابعة الذبح ويكفوا عنه

حتى كانوا قد أبادوا منهم ما يقرب من ستة آلاف شخص ، ثم اصدر القائد النرمندي أمره بأن يعود كل مالك بيت في المدينة الى بيته مع امراته وأطفاله فأطاعوه ، وحينذاك تقاسم النرمنديون فيما بينهم كل ما وصلت اليه أيديهم . ويقول أحد مؤرخي هذه الحقبة من العرب « ان المشركين اقتسموهم ، فكل من صارت في يده دار حازها وما فيها من أهل ومال وولد ، فحكم كل عبيج منهم فيمن سلط عليه من أرباب الدور بحسب ما يبتليه الله به منه ، يأخذ كل ما أظهر له ، ويعذبه فيما أخفى عنه ، وربما زهقت نفس المسام دون ذلك فاستراح . وربما أنزله أجله الى أسوأ من مقامه ، ذلك لأن عبادة الله كانوا يومذاك يهتكون حريم أسراهم وبناتهم بحضرتهم » ايضالا في اذلالهم والنكاية بهم ، « ويعيتون ، ويغتصبون البكر ، كل ذلك وزوج تلك وأبو هذه موثق في الحديد ، ومن لم يرض عنهم أن يفعل ذلك بهن أعطاهن لفلمانه » .

كان من حسن حظ المسلمين أن لم يتأخر النرمنديون عن مغادرة أسبانيا الى بلادهم للتمتع بالأموال الطائلة التي استولوا عليها ، ولم يبق منهم ببوشترو يومذاك غير حامية ضعيفة ، فاغتنم هذه الفرصة المقتدر ملك المدينة في العام التالي (٨) في ربيع سنة ١٠٦٥ م .

الا أن فرديناند تابع جهوده للاستيلاء على بلنسية التي وجد ملكها نفسه في مركز بالغ الحرج رغم النجذات التي أمده بها صهره « المأمون » صاحب طليطلة ، غير أن نزول المرض بفرديناند أرغمه على الرجوع الى ليون، الا أن عبد الملك المظفر لم تستقر أموره ، اذ وثب عليه صهره في شهر نوفمبر وخلعه من سدة الحكم وزج به في السجن في قلعة « كونكة » Cuenca ثم أضاف مملكة بلنسية الى أملاكه (٩) لكن الموت ما لبث أن طرق فرديناند فأنقذ المسلمين من ألد خصومهم .

كان فرديناند منلا للملوك يحتذى في شجاعته وتقواه وأخلاقه ، اذ لم يكده يباخ ليون يوم السبت ٢٤ ديسمبر حتى بادر للصلاة في الكنيسة التي أهداها الى القديس « ايزيدور » وهو يعلم أن قد دنت اللحظة التي آن فيها لجسده أن يرقده رقدته الأبدية ، ثم عاد الى قصره فاستجم فيه بضع ساعات ، فلما كان المساء ارتد ثانية الى الكنيسة حيث كان الكهنة يحيون عيد الميلاد بتراتيلهم المشجبة ويؤدون صلاة السحر طبقا لتقاليد طليطلة الدينية كما جرت العادة اذ ذاك ، فأخذ فرديناند يرتل معهم بصوته الواهي الضعيف ، فلما تنفس الفجر سألهم الملك أن ينشدوا القداس ،

ثم انكفا الى فراشه بعد أن تناول القربان المقدس ، وكان فرديناند يسير
متكثا على سواعد خدم قصره وهو واهى الجسد .

ولما كان صباح اليوم التالى لبس ملابس الملوكية وحمل الى الكنيسة
حيث ركع أمام المذبح ، ثم خلع المعطف الملكي والتاج وقال فى صوت واضح
النبرات : لك المجد والقوة يا سيدنا ، يا ملك الملوك ، يا من لك ممالك
السموات والأرض ، ها أنذا أرد لك ما منحنيهِ ، وما حكمتهُ وفق إرادتك
الالهية ، أسألك أنت وحدك أن تكلاً برحمتك روحى التى انتزعتها من
هوة هذا العالم . ثم ركع على عتبات المذبح وبكى متوسلا الى الرب أن يغفر
له خطاياهُ ، ومسحه أحد الأساقفة بيده ، وغطى جسده بالمسوح ورأسه
بالرماد ، ولب فرديناند فى انتظار الموت وهو نابت الجنان ، عامر القلب
بالإيمان .

فلما دنت ساعة العصر من يوم الثلاثاء أسلم روحه ورقد رقدته
الأبدية وقد ارتسمت على وجهه امارات الهدوء وكست البسمة
أما ربه (١٠)

نلت هذه الوفاة وفاة أخرى فقد مات المعتضد ملك اشبيلية يوم ٢٨
فبراير سنة ١٠٦٩ م [٤٦٢ هـ] وكان قد ضم قبل ذلك التاريخ بعامين
مدينة « قرهونة » الى مملكته واقترب جريمة قتل جديدة اذ طعن بخنجره
أحد مواطنى اشبيلية واسمه أبو حفص الهوزنى (١١) ، غير أن الخواطر
السوداء ألحت عليه فى السنوات الأخيرة من حياته وراح تؤرقه ، ولم
يعد يخشى أن تأتبه القاصمة من هجمات القشتاليين فيطيحون بعرشه الذى
أبوه بالمكنة والخيانة والدهاء وذلك أن نبوة عرافيه التى تكلمنا عنها من
قبل والتي زعمت أن نهاية دولته ستكون على أيدي رجال طارئين على شبه
الجزيرة قد وجهت مخاوفه وجهة أخرى .

ظل المعتضد زمنا طويلا وهو يظن أن أولئك الطارئين الأغراب انما هم
البربر الذين يقيمون على مقربة منه فعمل على استئصال شأفتهم واعتقد
بأنه قد تغلب ما أنبأته به النجوم ، ثم عادت الوسواس تقض مضجعه
وذلك لظهور فئة من البربر فى جانب العمدة ، وقد سار بهم شخص يكاد
يكون نبيا عندهم ونزل بهم الصحراء ، وراحوا يتطلعون لفتح أفريقية فتم لهم
فتحها بالسرعة والحماسة اللتين توفرنا للمسلمين الأوائل ، فرأى المعتضد
أن غزاة اسبانيا فيما بعد انما هم هذه الجماعات المسماة بالمرابطين، وفشلت
كل محاولة من أجل تبديد الخوف الذى استبد بنفسه من ناحيتهم .

وفى ذات يوم كان يعيده تلاوة خطاب تلقاه من « سفوت » (*) أهير
سبته يقص فيه عليه خبراً مؤداه أن طليعة جيش المرابطين قد عسكرت فى
رجبة مراكنش فقال له أحد وزرائه : « وأين رجبة مراكنش !!؟ ، ان دونهم
اللجج الخضر والمهامه القفر ، والليالى والأيام ، والجماهير العظام !! »
فأجابه المعتضد وقد ظهرت فى صوته رنة الآسى : « هو والله الذى أتوفعه
وأخشاه ، وان طالت بك الحياة فستراه .. » أكتب الى عاملى بالجزيرة
باحتراس جبل طارق حتى يأتيه أمرى ، ويريش فى تحصينه ووضع
أرصاده » .

ثم صوب ناظريه فى أولاده وقال : « ياليت شعرى من تناله معرفة
هؤلاء القوم : أنا أم أنتم ! » فأجابه المعتضد : « جعلنى الله فداك ، وأنزل
بى كل مكروه يريد أن ينزله بك » (١٢) .

ولقد ابتلى المعتضد قبل موته بخمسة أيام بشيء من القلق ، ونفل
فى جسده وروحه ، فاستحضر اليه مغنيا صقلبياً [اسمه أبو العرب]
وطلب اليه أن يغنيه ما يطرأ له ، عاقداً النية على أن يجعل ما يبتدىء به
قالاً فى أمره ، فأخذ الصقلبى يغنى لحننا جمع بين الحزن والرجاء مما يزخر
به الأدب العربى ، واستهل ذلك بقوله :

نطوى الليالى علما أن ستطوينا فشمعشعيا بماء المزن واسقينا .

ثم أنشد المطرب خمسة أبيات من تلك الأغنية .

ومن الصدف العجيبة المؤكدة أن المعتضد لم يعيش بعد ذلك سوى
خمسة أيام .

وبعد يومين من ذلك الحدث أعنى يوم الخميس [٢٦ فبراير]
أصيب بجرح عميق مس شغاف حنانه الأبوى ، فقد رأيناه شديداً الكلف
بأولاده ، عظيم الحب لهم رغم ما طبع عليه من الغلظة ، فقد ماتت إحدى
بناته وكان شديد التعلق بها ، وسار فى جنازتها مساء الجمعة وقلبه
يتفطر حزناً وشجاً عايقاً ، فلما فرغ من دفنها أحس بالمشديد فى رأسه
فجاءه طبيبه ، وأدرك أن به نزيفاً لا بد أن يؤدى الى هلاكه ويفضى به الى
الموت ، وأراد الطبيب أن يفصده فأبى المعتضد الاستسلام له وأمره بارجاء
الفصد الى يوم السبت غده ، فعاوده النزيف أشد وأقوى من المرة السالفة ،
حتى انه فقد القدرة على النطق ، ثم ما لبث أن لفظ نفسه الأخير (١٣) ،
فخلقه ابنه المعتضد الذى سوف نحاول التعريف به فيما بعد .

(*) سقطت بفتح السين وتشديد القاف المضمومة بعدها واو ساكنة وتاء .

الفصل التاسع

ابن عمار والمعتد والرميكية

تفاهة بيثة ابن عمار التي نشأ فيها . أثر ظروف نشأته الأولى في تغلب الشك والكآبة عليه . تعرفه على المعتد ابن عباد ونزوله أكرم منزلة من نفس المعتد . تولع المعتد باعتماد الرميكية وزواجه منها . استجابة المعتد لكل ما تطلبه وتشير به . كراهية المتدينين لاعتماد . شعر المعتد في الرميكية . ابن عمار يتولى حكومة شلب وهي مسقط رأسه . مجازاته خيرا لمن كان قلبه أحسن اليه في متربته .

ابن عمار والمعتمد والرميكية

ولد المعتمد سنة ١٠٤٠ م [= ٤٣٢ هـ] فلما بلغ الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره ولاة أبوه حكومة « ولبة » ، ثم مات بعد أن عهد إليه بقيادة الجيش الأسيبي المحاصر لشاب حيث تعرف بواحد من المحاصرين لم يكن يزيد عنه في السن بغير تسعة أعوام ، ولكن قدر له أن يلعب دورا خطيرا في حياة المعتمد .

كان اسم هذا الفتى المحاصر « ابن عمار » ، وقد ولد في دسكرة من نواحي « شلب » من أبوين عربيين فقيرين مغمورين ، وأخذ نفسه منذ البداية بدراسة الأدب في « شلب » وقرطبة ، ثم راح يذرع رحاب أسيانيا عاملا على كسب ما يمسك عليه حياته بامتداحه كل قادر على رده بالمال ، ولما كان الشعراء النابهن يرون من الحطة لهم أن ينظموا القصيدة في غير الأمراء والوزراء فان هذا الشاب الملق المغمور ، الرث الثياب ، الذي كان يشتر سخرية البعض وشفقة الآخرين بعباءته الطويلة وقلنسوته الصغيرة كانت تغموه الفرحة ان تفضل عليه متفضل ممن أتروا على كبر بفتات مائدته نظير ما ينظمه فيه من شعر رائع .

وحدث في يوم من الأيام أن بلغ ابن عمار هذه مدينة « شلب » وهو في شدة الضيق ، وليس معه سوى رفيقه في شقائه وهو بقله ، ولم يعرف كيف يلتمس ما يطعمه به ، ولكن شاء حسن طالع أن يخطر ببالي رجل لابد وأن يعاونه اذا شاء ، وهو تاجر ثرى من أهل البلد وان لم يكن يتذوق الأدب ، لكنه كان على جانب من الغرور يدفعه للزهو بما يقال فيه من المديح ، ومن ثم نظم ذلك الشاعر المفاص [ابن عمار] فيه قصيدة وبعث بها اليه وأفضى اليه فيها بما هو فيه من الضيق وما يعانيه من الضنك ، فامتلا التاجر غرورا بمدح ابن عمار له ، وأنفذ اليه مخللة مألها شعيرا ، فلما تسلم ابن عمار الهدية ود لو أن التاجر بعث له معها بأخرى مألها برا ، الا أنه فرح غاية الفرح ، وسنرى كيف أظهر فبما بعد عرفانه لجميل المتفضل عليه .



لم يلبث أن ذاع خبر موهبة ابن عمار الشعرية ، وشرف قدره بتقديره الى « المعتمد » الذي أعجب به غاية الاعجاب ، ولما كان الاثنان

بميلان للهو وممارسة شتى ضروب المغامرات وقرض الشعر الجزل فسرعان ما تأكدت بينهما وشائج الصداقة الراسخة ، ولما دانت « سلب » للمعتمد استعمل ابن عمار واليا عليها ، وبادر بإنشاء وظيفة كبرى لصديقه (١) .

لم تستطع الايام أبدا أن نمحو من ذاكرة المعتمد الأيام الجميلة التي قضاها في مدينة « سلب » الفاننة التي لم يكن من أهلها اذ ذلك الا من يقرض الشعر (٢) ، والتي لا تزال الى اليوم تسمى بجنة البرتغال ، ولم يكن قلب الأمير قد تفتح حتى ذلك الوقت للهوى ، وان كانت بعض نزغات طارئة قد شغلت باله ولكنها لم تلبث أن تلامست دون أن تترك فيه آثارا عميقة (٣) ، فقد كان ذلك الزمن عنده زمن العاطفة المتأججة ، ولكنه خلاه لغير رجسة .

لم يكن ابن عمار قد درج في مهاد البلهنية والنعيم والسعادة كما درج الأمير ، بل انه كابد منذ فجر حياته النضال والفشل وخيبة الآمال القاسية والاملاق ، فكان دون مولاه بشاشة طلعة وطلاوة شباب ، ولم يكن يستطيع أن يدفع عن نفسه ما يلاحقها من السخرية ، فكان متشككا في كثير من الأمور ، وقد حدث في يوم من أيام الجمعة أن خرج الصديقان الى المسجد ، فسمع المعتمد المؤذن يؤذن للصلاة فارتجل هذا الشطر : « هذا المؤذن قد بلدى بأذانه » ، ثم سأل ابن عمار أن يكمل البيت فرد عليه قائلا : « يرجو بذاك العفو من رحمانه » .

فقال المعتمد : « طوبى له من شاهد بحقيقة » ، فأكمل ابن عمار البيت باسمه وقال : « ان كان عقد ضميره كلسانه » (٤) .

ومع غرابة هذا الأمر الا أن في الامكان تفسيره بأنه أدرك منذ زمن بعيد طوية الناس فهو ساخر منهم ، شاك فيهم ، حتى لقد كان يشك في مودة الأمير الشاب له رغم أنها مودة خالصة من كل شائبة نشوبها ، ولعل عذره في ذلك أنه لم يكن يستطيع التخلص من الأوهام السوداء التي كثيرا ما كانت تسيطر على نفسه لا سيما في أثناء الولايم ، اذ كان يستبد به الحزن كلما زاد في الشرب . وتروى عنه في هذا الصدد قصة نادرة عجيبة وقعت له بالفعل ، فقد رواها أصلدق من يوتق بهم ومن بينهم المعتمد بل وابن عمار ، ففقد قيل انه حدث في ذات ليلة أن دعا المعتمد ابن عمار للعشاء وأخذ يلاطفه أكثر مما جرت به العادة ، فلما فرغوا مما هم فيه انقلب المسعورون الى فرشهم غير ابن عمار فقد استبقاه المعتمد وأقسم عليه أن يشاطره فراشه ، فنزل الوزير على طلبه ، ثم ما لبث أن هوم وأغفى ، وحينذاك سمع هاتفا يهتف به : « لا تختبر أيها المسكين فانسه قاتلك ولو بعد حين !! » ، فتملكه الذعر وصحا من غفوته فزعا ، ثم حاول

أن يتخلص من تلك الوسواس السوداء الناجمة عن الخمر وجهد أن ينام ، ولكنه سسمع هذا النذير مرة ثانية وثالثة فلم يستطع النوم ولم تغمض له عين ، واعتقد أن هذا هائف خفى يوحى بما يعجز البشر عن ادراكه ، فتسلل في غاية من السكون والنف في حصير ومضى فربض في أحد أركان دهاليز القصر ، وهو مزعم الانفلات حالما تفتح أبواب القصر لباتى باب البحر ويركب منه الى العدو .

غير أن المعتمد استيقظ هو الآخر فلما لم يجد رفيقه الى جانبه ندت منه صرخة حادة بادر على أثرها جميع خدمه وأخذوا يجوسون خلال القصر مفتشين عن ابن عمار في كل ناحية من نواحيه ، وصحبهم المعتمد ذاته في التفتيش عنه ، وأراد أن يرى عما اذا كان الباب قد فنج فسار حتى بلغ الدهليز حيث كان ابن عمار مختبئاً ، فبدت من الشاعر حركة عن غير قصد منه ولم يسع اليها ، واذا ذاك وقعت عيننا الأمير على الحصير الذى كان صاحبه ملتقاً به فصاح بمن معه : « ما الذى يتحرك فى هذا الحصير ؟ » فجرى الخدم نحوه ونفضوا الحصير فبدى ابن عمار وهو أجدر ما يكون بالرائء وأحق بالشفقة ، وليس عليه من الثياب غير سرواله وقد ارتجفت أعضاؤه واحمر وجهه خجلاً لم يستطع حياله أن يرفع عينيه الى المعتمد الذى ما أن رآه على هذه الصورة حتى انفجر باكياً وسأله : « يا ابا بكر . . ما الذى حملك على هذا ؟ » .

واذ رأى صديقه موصول الرجفة فقد ترفق به وسار وياه الى حجرته محاولاً الوقوف على سر مسلكه العجيب هذا ، فبقي فترة غير قصيرة لم يوفق فيها الى الوقوف على ما يريد .

ووقع ابن عمار فريسة اضطراب عصبى شديد ، وتناهيه الخجل من السخرية به والفرع مما فعله ، فأنشأ يبكى ويضحك حتى اذا هدأت نفسه أخيراً اعترف بما جرى ، فضحك المعتمد لاعترافه وأمسك بيده فى حنان وقال له : « يا ابا بكر . . هذه أضغاث أحلام . . . هذه آثار الخمر ، وكيف أقتلك . . ؟ رأيت أحداً يقتل نفسه ؟ وهل أنت عسلى الا كنفسى . . . ؟ فانس الأمر » .

وتناسى ابن عمار الأمر فنسيه على حد قول أحد المؤرخين (٥) .
وتوالت الأيام والليالى بعضها فى أثر بعض الى أن كان من أمره ما كان مما ستأتى الاشارة اليه .



كان الصديقان اذا غادرا «سلب» خلفها الى اسبيلية حيث يمارسان شتى ضروب الملذات التى لا تتوفر الا فى هذه العاصمة الرائعة المتألقة ،

وكثيرا ما كانا يمشيان متنكرين الى مرج الفضة على ساطيء نهر الوادي الكبير حيث يختلف الى هناك الرجال والنساء بحثا عن اللهو والتسلية وطلبيا للترويح عن النفس ، وقد التقى في هذا المكان المعتمد لأول مرة بتلك الفتاة التي قدر لها أن تصبح رفيقة حياته ، وذلك أنه بينما كان يتجول ذات مساء مع صديقه في مرج الفضة اذ مس النسيم وجه الماء مسا هينا فجعه . فارتجل المعتمد هذا الشطر « صنع الريح من الماء زرد » ثم سأل ابن عمار أن يجهز الشطرة الثانية فعجز ابن عمار ، ولكن قامت بذلك فتاة من بنات الشعب كانت على مقربة منهما فقالت : « أى درع لقتال لو جسد » .

فتملك العجب المعتمد أن يسمع فتاة صغيرة تبز ابن عمار في الارتجال ، وكان الارتجال أمرا قد شاع خبره عن ابن عمار ، ثم نظر المعتمد اليها فشدده جمالها ، وسرعان ما نادى أحد الخصيان ممن يتبعونه عن قرب وأمره أن يأخذ الفتاة التي ارتجلت هذا الشطر الى القصر ، ثم بادر هو بالرجوع اليه .

فلما جرى بالفتاة اليه سألها من تكون ومكانتها فأجابت :

« اسمى اعتماد ، ويلقبونني بالريميكية نسبة الى مولاي ريميك ابن حجاج ، ومهمتى وضع السرج على الدواب » .
فسألها : « اذات بعل أنت ؟ » .

فقالت : لا .

فقال لها : « أنت لى زوجة » (٦) .

ظل المعتمد بقية حياته على طولها شديد الولع باعتماد الريميكية ، وصارت هي عنده غاية المنى ، وكان الناس أحيانا يقرنونها بولادة القرطبية : « سافو » ذلك العصر ، ولكن هذه المقارنة قد تكون صحيحة من بعض الوجوه ، وبخاطئة من وجوه أخرى .

لم تكن « الريميكية » تستطيع أن ترقى لمنافسة « ولادة » في المعرفة لانها لم تنصرف للنظر في الكتب، بيد أنها لم تكن دونها في حلوة الحديث ورقة الألفاظ وعذوبة المنطق ، وحضور البديهة ، وكثرة الفكاهة ، وسرعة النكتة ، بل لملها بزت « ولادة » في مفاتها الطبيعية ، وسذاجتها وبشاشتها ودلالها (٧) ، وقد كانت أهواؤها ورغباتها مؤدية الى سعادة زوجها وشقوته معا ، اذ كان يرى نفسه مضطرا لاستجابة كل ما تطلبه منه مهما تكلف في سبيل تحقيقه ، وما كان يتأتى لأحد ما أن يزحزحها

عن رأى ارتأته ، وقد حدث فى أحد الأيام فى شهر فبراير أن نظرت من كوة
باحدى نوافذ القصر بقرطبة فأبصرت السلج يتساقط قطعاً قطعاً ، وكان
هذا منظراً قل أن يسأهه فى هذا البلد الذى لا يكاد يعرف الشتاء ،
فاذا بها تنفجر باكياً على غير انتظار ، فسألها زوجها : « ماذا بك يا قرة
العين ؟ » فأجابته وهى تتنهد : « تسألنى عما بى؟ ٠٠٠ ويحك من قاس!!
ما أجمل هذا البرد وما أفتن تساقط قطع النلج !! » فأجابها وهو يكفكف
عبراتها التى انحدرت على وجنتها : « أذاك ، وسترين هنا ان شاء الله
ما تحبين » .

ثم أمر بزرع أشجار اللوز على جميع جبال قرطبة عسى أن تكون
أزهارها البيضاء التى تتفتح بعد انتهاء الصقيع تعوض الريميكية عن كرات
الثلج المولعة بها (٨) .

وحدث فى مرة أخرى أن شاهدت طائفة من نسوة الحمى يعجن الطين
بأقدامهن العارية لعمل الآجر ، فبكت فسألها زوجها عما يبكيها فقالت :

« واشقرتى وأنا أسيرة هذا القصر !! ٠٠٠ أما رأيت هؤلاء النسوة
على ساطيء النهر ؟ ٠٠٠ لو ددت لو كنت معهن أفعل فعلهن فأعجن الطين
يقسمى العاريتين ٠٠٠ لكنك فرضت على قيود الغنى والمملك » .

فأجابها الأمير : « حنانيك سيكون لك ما شئت » .

وبادر فى لحظته فنزل الى ساحة القصر وأحضر كمية كبيرة من السكر
والقرفة والزنجبيل ومختلف أنواع الطيوب ، ثم أمر الخدم بخلطها بالماء
وعجنها بالأذرع حتى صارت عجينة ، فلما فرغ الخدم من ذلك قال
للريميكية : « هلا نزلت الى الساحة وعجنت الطين مع جواريك ؟ » .

فنزلت السلطانة وخلعت هى ووصيفاتها تعالهن وأخذن يغمسن
أرجلهن فى هذا العجين المعطر ، وهن جذلات مرحات .

كان هذا الهوى غالى الثمن ، وعرف عن المعتمده أنه يستجيب لزوجته
المدللة التى لم يكن لرغباتها نهاية ، وحدث فى ذات يوم أن سألت زوجها
شيثاً لم يستطع تحقيقه لها ، فصاحت به : « واتعسى ٠٠٠ والله ما رأيت
منك خيراً قط !! » .

فسألها المعتمده فى صوت رقيق ملؤه الحنان : « ويوم الطين ٠٠٠ ؟ »
فخجلت ولم تصر على طلبها (٩) .



واقنا لمضطرون لأن نضيف الى ذلك أن المتدينين كانوا لا ينطقون
أبداً اسم هذه السلطانة النشيطة الا مستعيدين بالله ، ويعلمونها أكبر

نقبة في سبيل هداية زوجها ، ويقولون انها هي التي تدفعه الى الانغماس في الملذات والفن ، واذا راوا المساجد غير عامرة بالمصلين يوم الجمعة نسبوا اليها انصراف الناس عن الصلاة .

وكانت الرميكية « تسخر منهم ، ولما كانت طائشة غير مكترثة بشيء ما فانها لم تقدر ولم يخطر لها على بال أن سيأتي يوم يغدو هؤلاء الرجال خطرا كبيرا عليها (١٠) .

على أن حب المعتمد للرميكية لم يغير من بقائه على مودته لابن عمار فلم يزل ، ينزله من نفسه أكرم منزلة ، وحدث في ذات مرة أن سافر الأمير وانفصل عن الرميكية وكان في صحبة صديقه فكتب اليها رسالة ضمنها هذه الأبيات الستة :

(ا) أغائبة الشخص عن ناظري وحاضرة في صميم الفؤاد
(ع) عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشئون وقدر السهام
(ت) تملكنت منى صعب المرام وصادفت ودى سهل القياد
(م) مرادى لقياك في كل حين فياليت أنى أعطى مرادى
(ا) أقيمي على العهد ما بيننا ولا تستحيلى لطول البعاد
(د) دمست اسمك الحلو في طيه وألفت فيه حروف «اعتماد» (١١)
ثم ختم كتابه اليها بقوله « سألقاك ان شاء الله ربى وشاء ابن عمار » .

فلما علم ابن عمار بهذه العبارة نظم الأبيات التالية موجهها اياها الى رفيقه وفيها يقول له :

مولاي عندي لما تهوى مساعدة
كما يتابع خطف البارق السارى
ان شئت فى البحر فاركب ظهر ساجحة
أو شئت فى البر فاركب ظهر طيار
حتى نحل - وحفظ الله يكلؤنا -
ساحات قصرك واتركنى الى دارى
وقبل خلع نجاد السيف فاسع الى
ذات الوشاح ، وخذ للجد بالثار
ضمنا ولثما ، يغنى الحلى بينكما
كما تجاوب أطبار بأسحار

هكذا كان قائب الأمير الشاب وزعما بين الصنادفة والحب ، ومن تم نعم بحياة لطيفة ، الا أن صفو هذه الحياة ما لبث أن تآدر ، فقد نفى المعتضد ابن عمار ، فكان هذا الحادب ضربة شديدة الوقع على الصديقين . . . ولكن ماذا نعلان . . .

لقد كان المعتضد رجلا لا يرجع عن قضاء قضى به فى أمر ارتآه ، لذلك أمضى ابن عمار فى الشمال - لاسيما فى قرطبة - أشد سنوات نفيه قسوة ، وظل على هذا المنوال حتى ولى الحكم المعتمد بعد أبيه وله من العمر تسع وعشرون سنة (١٣) ، فبادر الأمير الى استدعاء الف شبابيه البه ، وترك له الحرية فى اختيار ما شاء من الوظائف فى الحكومة ، فقرأ رأى ابن عمار على تولى حكومة الولاية التى كانت مسقط رأسه ، فأجابه المعتمد الى طلبه رغم ما يرضه من الأسى لابتعاداه عنه وما فى هذا البعاد من فراق (١٤) بينهما .

فأما أخذ المعتمد فى وداعه جانست نفسه بذكريات أيامه العذاب بشلب ، ورفرفت أمام عينيه صور الماضى التى لم تبارح فؤاده أبدا ، فأنشد مرتجلا (١٥) :

ألا حى أوطانى بشلب أبى بكر
وسلهن هل عهد الوصال كما أدرى
وسلم على قصر الشراييب من فنى
له أبدا سوق الى ذلك القصر
منازل آساد ، وبيض نواعم
فناهيك من غيل وناهيك من خدر
فكم ليلة قد بت أنعم جنحها
بمخصبة الأرداف ، ومجدبة الخصر
وبيض وسممر فاعلات بهجتى
فعال الصفاح البيض والأسل السممر
وليل بسد النهر لهوا قطعته
بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منعم
نضير ، كما انشق الكمام عن الزهر .

ودخل ابن عمار مدينة « شلب » فى أفخم موكب وأروع حاشية لم ينتهيا مثلها للمعتمد ذاته أيام ولايته حكومة هذه الكورة .

لكن الذى يغفر له هذا الزهو هو أنه قام بعمل كريم دل على عرفانه
للجميل ، اذ ما كاد يعلم أن التاجر الذى أعانه فى ضيفه يوم كان هو
ساعرا مملقا مجهول الشأن لا يزال على قيد الحياة حتى بعث اليه بصره
مملوءة بالدراهم ، ولم تكن هذه الصرة سوى المخلاة التى بعها اليه التاجر
وقد ملاحا نسعرا ، وكان ابن عمار قد احتفظ بها حتى يوهه هذا ، ولم
يكتنم عن أحسن اليه قديما أنه لم يكن قانعا بعطيته اليه ، اذ قال له :
« لو كنت ملاحا برا لكننا ملاحاها لك تبرا (١٦) » .



لم تطل ولاية ابن عمار بشلب ، لأن المعتمد لم يطلق الجيش بعيدا عنه
فاستدعاه الى القصر وولاه الحجابة (١٧) .

الفصل العاشر

صور من حياة المعتمد

بلاط أنشيبيلية مجمع فطاحل الشعراء • المعتمد ووصيفه الشاعر
ابن وهبون • اللص الباز الأشهب واعجاب المعتمد بحيلته على سبيل
الفكاهة • استعمال المعتمد للباز الأشهب فى الشرطة • بعض من حياة
المعتمد • منادته لوداد ومسامرته للونا (قمر) وعشقه لجوهرة • نجاح
قرطبة فى القضاء على آل بن جوهر ونفيهم الى شطليش • ظهور
ابن عكاشة محمد بن مرتين وعباد بن المعتمد على مسرح الأحداث وخلو
الجو لابن عكاشة الذى لا يلبث أن يموت مسموما • المعتمد يقتل
ابن عكاشة ثارا لولده عباد • مطامع الفونس السادس فى اشبيلية وحيلة
ابن عمار فى رده •

صور من حياة المعتمد

كان المعتمد ووزيره ابن عمار يجبان الشعر حبا جما دفعهما لايتاراه على كل ما سواه ، ومن ثم أضحي بلاط أشبيلية ندوة يلنقى فى رحابها أنبغ الشعراء فى يومهم ، أما من دونهم فلم تواتهم الفرصة للظهور به لأن المعتمد كان ناقدًا لودعيا ينقد كل قصيدة ترفع اليه نقد الخبير الألعى ، ويزن كل عبارة بها بل وكل لفظ حوته (١) ، وكان يسرف اسرافا لاحد له فى العطف على الشاعر الملمه اذا وفى فى العتور عليه ، وقد سمع ذات يوم أحدهم ينتمد هذين البيتين :

قل الوفاء فلا تلقيه فى أحد ولا يمر لانسنان على بال
كانه عندهم عنقاء مغربة أو مثل ما حدثوا عن ألف مقال
فسأل لمن البيتان ؟ ، ف قيل له : « لعبد الجليل [بن وهبون] ،
أحد خدم مولانا » . فصاح المعتمد اذ ذاك : « هذا والله هو اللؤم ...
رجل من خدامنا والمنقطمين الينا يقول : « أو مثل ما حدثوا عن
ألف مقال ؟ ، وهل يتحدث أحد عنا بأسوأ من هذا المقال وهذه
الاحدوثة ؟ » .

ثم بادر فى لحظته وأمر بوصل عبد الجليل بألف مقال (٢) .



وحدث فى مرة أخرى أنه كان يتحدث الى أحد الشعراء الصقليين
الذين وفدوا على بلاطه بعد فتح « روجر النرمندى » بلادهم ، فدخل
عليه بعضهم يحمل جملة دنانير قد ضربت منذ قريب ، فوصل المعتمد
الصقلىي منها بخريطتين ، فلم يقنع الشاعر [واسمه أبو العرب] بما
أصاب من العطفة رغم ضخماتها ، وتطلع بعين الطامع الى تمثال بالقاعة
لجمل مصنوع من العنبر ومحلى بالجواهر ، وقال للمعتمد : « ما بحمل
هذه الدنانير يا مولاي الا جمل !! » ، فقال المعتمد : « هو لك » (٣) .

وخلاصة القول فالثابت أن المعتمد كانت تعجبه رجاحة الفكر سواء
عند الشاعر أو غيره حتى ولو كان هذا اللبيب لصا قاطع طريق ، كما
تشهد بذلك قصة « الباز الأشهب » وهو رجل كان من أفتك قطاع الطريق

في زمنه وأعاصم وأشدهم خطرا ، وقد انفرد بهذا اللقب وخصه الناس به فكان نعتا له دون سواه .

ظل الباز الأشهب يبعث الرعب في قلوب سكان الريف ويدهم ما يملكون حتى وقع في النهاية في يد العدالة ، فأدين فحكم عليه بالصلب على قارعة الطريق لينظر الفلاحون ما حل به ، وكان اليوم المضروب لتنفيذ الحكم يوما حارا قائظا كأشد ما يكون القيظ ، وخلا الطريق - أو كاد - من المارة الا من زوجته وبناته اللاتي وقفن عند أسفل الختسبة التي رفع عليها وهن يقلن : « لمن تتركنا ؟ » . سوف نضيع بعدك » ، وكان الباز الأشهب رجلا شديدا الحنو على أسرته ، بتنسق قلبه عطفًا عليها ، فاستند جزعه اذ فكر في المتربة التي سوف تلقاها بناته من بعده ، وحدث في هذه اللحظة أن مر به تاجر غريب الدار على بغل وتحتة حمل ثياب وجملته من بضائع مختلفة وهو ماض لبيعها في القرى المجاورة ، فصاح به الباز الأشهب : « يا سيدي ، أنظر في أي حال أنا ، ولي عندك حاجة ان تقضها ففيها نفع لي ولك !! » فسأله التاجر « وما حاجتك يا رجل ؟ » ، قال : « أنظر الى تلك البئر ، لما أرهقنى الشرط رميت فيها مائة دينار فمضى تحنالا فتخرجها . . . وهذه زوجني وبناتي يمسكن بغلتك خلال ما تخرجها . فان فعلت فلك نصفها حاللا » .

وتحركت في التاجر شهوة الكسب وتغلبت عليه ، وسرعان ما اجتذب جبلا وشده الى حافة البئر وتدلى وهو ممسك به حتى بلغ القاع ، واذا ذاك قال الباز الأشهب لامرأته : « اقطعي الجبل وخذي ما على البغل ، وفرى ببناتك » .

وتم ذلك كله في طرفة عين والتاجر يصبح ويستغيث في الجب كالمجنون فلا يفتأ ، وبقي على ذلك ساعة من الزمن غير قصيرة لم يهرع لنجدته أحد ما فقد كان الطريق خاليا من السابلة ، حتى جاءه أخيرا أحد المارة فلم يقو لضمفه على جذبه من البئر فوقف يلتمس عابرا آخر يعاونه في اخراجه .

ولما أتبع للتاجر الخروج بعد لاي من محبسه العميق قص-على منقذيه اللذين سألوه عن السبب الذي من أجله نزل البئر ، فروى لهما نكد طالعه وهو يصب اللعنات على اللص الذي غرر به واحتمل عليه هذه الحيلة الماكرة التي سرعان ما ذاع خبرها في كافة أرجاء البلد حتى تناهت الى سمع المعتمد الذي أمر بانزال الباز من فوق الختسبة وأحضره اليه ، فلما صار بين يديه قال له : « كيف فعلت هذا مع أنك في قبضة الهلكة ؟ » فأجابته اللص : « يا سيدي . . . لو علمت قدر لذتي في السرقة لخليت ملكك واشتغلت بها !؟ » .

فانفجر الأمير ضاحكا وقال : « عليك اللعنة ٠٠٠ او سرحنك وأحسنك اليك وأجريت عليك رزقا يقيلك أتتوب عن هذه الصنعة الذميمة ؟ » .
فأجابه : « يا مولاي ، كيف لا أقبل التوبة وهي نخلصني من القتل ؟ » .

وبر الباز الأشهب بعهدده ، فما كاد يسغل وظيفة في الشرطة حتى بت الرعب في قلوب رفاقه السابقين ، بعد أن كان يتير الفزع من قبل في نفوس الفلاحين (٤) .



لقد تقلب المعتمد في أعطاف حياة ناعمة لاهية ولم يسغل نفسه كبيرا بأمور الدولة ، حتى لقد قال في احدي قصائده (٥) :

بالعقل تزدهم الهموم على الحشا والعقل عندي أن تزول عفول
وقد استنفدت المآذب شطرا كبيرا من وقته ، كما اضطرته رغبته في تذوق لذائد الحياة لصرف ما تبقى منه قرب الكواعب الحسان من حريم قصره ، وان لم يمنعه ذلك من البقاء على حبه للرميكية التي ظل هواها في قلبه عنيفا جدا حتى مات ، لكن لما كان مألوفا عند البعض من أنه لا جناح على السرى أن يكون له هوى مع غير زوجته دون أن يرمى بالتحول عنها ، فقد كان المعتمد يبعث بين حين وآخر بالهدايا الى غيرها من النسوة فلا تغضب الرميكية لوثوقها من سيطرتها على فؤاده .

لقد كانت هناك « وداد » الجميلة وفاتنته ، وكانت اذا شربت مع الأمير أحس للشراب نكهة لا يلقاها مع سواها (٦) .

ثم كانت « لونا » التي تجلس اليه اذ يمضي لقراءة شعر القدماء أو حين يتهبأ لنظم القريض ، وحدث في ذات مرة أن انسلت الشمس فالتقت بأشعتها في حجرة مطالعته فقامت دونه تستره منها ، فقال في ذلك :

قامت لتحجب ضوء الشمس قامتها عن ناظري : حجبت عن ناظر الغير
علما لعمرك منها أنها « قمر » هل تكسف الشمس الاصورة القمر؟

وكانت له جاريه تدعى « جوهرة » ، جمعت بين حدة الطبع والحشمة ، فان غضبت لقي المعتمد ألما جساما في فثا غضبها وفي ردها الى الهدوء .
وقد حدث ذات مرة أن سخطت عليه فكتب اليها يترضاها ويقدم اليها معاذيره ، فأجابته اجابة كريمة وان لم تضع اسمها أعلاها كما جرت العادة ، فلما رأى الأمير ذلك أنشد يقول (٧) :

لم تصف لي بعد والا فلم لم أر في عنوانها « جوهرة »

دوت بأنى عاشق باسمها فلم ترد لخيظ أن تذكره
قالت : لعاهه اذا أبصره فباله ، والله لا أبصره

وما أروع السقم بأنى به السحر !! •

لقد دعا الله الأمير أن يمن عليه بالمرض الدائم عساه أن يطالع عند
سريره تلك الظبية الفاتنة الوردية الشفتين (أ) •

فد يخطيء من يظن أن المعتمد كان منصرفا كل الانصراف عن متابعة
عمل أبيه وجده من قبل ، فهو وإن لم يكن له من الأطماع ما كان لهما
الا أنه أخرج الى الوجود ما عجزا عن عمله من قبل ونجح هو فيما لم ينجح
فيه ألا وهو ضم قرطبة الى مملكته فى السنة الثمانية من حكمه •

حقيقة أن أباه مهد له السبيل ، كما عاونته الظروف معاونة عجيبة ،
ذلك أنه قبل هذا التاريخ بست سنوات ، أعنى سنة ١٠٦٤ م [= ٤٥٧ هـ]
تخلى أبو الوليد [محمد] بن جهور حاكم قرطبة عما بيده الى ولديه
عبد الرحمن وعبد الملك فساق الى أكبرهما مهمة الاشراف والجبابة ،
وجعل للثانى (وكان شديد الميل له) قيادة الجند (٩) ، غير أن ادارة
الابن الصغير سرعان ما غطت على ادارة أخيه الأكبر ، وان يكن كل شيء فد
سار سيرا لا عوج فيه طول المدة التى كانت الادارة خلالها بيد ابن السقاء
الذى فرض احترام الحكومة على جميع أعدائها : من ظهر منهم ومن استتر ،
وكان من بين هؤلاء المعتضد ذاته الذى أدرك أن تحقيق رغائبه مرهون بما
يقعله لاسقاط ابن السقاء •

لذلك حاول المعتضد افساد ما بين عبد الملك بن جهور وبين وزيره ،
وشاء القدر أن يكسب له النجاح فى تلك المحاولة ، فقد لقي ابن السقاء
مصرعه قتلا مما نرتب عليه أوخم العواقب للبلد ، فقد استعفى الضباط
والعسكر الذين كانوا شديدى التعلق بالوزير ، كما كره الشعب فى
عبد الملك فسوته واهماله ، وبدى لهم أنه يحاول أن يمحو بالتدريج ما بقى
قائما حتى ذلك الوقت من النظم الجمهورية •

وأخذت قوة عبد الملك فى التدهور منذ أن نهض المأمون صاحب
طليطة لحصار قرطبة فى خريف ١٠٧٠ م [= ٤٦٣ هـ] ولم يكن عند
عبد الملك من قوة يدفع بها المغير سوى مائتى فارس ينقصهم التنظيم ،
ومن ثم طلب النجدة من المعتمد ونال ما تمنى ، وأمدته المعتمد بامدادات
هائلة حملت الجيش الطليطى على رفع الحصار عن قرطبة والارتداد عنها ،
الا أن عبد الملك لم يجن من وراء هذا شيئا ما ، فقد راح زعماء الجيش
الاشبيلية ينفذون فى السر أوامر مولاهم ، فاتصلوا خفية بأهل قرطبة

وانفقوا معهم على نزع السلطنة من يدى عبد الملك ووضعها فى يد ملك أشبيلية ، وم تدبير هذه المؤامرة بليل فى الخفاء تدبيرا بلغ من احكامه انه لم يخامر شئ خاطر عبد الملك من ناحية القوم ، فلما كان صباح اليوم السابع من رحيل المأمون نهياً ابن جهور للخروج ليكون فى وداع الاشبيليين الذين كانوا قد أشاعوا أنهم راحلون عن المدينة فى ذلك اليوم ، فما راع عبد الملك الا صيحات الشعب والتبرؤ من أمره تصك سمعه ، فتدبر الأمر ولوى عنان فرسه الى قصره وقد أحرق به الشعب والجند الذين كانوا يتظاهرون بمساعدته وتأييده ، فقبضوا فى هذه اللحظة عليه وعأى أبه وجميع أهل بيته .

هكذا أصبحت قرطبة فى قبضة المعتد ، وسيق بنو جهور أسرى الى جزيرة « شلطيش » ، فلم يلبث أبو الوليد التميمي غير أربعين يوماً فارق بعدها الحياة (١٠) .

ويتكلم الملك الساعر عن هذا النصر كما لو كان هو الذى قام به ، وتنضح عباراته بالزهو اذ يقول (١١) :

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت من جاء يحطبها بالبيض والأسل
وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها فأصبحت فى سرى الحلوى والحلل
عرس الملوك لنا فى قصرها عرس كل الملوك به فى ماتم وجل
فراقبوا عن قريب - لا أبا لكمو - هجوم لين بدرع البأس مستمل
الا أن المأمون لم ير الهزيمة فيما جرى ، بل نراه على العكس من ذلك يصمم على انتزاع قرطبة وامتلاكها مهما تحمل فى سبيلها من المشاق ، فنراه يخرج بصحبة حليفه الفونس السادس مخرباً أرباض المدينة ، الا أن حاكم المدينة عبادا النساب وابن رميكية والمعتد (١٢) دفعوه عنها ، وحينذاك ساهم عكاشة فى الاستيلاء على ما كان يتطلع اليه .

كان عكاشة رجلاً سفاكاً للدماء ، كما كان من قبل قاطع طريق يعتصم بالجبال ، ولم تكن تنقصه الكفاءة ، كما أن معرفته بقرطبة كانت معرفة الخبير حيث قدر له أن يلعب دوراً فيها من قبل حين كان فى يده أحد حصونها ، فأخذ يدبر المكائد ويحيك المؤامرات بقرطبة ، ولم يكن ذلك بالأمر العسير عليه نظراً لتذمر الكثرين من أهلها من سير الأحداث بها .

حقيقة أن كل ما فى الأمير « عباد » كان يوحى بالأمل المرجو منه ، الا أن صغر سنه لم يكن يسمح له لأن يكون مؤهلاً للانفراد بالحكم ، ومن ثم صارت القوة فى يد قائد الحامية « محمد بن مرتين » الذى يظهر انه

نصراني الأصل ، ومع كفاءة هذا الرجل كجندي الا أنه كان فظا قاسيا ، سفاكا للدماء ، وفاجرا منبذلا ، فكرهه أهل قرطبة ولم يجد الكنبرون منهم أدنى غضاضة في الاتصال بابن عكاشة الذي لم ينجح في ابقاء مؤامراته على الكتمان ، اذ لاحظ أحد الضباط أن هذا اللص القديم يكثر من طرق أبواب المدينة ليلا ويتصل بعسكر الحامية اتصالا مريبيا ، فحمل هذا الخبر الى الأمير « عباد » الذي لم يكثر بالأمر كثيرا ، وبعث بهذا الضابط الى « محمد بن مرتين » الذي أحاله بدوره على جماعة من صغار الضباط .
والخلاصة أن كلا منهم كان يلقي عبء الأمور على كاهل غيره دون أن يقوم أحد ما منهم بما يفرضه الواجب عليه .

ظل ابن عكاشة داثبا على الترصده له دون أن يكف عنه ، فلما جاء شهر يناير سنة ١٠٧٥ م [= ٤٦٨ هـ] استطاع ان يدخل المدينة مع رجاله ، وكانت الليلة عاصفة ، والدجنة طخياء ، ثم زحف مباشرة على قصر « عباد » وقد خلى من الحرس ، وبينما هو على وشك اقتحام الباب اذا بالبوابة يسعر بما يجري فيوقظ الأمير الذي يهب مع حفنة من العبيد والجنود محاولين اعتراض ابن عكاشة والحيلولة بينه وبين ما يريد .
وعلى الرغم من شدة صغر سن الأمير الا أنه دافع دفاع الليث عن عرينه وأرغم المهاجمين على الجلاء عن الدهليز ، غير أن قدمه زلت فسقط عليه أحد المتآمرين وقتله ، ثم تركوا جنته بالطريق وهي تكاد تكون عارية اذ كانوا قد أيقظوه من نومه على حين غفلة ، ولم يسعه الوقت لارتداء ثيابه .

سار ابن عكاشة بعد ذلك برجاله الى بيت القائد [محمد بن مرتين] الذي لم يدر بخلده أن سيهاجم الا في اللحظة التي رأى القوم فيها يحملون على داره ، وكان اذ ذاك يتلهى بمشاهدة الجوارى وهن يرقصن بين يديه .

كان محمد بن مرتين دون « عباد » شجاعة ، لذلك ما كاد يسمع قعقة السيوف في فناء بيته حتى بادر الى الاختفاء ، لكن القوم كشفوا مخبأه وقبضوا عليه وما لبثوا ان قتلوه .

وبينما كان الفجر يرسل أولى أضوائه ، وبينما كان ابن عكاشة ينتقل من دار الى دار ليضم الى جانبه الأشراف ويحملهم على نأبيده اذا بأحد المؤذنين يمر أمام قصر « عباد » وكان هذا المؤذن في طريقه الى الجامع فأبصرت عيناه جثة عارية هامدة في الوحل ، فتأملها فعرف فيها الأمير الشاب ، فما كان منه الا أن ترحم عليه وغطاه بعباءته ، ولم يكذب بتأدرك المكان حتى قدم ابن عكاشة الى هذا الموضع بالذات وحوله خليط من أولئك الأوساب الذين يهتفون في المدن الكبرى لكل ثورة جديدة .

ولما رأى ابن عكاشة «عبادا» مطروحا أمر بحز رأسه ، وطاف بها العوم شوارع المدينة وفد رفعوها على رمح ، فلما رأت الحامية هذا المنظر ألقت السلاح وحاولت النجاة ولاذت بأذيال الفرار ، وحينذاك جمع ابن عكاشة أهل قرطبة بالمسجد الجامع وأخذ منهم البيعة للمأمون . وعلى الرغم من نفاق الكثيرين منهم بالأمر [عباد] نعلقا كبيرا واخلاصهم به إلا أن سدة الفرع وانتساره بن جميع حملهم على طاعة ابن عكاشة .

ثم قدم المأمون ذاته بعد عدة أيام من هذا الحادث ، وكان مظهره يدل على عظيم تقديره لابن عكاشة فأسرف في تبجيله ، وزعم الناس أن ثقته به لم يكن لها حد ، ولكن الواقع أنه كان يكره في سريره هذا اللص القديم الذي لا يعف عن ارتكاب الجريمة ، والذي ما كان له ان يتورع عن المبادرة الى قتل المأمون ذاته ان دعت الحاجة الى هذا القتل ، كما قبل «عبادا» الصغير بلا شفقة ولا رحمة ، لذلك راح يفتن عن حياة يتخذها ذريعة ويترقب فرصة تمكنه من ابعاده من مملكته دون أن ينير ضجة ، ولم يكتم خبر هذه الحطة عن المقربين اليه من جلسائه ، وحدث في ذات يوم من الأيام ان نهض ابن عكاشة لمغادرة المجلس ، فزفر المأمون زفرة طويلة ، ونفضه بعين يتطاير منها شرر الغضب ، ودمدم بكلمات تنذر بالشر ، واذ ذاك جرؤ أحد أصدقاء ابن عكاشة على قول قالة أراد بها الدفاع عنه ، فقال له المأمون : « دع عنك هذه الفعاقع . من اجترأ على الملوك لا يصلح للملوك !! » .

وفى شهر يونيو من سنة ١٠٧٥ م [= ٤٦٨ هـ] مات المأمون مسموما بعد مجيئه الى قرطبة بسنة أشهر ، فاتهم أحد رجال حانسته بأنه المدبر لقنائه ، أفهل يستبعد أن يكون ابن عكاشة هو مدبر هذه الجريمة ؟؟

من ذا الذى يستطيع الانطلاق الى بلاط أشبيلية وبصور الحزن الذى كان يأكل حنايا المعتمد حين نناهى الى سماعه ذلك النبأ المشئوم : نبؤ ضياع قرطبة ومصرع ابنه البكر الذى كان متعلقا به تعلق الجاهلى بوثنه .

لقد انطوى هذا القلب النبيل على شعور أنبل وأرفع من الرغبة فى التآر ، ذلك هو احساسه بالشكر العميق تجاه هذا المؤذن الذى دفعته رقة قلبه لوضع عباءته على جثمان ولده عباد ، وأسف المعتمد لعجزه عن مكافأته لجهله اسمه ، فأنشأ يقول (١٣) :

ولم أدر من ألقى عليه رداه سوى أنه قد سل عن ماجد محض

ظل المعتمد ثلاث سنوات يبذل المحاولات دون جدوى لاسترداد قرطبة والانتقام من ابن عكاشة لمقتل ابنه حتى نحقق له الاستيلاء على قرطبة يوم الثلاثاء الرابع من سبتمبر سنة ١٠٧٨ م [= ٤٧٨ هـ] ، وبينما كان يهجم بدخول المدينة من أحد أبوابها كان عكاشة يفادرها من باب آخر ، فبعث المعتمد فى اثره نفرا من فرسانه يقصون اثره حتى قبضوا عليه ، ولما كان هذا اللص القديم يدرك ألا أمل له فى الحصول على عفو الأب المقيوم فى ابنه الصريح فقد اعزم أن يبيع حياته غالية ، فكر على أعدائه كرة السور الهائج فلم تنفعه غضبته ، إذ أسعفتهم كثرة عددهم بأن تكون لهم الغلبة عليه فأمسكوه وجاؤوا به الى المعتمد الذى أمر بصلبه فصلبوه وجعلوا الى جانبه كلبا .

وتلى سقوط قرطبة سقوط جميع نواحي طليطلة فيما بين نهر الوادى الكبير ووادى آنة (١٤) .

كان هذا النصر من الانتصارات الباهرة ، لكن المعتمد كان يحام بالمكافأة ، فلو أننا قارنا المعتمد بجميع ملوك الأندلس لبزهم جميعا وكان أقوى أمير فيهم ، الا أنه لم يكن أكثر من أى واحد منهم استقلالا ، إذ كان هو الآخر مثلهم فى مرتبة التسابع يدفع الجزية التى أداها أولا الى غرسبة (١٥) ثم الى الفونس السادس من بعده منذ استيلاء الأخير على مملكتى أخويه : سانجة وغرسبة .

كان الفونس السادس حاكما شديدا الوطاة ، لم يكتف بالجزية السنوية يفرضها على أعدائه بل راح يهدد من آن لآخر بضم أملاك أتباعه العرب الى مملكته ، وقد حدث فى احدى المرات أن خرج على رأس جيش كنيف العدد لغزو اقليم أشبيلية مما أدى الى انتشار الذعر بين المسلمين الذين كانوا أضعف من أن يستطيعوا دفعه ، ودب اليأس فى قلوب الجميع باستثناء ابن عباد الذى لم يعتمد قيد ذرة على الجيش الاشبيلي ، إذ أدرك استحالة قهر القوات المسيحية بمثل هذا الجيش ، غير أنه كان يعرف « الفونس » لكثرة نرده على بلاطه (١٦) ، ويدرك فيه طمعه ، وأيقن أنه من اليسير التغلب عليه لمعرفة بذوقه وحيله ، واعتمد على هذا الأمر فبادر الى تنظيم المقاومة الحربية ، وصنع سفرة شطرنج كانت بديعة غاية الابداع ولم يكن عند ملك من الملوك سفرة شطرنج مثلها ، وجعل رموزها من الأبنوس [والعود الرطب] والصندل ، وحلاها بالذهب ثم دخل بها على الفونس فى معسكره ، فأعظم الفونس قدمه إذ كان ابن عمار أحد المسلمين القلائل الذين يقدمهم الفونس .

ثم جاء يوم أظهر فيه ابن عباد تلك الرقعة من الشطرنج لأحد النبلاء

القنستاليين من خواص الفونس ، فنقل النبيل خبرها الى هولاه فاستحضر المعتمد وسأله : « كيف أنت في الشطرنج ؟ » .

قال : « يزعم خواصي أنني فيه طبقة » .

قال : « بلغنى أن عندك سفرة غابة في الاتقان ؟ » .

قال : نعم !!

قال : كيف السبيل الى رؤيتها .

قال ابن عباد : أنا آتيتك بها على أن ألعب معك عليها ، فان غلبتني فهي لك ، وان أنا غلبتكم فلي حكمتي .

فقال الفونس : « هلمها لننظر » .

فحملها ابن عباد الى الفونس الذي ما أن رآها حتى أعجبتته دقه الصنعة وبراعة الاتقان ورسم الصليب على صدره ثم قال : « ما ظننت أن اتقان الشطرنج يبلغ الى هذا الحد » .

وامتلأت نفس الفونس اعجابا بالرقعة فقال للمعتمد : « كف قلت ؟ » .

فأعاد عليه ابن عباد قوله الأول ، فقال الفونس : « لا ألعب على حكم مجهول لا أدري ما هو ، ولعله شيء لا يمكنني » .

فقال ابن عباد في هدوء : « وأنا لا ألعب الا على هذا الوجه » .

ثم أمر أحد خدمه برفع السفرة فطواها وحملها الى معسكره .

وانفض المجلس .

لكن ابن عباد لم يكن بالرجل الذي يسمح لليأس أن يجد سبيلا الى نفسه ، بل بادر فاتصل سرا بجماعة من النبلاء القشتاليين . وبين لهم ما سيطلبه من الفونس ان تمت له الغلبة عليه ، ووعدهم بمال جزيل ان هم أزروه في هذا الموضوع ، فاستهواهم الذهب ووثقوا بعهود الأمير العربي وناصروه كما اشبهى اذ كان الفونس يتحرق شوقا للحصول على هذه السفرة من الشطرنج ، ومن ثم سأل أمراء الرأي فيما يفعل ، فقالوا : « ان أنت غلبته كانت عندك سفرة ليس عند ملك من الملوك مثلها . وان غلبك فما عسى أن يحتكم ؟ . . . وان هو طلب مالا يمكن فنحن لك برده عن ذلك » .

وظلوا يحادثونه ويلقون اليه بمنزل هذه الأقوال المغربية حتى استطاعوا التغلب على تردده وأجابهم الى ما أرادوا .

وارسل ألفونس الى ابن عباد الذى كان ينتظر بسفرتة ، فلما دخل عليه قال له : « فد قبلت ما رسمته ! » •

فرد عليه قائلا : « اجعل بينى وبينك سهودا كفلان وفلان » ، ثم سمى له كثيرا من النبلاء الفنستاليين ، فقبل الملك طلبه ، وحضر أولئك الكبراء ، وبدأ اللعب ، فغابه ابن عباد غلبة ظاهرة ، فقال له : « هل صح أن لى حكى ؟ » فأجابه الملك : « نعم ، فما هو حكمك » قال : « ان ترجع من هاهنا الى بلادك » •

فأربد وجه ألفونس وامنعق ، وأقامه الهم وأقعده ، وأخذ يذرع الفسطاط فى خطوات واسعة ، ثم قال لخواصه : « قد كنت أخاف من هذا حتى هونتموه على » •

وصمت ساعة من الزمان ثم قال : « سأنكت ، وأنمادى لوجهى » • فقال له القستاليون : « قبيح بك أن نفعل هذا ، وكيف يجمل بك الغدر وأنت ملك ملوك النصرارى فى وقتك ؟ » •

ولما هدأت أخرا فورة ألفونس بعض الهدوء قال لابن عباد : « سأفنى لك بمهدى ولا أرجع حتى آخذ أناوة عامين خلاف هذه السنة » •

فقال ابن عباد : « هذا كله لك » •

ثم جاءه ابن عباد بالمال الذى طلبه •

وهكذا سلمت أشبيلية هذه المرة من الغزو الذى كان يهدد وجودها . واطمأن خاطرها بفضل لباقة وزبرها (١٧) •

الفصل الحادي عشر

مطامع ابن عمار ونهايته

تطلع ابن عمار الى مرسية • ولاية أبي عبد الرحمن بن طاهر العربي القيسي • ابن عمار يوثق علاقانه مع الناقلين على ابن طاهر من كبار رجال مرسية •• اتفاق ابن عمار وكونت برشلونة على مهاجمة مرسية • غضب المعتمد على ابن عمار ثم صفحه عنه • اطلاق سراح ابن أخي ريموند والرشيد • ابن عمار وقشير يزحفان على مرسية • الاستيلاء على مولة • دخول ابن عمار مرسية منتصرا واهماله أمر مولاة المعتمد ثم اعتذاره اليه • ابن زيدون الشاعر أكبر الواشين بابن عمار عند المعتمد • ابن عمار يزج بابن طاهر في السجن ويرفض اطلاق سراحه • هرب ابن طاهر الى بلنسية ومحاولة ابن عمار اثاره أهلها ضده • ابن عمار يهجو صاحبه ابن عباد ويعرض بالرمبكة • تأليب الجند على ابن عمار وهروبه الى الفونس ليساعده في استرداد بلنسية • السباق بين ابن عمار وابن رشيق في التقرب من الفونس •• تغلب ابن عمار بين الولايات والحكام ووضع نفسه في خدمة المؤتمن • أسر بني سهيل لابن عمار وبيعهم اياه للمعتمد • ابن زيدون يهينه ويؤجج الحقد في نفس ابن عباد على ابن عمار • المعتمد يقتل ابن عمار •

مظالم ابن عمار ونهايته

لم يكنف ابن عمار بانقاذ مملكة أشبيلية بل تطلع أيضا الى بسط حدودها لا سيما على حساب ولاية « مرسية » التي كانت في بادئ الامر جزءا من أملاك زهير ، ثم صارت تابعة لمملكة « بلنسية » ، غير أنها استقلت بتدبير أمورها ابان الحقبة التي نتكلم عنها ، حسب كان يحكمها « أبو عبد الرحمن بن طاهر » الأمير العربي الأصل ، الفيس القبيلة .

كان ابن طاهر وافر التراء اذ كان يمتلك نصف الولاية ، كما كان في الوقت ذاته على حظ عظيم من الثقافة (١) . لكن لبس نحت يده من العسكر غير شزيمة ضئيلين ، فكان من السهل غزو ولايته وهو أمر لم يفت انتباه « ابن عمار » الذي قام في (٢) سنة ١٠٧٨ م [= ٤٧١ هـ] فاخترق مرسية ميمما وجهه شطر كونت « برشلونة » واسمه « ريموند برانجر » الثاني ويلقب بصاحب القلنسوة الكتانية Cap d'Etoupe نظرا لكثافة شعره ، ولا ندرى الدافع لابن عمار على القيام بتلك الحركة ، ولكنه اغتنم هذه الفرصة فوثق وشائج المودة بينه وبين فريق من أشرف « مرسية » الناقمين على ابن طاهر ، أو بلفظ أدق بالمستعدين لخيانته اذا تقدم أحد اليهم بالمال يرشوهم به .

ولما وصل ابن عمار الى « ريموند » عرض عليه عشرة آلاف دينار اذا قبل معاونته على غزو مرسية ، فقبل الكونت عرضه ، وأكد قبوله ودفع ابن أخيه الى ابن عمار تأكيدا للاتفاق فوعده الوزير من جانبه بتسليمه الرشيد بن المعتمد قائد الجيش الاشبيلي ان لم يصل المال في الوقت المتفق عليه ، الا أن المعتمد كان يجهل هذا الشرط ، ولم يكن يدور بخلد ابن عمار أن الحاجة ستدعو لتطبيقه يقبنا منه بأن المال لا بد واصل في حينه .

وخرجت قوات أشبيلية للغزو وانضمت اليها قوات ريموند ، وهاجم الفريقان ولاية مرسية ، غير أن ما طبع عليه المعتمد من التواني والابطاء أدى الى التفصير في الوفاء بالشرط المتفق عليه ، مما خيل معه للكونت أن ابن عمار قد غرر به ، فقام في سورة غضبه وألقى القبض على « الرشيد » الذي لم يفلح الجنود الاشبيليون في انقاذه ، فقد دارت عليهم الدائرة ولحقت بهم الهزيمة واضطروا الى الارتداد .

كان المعتمد اذ ذلك في طريقه الى مرسية . وكان الى جانبه ابن أخى الكونت واتسم زحفه بالبطء ، فلما بلغ ضحاف نهر الوادى اللبانع الذي

عجز عن عبوره نظرا لتلاطم أمواجه رأى على الجانب الآخر من النهر فريقا من جنده الفارين من المعركة ، ومن بينهم فارسان يحملان اليه تعاليم ابن عمار ، وسرعان ما دفع هؤلاء الجند دوابهم فخاضت بهم النهر وجاوزوه الى حيث يوجد المعتمد فذكروا له الأحداث المؤلمة التي جرت ، وأضافوا الى ذلك قولهم ان ابن عمار يأمل ألا يطول الوقت عليه لاسترداد الحرية . وسألوا الأمير - على لسانه - أن يبقى حيث هو ، فلم يلق سمعا الى طابهم بل استند به الذعر من جراء الأخبار التي تناهت الى سمعه ، ولم يطمئن باله على مصير ولده ، فنهقر حتى بلغ « جيان » بعد أن قيد ابن أخى الكونت .

بعد عشرة أيام من ذلك الحادث وصل ابن عمار وفد أطلق سراحه الى مقربة من « جيان » الا أنه لم يجرؤ على المول أمام المعتمد خوفا من غضبه عليه ، واكتفى بأن بعث اليه بالأبيات التالية :

فقد صرت من أمرى على مركب صعب
فأجعله حظى ؟ أم الحظ في القربى ؟
وان أتعبه نكصت على عقبي
على كل حال ما يزحزح من كربى
وأرجوك للحب الذى لك فى قلبى
وتنبو بكفى صفحة الصارم العضبى ؟
وليس له غير انتصاحك من «حسب»
يضاف به رأى الى العجز والعجب
قللت بها حدى وكسرت من غربى
ترينى بعدى عنك آنس من قربى
جرت جريان الماء فى الفصن الرطب
ولا قلت ان الذى فيما جرى ذنبى
وأسأل سقيا من تجاوزك العذب
سأهتف : يا برد النسيم على قلبى

أأسلك قصدا أم أعوج عن الركب؟
وأصبحت لأدرى أفى البعد راحتى
اذا انقذت فى أمرى مشيت مع الهوى
على أننى أدرى بأنك مؤثر
أهابك للحق الذى لك فى دمي
أيظلم فى وجهى لذا فمر الدجى
حنانيك فمن أنت شاهد نصحه
وما جئت تبيئا فيه بغى لطالب
سوى أننى أسلمتني للممة
وما أغرب الأيام فيما قضت به
أما انه لولا عوارفك التى
لما سمت نفسى ما أسوم من الأذى
سأستسمح الرحمن لديك ضراعة
فان نفحتني من سمائك مرجف

أما المعتمد الذى لا بد أن قد أحس أنه هو الذى أخطأ بتراخيه فلم يعارض دعوة ابن عمار فى تذكيره بصداقته ، ورد عليه قائلا :

لسدى لك العتبى تراخ من العتب
وأعزز علينا أن تصيبك وحشة
فدع عنك سوء الظن بى وتعهده
قريضك قد أبدى توحش جانب
تكلفتني ، أبغى به لك سلوة

وسعبك عندي لا يضاف الى ذنبى
وأنسك ما ندره فيك من الحب
الى غيره فهو المكن فى القاب
فراجعت تأنيسا، وعلمك بى حسبى
وكيف يعانى الشعر مشترك اللب

ولما أفرخ روع ابن عمار بهذا الرد خف الى مولاه وانطرح على قدميه ، واتفقا على اطلاق سراح ابن أخى الكونت واعطاء ريموند العشرة آلاف مثقال المتفق عليها ، على أن يطلق هو الآخر « الرشيد » من عنده ، غير أن ريموند لم يقنع بالمال المتفق عليه فيما بينهما بل طالب بثلاثين ألف دينار ، ولما لم يكن لدى المعتمد حينذاك هذا القدر من المال فقد زيف سبيكة عظيمة وسكها عملة ، وشاء حسن حظه ألا يفتن الكونت لهذه الخديعة الا بعد اطلاقه سراح الرشيد (٣) .



لم يكف ابن عمار عن طمعه فى الاستيلاء على « مرسية » رغم هذا النجاح الضعيف الذى انتهت اليه محاولته الأولى ، فقد ادعى أنه تلقى كتبا نبعت فيه الآمال الجسام ، وأن هذه الكتب قد أنفذها اليه فريق كبير من أشرف « مرسية » ، وأدخل ذلك فى روع المعتمد الذى أذن له أخيرا بالخروج بالجيتس الاشبيلي لمحاصرة « مرسية » .

ولما بلغ ابن عمار قرطبة مكث بها أربعة وعشرين ساعة ضم خلالها الى جنده من كان بهذه المدينة من العسكر ، وقضى الليلة بصحبة حاكمها ابن المعتمد واسمه « الفتح » الذى أعجب ببراعة أحاديثه وحدة ذكائه ، اذ جاء أحد الصبيان الى ابن عمار ينهى اليه أن الفجر كاد أن يتنفس ، فزجره الوزير وارتجل هذا البيت :

اليك عنى فليل كله صبح وكيف لا وسميرى الحاجب الفتح

تابع ابن عمار زحفه حتى قارب حصنا كان لا يزال يسمى حتى ذلك الوقت بـ« حصن » بلج » زعيم عرب الشام فى القرن الثامن ، وكان الحصن فى يد رجل من قبيلة « بلج » ينعت بقشير (٤) فخف هذا العربى المدعو بابن رشيق لمقابلته ، وعرض عليه النزول بحصنه حتى يستجم ، فلبى ابن عمار دعوته وتلطف صاحب الحصن به حتى وثق به ابن عمار ، ولم يخطيء فى ثقته بهذا الصديق الجديد الذى صحبه ، وزحفا على مرسية وحاصراها ، ولم تلبث « مولة » ان استسلمت لابن عمار وكان فى هذا الاستسلام ايدان بشر مستطير لأهل « مرسية » اذ كانت مؤنثهم تصلهم من هذه الناحية ، ولم يخامر ابن عمار الشك فى أن المدينة ذاتها لن تلبث هى الأخرى. أن تذعن له ، وعهد الى ابن رشيق بحراسة « مولة » وان لم يترك بها من فرسانه الا نفرا قليلا ، ثم انكفأ هو الى « أشبيلية » ببقية عسكره ، فلما بلغها وصلته رسائل قائده ينهى فيها اليه أن المجاعة أهلكت « مرسية » ، وأن جماعة من وجوه أهلها الموعودين بأرفع المناصب قد مدوا يد المعونة للمحاصرين بها ، واذ ذاك قال ابن عمار : « كأنكم بفتح مرسية من غد الى بعد غد ؟ » ، وتحققت نبوءته فقد فتح جماعة من

الخونة أبواب المدينة لابن رشيق ، وزج بابن طاهر فى الحبس ، وقام جميع السكان فبايعوا المعتمد (٥) .

لم يكد ابن عمار يتلقى هذا الأنباء حتى تملكته الفرحة وازدهاه الفرح ، وطلب من المعتمد أن يأذن له بالإقامة فى البلد المفتوح فأجابه المعتمد لما أرادته ، وحينذاك رأى الوزير أن يحسن مكافأة أهل « مرسية » المكافأة الطيبة ، فأهداهم كثيرا من الخيول والبغال التى ساقها من قصر مولاه ، وحمل غيرها الى أصحابه ، وحملها بالثياب الغالية ، ثم أخذ فى الرحيل بين دق الطبول وخفق البنود ، وكان كلما مر ببلد ترك به بعض المال ، ثم دخل « مرسية » دخول الظافر ، فلما كان اليوم التالى جمع أهلها وخرج اليهم بمظهر الملك عاصبا رأسه بقلنسوة طويلة لم يكن من عادة المعتمد لبسها الا فى الأعياد الكبرى ، ولما شرع الناس يرفعون اليه حاجاتهم راح يمهرها بعبارة « ينفذ هذا ان شاء الله » مسقطا اسم المعتمد .

لم يكن هذا المسلك من ابن عمار الدال على اعجابه بنفسه الا دليلا على تمرده ، أو لعل هذا ما رآه المعتمد الذى لم يسلم نفسه للغضب ولكن استولى عليه الأسى والقنوط ، ورأى بعينه حلم خمسة وعشرين عاما يتبدد فى لحظة ، وأدرك أنه كان مخدوعا فيما أوحاه اليه قلبه ، وأيقن أن مودة ابن عمار له وتظاهره بالنزاهة وشدة الاخلاص لم تكن الا افكا وتضليلا ، ولربما كان ابن عمار فى الحقيقة على الصورة التى ظنه عليها مولاه ، الا أنه لم يكن يفكر أبدا ولم يكن يدور بخلده أن يتمرد على ولى نعمته ، ولما كان ابن عمار مفسطا قليل الانفعال فانه لم يشعر نحو المعتمد بالصدقة العنيفة الفائرة التى كان المعتمد يظهرها له ، ومع ذلك فقد كان ابن عمار يضمرب الحب الصادق لمولاه ، تشهد بذلك الأبيات التى وجهها اليه ردا على لومه اياه :

ولا أنا ممن غيرته الحوادث
لينسأى بحظي منك ثان وثالث
ولا نفحت تلك السجايا الدماث
حلاوته عنى الرجال الأخابث
لدى ، ولا أنى لعهدك ناكث
كما ساعدت صوته المنانى المالث
تجافت لنا عنها الخطوب الكوارث
ولا تليت عنى مساع خباثث
نهايا ، وللايام أيد عوابث
إذا مت عنها قام بعدى وارث

لك المثل الأعلى وما أنا حارث
ولا شاركته الشمس فينا وانه
فديتك : ما للبشر لم يسر برقه
أظن الذى بينى وبينك أذهبت
تنكرت ؟ لا انى لفضلك ذاكر
ولكن ظنون ساعدتها حمائم
أبعد انقضا خمس وعشرين حجة
مضت ، لم ترب منى أمور شوائب
حللت يدا ، بى هكذا وتركتنى
وهل أنا الا عبد طاعتك التى

أعد نظرا ، لا توهن الراى انه قديما كبا هاف وأدرك رائت
ستذكرنى ان بان حبلنى، وأصبحت نبيد بكفيك العبال الرئائت
وتطلبنى ان غاب للراى حاضر وقد غاب منى للخواطر باعث
ومن يدرى لعل لحظة من اللقاء تجمع بينهما كانت كافية لنبيد
سوء ظن المعتمد بوزيره وتعيد هذين الصديقين الى سابق عهدهما الذى
كانا عليه !! .

لكن وأسفاه !!

لقد كان كل من الأمير والوزير بعيدا عن الآخر كل البعد ، وكان
لابن عمار فى أشبيلية رهط من الحساد والأعداء الذين لم يكفوا عن افتراء
الأكاذيب عليه ، ويصورونه فى صورة تقذى لها عين الأمير ، وقد تمكن
هؤلاء « الوشاة » كما سماهم ابن عمار فى احدى قصائده تمكنا عجيبا من
الأمير فسيطروا عليه كل السيطرة ، ومن هؤلاء « الوشاة » (٦) الوزير
أبو بكر بن زيدون (٧) ، أوسع رجال ذلك العصر نفوذا فى القصر ، فقد
استطاع أن يشكك المعتمد فى صدق محبة ابن عمار له منذ أن طلب
الوزير الاذن له بالشخص الى « مرسية » . أضف الى ذلك أن ابن عمار
وجد عدوا لا يقل عن سابقه خطورة فى شخص ابن عبد العزيز أمير
« بلنسية » وحليف ابن طاهر وصديقه .

حين بلغ ابن عمار « مرسية » عنى باظهار أحسن المعاملة تجاه
ابن طاهر فلم يقصر فى البعث اليه بكثير من الثياب الغالية ليختار منها
ما يعجبه ، غير أن ابن طاهر كان مطبوعا على السخرية المريرة ، وزاد من
حدة غضبه ضياع ولايته من يده ، فرد رسول ابن عمار قائلا له (٨) :
« قل لمولاك الأمير اننى ما أريد سوى هذه الجبة والعمامة » .
فلما وقف ابن عمار على رده قال : « والله لقد عنانى يوم كنت
فقيرا وحيث أنشده شعرى » .

لم ينفر عرق لابن طاهر من هذه الصفة القاسية التى جرحت
كبرياه ، وقد زج به فى حصن « منت أقوط » (٩) .
استجاب المعتمد لتوسلات ابن عبد العزيز فبعث الى وزيره يأمره
باطلاق سراح ابن طاهر ، فتغافل ابن عمار عن أمره (١٠) ، لكن ابن طاهر
تمكن من التخلص من حبسه بفضل المعونة التى قدمها اليه ابن عبد العزيز
ومضى فأقام ببلنسية فاستشاط ابن عمار غضبا ، واذ ذاك نظم
ومضى فأقام ببلنسية فاستشاط ابن عمار غضبا ، واذ ذاك نظم قصيدة
يحث فيها أهل بلنسية على التمرد والثورة على أميرهم ، وكان مما جاء
فيها قوله (١١) :

يا أهلها من غائب أو حاضر
جاروا بنى عبد العزيز ، فانهم
ثوروا بهم متأولين وقلدوا
هذا محمد أو فهذا أحمد
جاء الوزير بها يكشف ذيلها
نكت اليمين وجار عن سنن التقى
بر اليمين ولم يعرض نفسه
هبهات تطمع في النجاة لطالب
كيف التفلت بالخدعة من يدى

وقطينها من راسخ أو طارى
جروا اليكم أسوأ الأقدار
ملكا يقوم على العدو بنار
وكلاهما أهل لتلك الدار
عن سواة سوأى ، وعار عارى
وقضى على الاقبال بالادبار
نفوسكم لمصارع الفجار
ساع - اذا دنت الكواكب - سارى
رجل الحقيقة من بنى عمار ؟

فلما تنهى خبر هذه القصيدة الى سمع المعتمد وعف أنفه غضبا
وتسر حنقا على ابن عمار ، ونظم أبياتا سخر فيها منه ، فقال :

كيف التفلت بالخدعة من يدى
الأكثرين مسودا ومملكا
والمؤثرين على العيال بزادهم
الناهضين من المهود الى العلال

رجل الحقيقة من بنى عمار
ومتوجا فى سالف الأعصار
والضارين لهامة الجبار
والمنهضين الغار بعد الغار

ما أن سمع عبد العزيز هذه الأبيات حتى أفرحته وان أغضبت
ابن عمار الذى نظم قصيدة أولخ بها فى هجاء المعتمد والنيل من الرميكية
ومن بنى عباد أجمعين ، وقد تجرأ ذلك المغامر المولود فى المهانة والذى
رفعته مودة المعتمد الى مكانة سامية فتناول على بنى عباد وقذفهم بأنهم
لم يكونوا سوى مزارعين مغمورين فى نواحي « يومين » أو « أم القرى » ،
كما قال فى احدى قصائده ساخرا ، وتابع كلامه قائلا :

تخيرنها من بنات الهجين « رميكية » ما تساوى عقالا
فجاءت بكل قصير العذار لثيم النجارين : عما وخالا
قصار القدر ، ولكنهم أقاموا عليهم قرونا طوالا

غير أن - بقية من خجل منعت ابن عمار من الجهر بتاك الأبيات
التي نظمها فى لحظة لم يستطيع التحكم فيها فى زمام غضبه ، فلم يعلم
بها سوى أقرب خواصه اليه ومن بينهم رجل يهودى وافد من الشرق وثق
به ابن عمار ثقة صار معها عنده غير ظنين أو متهم فى ولائه له ، ولم يدر
بخلد ابن عمار أنه عين من عيون ابن عبد العزيز . وتيسر الأمر لهذا
اليهودى فحصل على نسخة من هذا الهجاء بخط ابن عمار نفسه فانفذها
الى أمير « بلنسية » الذى بادر بكتابتها الى المعتمد ، وطيرها باحدى الحمام
الزاجل ، مدرجة طى كتاب منه اليه .

واستتحال الوفاق بين الأمير والوزير ، ولم يتسن للمعتمد .
ولا للميكية ولا لأبنائهما أن يغفروا لابن عمار هجومه المقذع ولا نياله البدى .
منهم الا أن ملك أشبيلية لم تكن حاجته مثل حاجة وزيره ، فقد تكفل غيره .
بهذه المهمة .

انصرف ابن عمار انصرافا تاما الى صيواته ، ولم يدر يخلده أن
ابن رشيق سوف يغدر به بمعونة أمير بلنسية ، ولم يدرك حقيقة الامر
الا وقد تم الأمر ، فقد حرك ابن رشيق الجند على ابن عمار فالحوا في
مطالبتهم اياه بما تأخر من روايتهم ، فلما عجز ابن عمار عن مرضاتهم
هددوه بتسليمه الى المعتمد فارتعدت أوصاله جزعا ، ورأى السلامة في
الفرار السريع .

والتمس ابن عمار النجاة عند الأذقونش ، مؤملا أن يعاونه في
استرداد «بلنسية» لكن خاب فآله اذ تمكن ابن رشيق بهداياه السنية من
استمالة الأذقونش اليه ، فقال لابن عمار : « انما مثلك مثل السارق (١٢) »
سرق السرقة فضيعها حتى سرقت منه ، فسرقها غيره (١٣) فضيعها ،
فسرقها غيرهما « (١٤) » .

فانبت حينئذ كل أمل لابن عمار من ناحية مملكة ليون ، ومن ثم
شخص الى سرقسطة حيث خدم المقتدر ، غير أن بلاطه كان دون بلاط
أشبيلية روعة وفخامة ، فلم يطلب له المقام به فغادره الى «لاردة» التي كانت
تحت حكم «المظفر» أحد أخوة المقتدر الذي رحب به أجمل ترحيم ، الا انه
ابن عمار رأى أن «لاردة» أقل أنسا من «سرقسطة» فعاد اليها حيث كان
«المؤمن» قد خلف أباه المقتدر (١٥) .

استولى الضجر على نفس ابن عمار ، والضجر خطر مخيف ، وامتد
كالسحابة السوداء على يومه وغده ، وعلى حاضره ومستقبله ، ومن ثم
اعتبر نفسه سعيدا ان هو أتاحت له الفرصة للخروج من سكونه حيث
ثار أحد أصحاب الحصون ، وكانت لابن عمار معرفة سابقة بهذا الثائر ،
فتعهد للمؤمن باخضاعه له وزحف عليه في نفر قليل ، حتى اذا بلغ
سفح الجبل الذي يقوم على قمته الحصن طلب ابن عمار من الثائر أن
بأذن له في زيارته غير مستصحب معه سوى رجلين فقط ، فلم يسيء
صاحب الحصن الظن بابن عمار وبأدر قلبى طلبه ، واذا ذاك قال ابن عمار
لخادميه : جابر وهادي : « صبا سيفيكما عليه اذا رأيتماي أماشييه ويدي
في يده » .

وقضى صاحب الحصن نحيبه مقتولا فألقى جنده بأيديهم الى ابن عمار
مستشفعين به فأمهم ، وحفظ المؤمن لابن عمار يده هذه عليه ، ثم لم يلبث

أن أخذ يترقب فرصة جديدة ينفس فيها عن نشاطه الجرم ، فأراد أن يحصل للوئمن على « شقورة » التي كانت تقوم على قمة جبل صعب المرتقى صان لها استقلالها ، تم استولى عليها « سراج الدولة » بن علي أمير « دانية » وبقيت « شقورة » خاضعة له مدة من الزمن ، فلما مات « سراج الدولة » طمع الفائمون بالوصاية على - أولاده - وهم بنو سهيل - في بيع « شقورة » الى أحد الأمراء المجاورين لها ، غير أن ابن عمار كان قد وعد الوئمن أن يستخلصها له كما استخلص له من قبل الحصن الذي أشرنا اليه . ومن ثم سار على رأس جماعة من الجند وطلب من بنو سهيل أن يأذنوا له ببقائهم ، فاستجابوا له ، ولكن بدلا من أن يوقعهم ابن عمار في شرك حباله وقع هو فيما نصبوه هم له ، إذ كادوا له نارا لاساءة سبقت منه اليهم أيام ولايته « مرسية » .

كانت أطراف هذا الحصن شديدة المنعة بفضل وجود هوة شديدة الانحدار ، فاذا أراد أحد دخول الحصن كان لا بد له من الاستعانة في الصعود اليه بساعديه ، فلما بلغ ابن عمار هذه الناحية بصحبة خادميه جابر وهادي أحس بمن يجذبه الى فوق ، ولم تكده قدماء تمانان الأرض حتى أحدق به جند الحامية ونبهوا رفيقيه . أن يهربا بأنفسهما ان كانا يطعمان في الحياة ويكرهان الموت بحد السيف ، فانطلقا على وجهيهما حاملين لجند سرقسطة نبأ وقوع ابن عمار في الأسر ، فحاول الجند انقاذه فلم يفلحوا فيما حاولوا ولم يحققوا ما ارتجوه ، فعادوا من حيث أتوا .

زج بنو سهيل بابن عمار في السجن ، ثم عزموا على بيعه لمن يغلى لهم الثمن ، فقدر للمعتمد أن يشتريه وأن يشتري أيضا حصن « قشورة » ، وكلف ابنه الراضي بأخذ الأسير الى مدينة قرطبة التي دخلها ذلك الأمير المنكود وهو يرسف في أغلاله ، وقد أركبوه بغلا ووضعوه بين عدلى تبين ، وانتهال المعتمد عليه تقريرا ، وأطلعه على الهجاء المقذع سائلا اياه عما اذا كان يعرف صاحبه .

أما الأمير الذي كان غير قادر على الوقوف لثقل الأغلال التي يرسف فيها فقد أنصت صامتا لا يستطيع النطق ببنت شفة ، وعيناه الى الأرض ، حتى اذا فرغ الأمير من تقريره اياه قال له ابن عمار : « ما أنكر شيئا مما يذكر مولانا أبواه الله ، ولو أنكرت لشهدت به على الجمادات فضلا عن ينطق ، ولكنني عترت فأقل عثرتي ، وزللت فاصفح » ، فرد عليه المعتمد قائلا : « هيهات ، هيهات ، انها عشرة لا تقال » .

أما نساء القصر اللائي عرض بهن ابن عمار في هجائه فقد انتقم منهن بأن أسرفن في السخرية اللاذعة به ، كما سلقته عامة أشبيلية بشتائمها

وطال بقاءه في الأسر بالمدينة مما أحيى في نفسه ميت الأمل ، وكان ابن عمار يعرف كثيرين من ذوى المكانة الرفيعة ومن بينهم « الرشيد » فتحدثوا في شأنه الى المعتمد ، وكتب اليه بعضهم في استصلاح أمره ، أضاف الى هذا أن ابن عمار لم يكف عن استعطافهم بما يبعثه اليهم من شعره ، بيد أن المعتمد ضجر من كثرة توسلات القوم اليه من أجله ، ومن ثم أمر أن تمنع عنه كل ادوات الكتابة ، حتى كان يوم التمس فيه ابن عمار أن يسمح له بالورق والقلم والدواة فجاؤوه بما طلب فأنفذ الى المعتمد قصبدة طويلة حملها بعضهم ذات مساء اليه وهو على شرايه ، فلما انقض السامر شرع يتلوها فحركت عاطفته ، فاستقدم اليه في حجرتة ابن عمار وعياد يؤنبه من جديد لجحوده منته عليه وكفرانه بجميله اليه ، فغص ابن عمار بالدموع وشرق بالقول ، وعجز عن الرد ، حتى اذا هدأت نفسه انطلق لسانه بأعذب بيان يشيد بذكر السعادة التي رضعا أفوايقها معا من قبل ، فسكنت نائرة المعتمد قليلا ، وكاد أن يغلب على عزمه وخاطبه خطابا سكن من روعه ولكنه لم يجزم له بالعفو عنه .



لعل أشد ضروب نكد الطالع هو أن نفجع في الآمال التي نرجوها ، ومما يؤسف له ان ابن عمار تنكب الصواب في تقدير مشاعر المعتمد نحوه، فقد تأتي له أن يشاهده ساخطا عليه أشد السخط ، ثم أبصر سكونه فقدد أمرا لم يجز بحسبان مولاه .

كانت نفس المعتمد لا تزال تنطوى على شيء من العطف على ابن عمار، لكن هذا العطف كان أبعد من أن يصل الى العفو عنه ، وقد أخطأ ابن عمار التقدير فما كاد يعود الى مطبقه حتى اعتقده أنه عائد عن قريب الى سالف منزلته ، فلم يستطع كتمان فرحته التي هزت فؤاده هذا ، فكتب الى الرشيد كتابا يفضي فيه اليه بالخاتمة السعيدة التي تمخض عنها لقاءه بالمعتمد .

وتلقى الرشيد الكتاب وهو في جماعة من الناس ، وبينما هو يطالعه اذا بوزيره عيسى يلقي نظرة خاطفة سريعة على الكتاب ولكنها كانت كافية لايقافه على مضمونه ، فأذاع عيسى الخبر ، وقد يكون فعل ذلك بسبب ثورته أو كراهيته لابن عمار ، وتناهى النبا الى سمع أبي بكر ابن زيدون على صورة فيها أشد المبالغة ، وزاد القوم في رسالة ابن عمار زبادات قبيحة حتى ليقول أحد المؤرخين انه « ينزه كتابه عن ذكرها ، ويمسك عن ايرادها » .

وبات ابن زيدون على جمر الغضا ، اذ عرف أن في رجوع ابن عمار الى سالف مكانته اقضاء له هو نفسه عما هو فيه بل ربما أدى ذلك الى القبض عليه وقتله .

وجاء الصباح ، فلم يدر ابن زيدون ما يصنع .

وبقى ملازماً داره لم يغادره حتى حانت الساعة التي جرت العادة أن يكون فيها بالقصر فغاب عنها ، فالتمسه المعتمد فلم يجده ففتش عنه فلم يقف له على أثر ، فبعث في طلبه حتى جاءوه به فأدنا المعتمد مجلسه منه كدأبه في كل يوم ، فأفرخ روع ابن زيدون ، وتأكد أن موضعه عنده غير مغموز ولا مهدد كما كان يظن ، فلما سأله الأمير عما حجبه عنه هذا الوقت الطويل أجاب بأنه اعتقد أن مكائنه عنده قد تراجعت ، ثم أفضى إليه في الوقت ذاته عما يتحدث به الناس في مجالسهم بكل مكان عن خبر لقائه بوزيره السابق « ابن عمار » ، وأنهم يرجفون بعودته الى سابق سطوته ، وكان « ابن سلام » - صديق ابن عمار وابن بلده وعامل شرطة المدينة - قد قام فهياً في داره جناحاً كأحسن ما يكون الجناح لنزول ابن عمار ، ثم خرج ابن زيدون ، دون أن تكون تمت حاجة لمزيد من القول وذكر الأراجيف التي يرجف بها الناس .

فلما سمع المعتمد ما سمع طفح كيل الغضب في نفسه ، ولم تكن الكراهية والحقد على أسيره مبعث هذا الغضب بقدر ما كان من غضبه من زهو ابن عمار وان يكن زهواً باطلاً ، إذ سمع بضع الفاظ رقيقة فقدر منها اطلاق حرية وعودته الى سالف مكائنه وبأسه . لذلك أحضر المعتمد أحد الخصيان الصقالبة وقال له : « اذهب الى ابن عمار وقل له كيف وجد السبيل - مع الترتيب - الى اقصاء ما أخذت معه البارحة » .

وسرعان ما عاد الخصى اليه وهو يقول : « ان ابن عمار يقول انه لم يفعل ولم يقل شيئاً ما » ، فقال المعتمد : « ولكنه يستطيع الكتابة »
ألا قل له : « الورقتان اللتان استدعيتهما ، كتبت في أحدهما القصيدة ، فما فعلت بالأخرى ؟ » .

فمضى الخصى اليه وعاد يقول : « يدعى ابن عمار أنه بيض فيها القصيدة » .

فقال المعتمد : « قل له : هلم المسودة » .

وحينذاك لم يستطع ابن عمار انكار الحقيقة فقال : « كتبت فيها الى الرشيد أفضى اليه بما مناني به الأمير » .

فلما سمع المعتمد قوله هذا ثار في عروقه دم أبيه الطاغية الذي كان كالنسر اذا ما وقع على فريسته مزقها ارباً وأطفاً ثورته بتمزيق أحشائها .

ثم استبد الحنق بالمعتمد الذي تناول أول سلاح صادفه وهو طبرزين.
رائع كان ألفونس قد أهدها إليه ، وأخذ يشب الدرج المؤدى الى الحجرة
التي أغلقت على ابن عمار الذي ما كاد يرى نظرات المعتمد الغاضبة حتى
صعق ، فقد رأى الموت واضحا فى قسما ت وجهه ، فزحف فى قيوده وانكب
باكيا مقبلا قدامى المعتمد الذى لم يشفق عليه بل علاه بالطبرزين ولم يزل
يضر به فى مواضع مختلفة من جسده حتى أسلم الروح وسكنت جثته
وبردت أطرافه (١٦) .

على هذه الصورة كانت خاتمة حياة ابن عمار وهى خاتمة دامية ،
وقد أثارت فى أسبانيا العربية عاطفة قوية وان لم تدم طويلا ، اذ جدت
بطليطة أحداث جد خطيرة ، واتجهت الأفكار اتجاها آخر من جراء تقدم
الجنود القشتاليين .

الفصل الثاني عشر

اذلال الفونس لملوك الطوائف

أطماع الفونس السادس في الأندلس واستنزافه أموال المسلمين . .
القادر يلجأ الى الفونس ليحميه من غضبة شعبه . الفونس يبالي في قدر
الجزية على المعتمد على لسان سفيره اليهودى الذى لا يحتمل المعتمد
عجرفته فيطلبه . تخريب الفونس لشذونه ودخوله طليطلة فيأخذ منها
مالا كبيرا ويتسلم بعض الحصون . دخوله طليطلة منتصرا وعلان الأمراء
طاعتهم له ولكنه يزدريهم . تطلعه الى غيرها من الولايات . قائده غرسية
جيمز يكثر من الاغارة على المرية وغرناطة . اختلاف الآراء حول فكرة
الاستعانة بالمرابطين . اجابات يوسف بن تاشفين الغامضة واستفتاء
الفقهاء فى هذا الموضوع . حملته على الجزيرة الخضراء ثم زحفه على أشبيلية
وصف لقائه مع المعتمد . اصطدام الفونس بالمرابطين فى زلاقة وانتصار
المرابطين . انهيار الثقة بين الجيوش الاسلامية بعضها وبعض .

اذلال الفونس ملوك الطوائف

وجه الامبراطور ألفونس السادس ملك ليون وقشتالة وغاليسيا وبنافارة كل اهتمامه للاستيلاء على جميع أرجاء شبه الجزيرة (١) ، وكان الفونس من القوة بالدرجة التي تمكنه من انجاز مشروعه ، الا أنه رأى أن يترث بعض الوقت ، ورغب ألا يتعجل الأحداث حتى يستعد للأمر فيجمع أكبر قدر مستطاع من المال اذ هو عصب الحرب وأضمن السبل للوصول الى الغاية التي يصبو اليها والهدف الذي ينشده ، ومن ثم وضع الأمراء المسلمين بين شقى الرحى ، واذا كانت المعصرة تعصر التفاح فتخرجه خمرًا فإنه راح يعتصر الذهب من هؤلاء الأمراء .

وربما كان أضعف الأمراء حولاً وقوة هو « القادر » ملك طليطلة الذى درج فى بلهنية القصور ونعيمها ، وكان ألوبة فى أيدي خصيانه ، وسخرية فى أعين جيرانه الذين راحوا يتنافسون فيما بينهم على تجريدته مما بيده ، ولم يكن له من حام يذب عنه سوى « أذفونش » الذى توجه اليه القادر حين عجز عن استرضاء قومه الذين ستموا طغيانه وكرهوا منه استبداده ، فوعده « ألفونس » بأن يرسل اليه قوات من عنده ، ولكنه طلب لقاء هذا الصنيع مبلغاً ضخماً من المال ، فدعى القادر اليه وجوه أهل بلده . وسألهم اسعافه بالمال الذى يفرضه « ألفونس » ، فأنكروا عليه طلبه ورفضوا سؤاله فصاح بهم : « أقسم لئن لم تحضروا هذا المال الذى طلب فى لحظتى هذه لأجعلن عند الفونس رهينة جميع من عندكم من العيال والبنين ! » ، فأجابوه : « لقد خلعت نفسك بما قلت وبما أزمعت عليه وعولت » .

والواقع أن الطليطليين أسلموا الأمور الى « المتوكل » صاحب بطليوس ، مما اضطر القادر الى التسلل لواذا تحت جنح الظلام الى ألفونس يلتمس من جديد معونته ، فقال له الامبراطور : « نحن ماضون لحصار طليطلة على أن تجعل أموالها فى يدي ، وأعطنى حصن سرية وحصن قنورية رهنا على ذلك » ، فاستجاب القادر لكل مطالب ألفونس ، وابتدأت الحرب (٢) ضد طليطلة سنة ١٠٨٠ م [= ٤٧٣ هـ] .

استمر النضال مدة عامين ثم أرسل الامبراطور - كما هو دأبه - سفارة الى المعتمد يطلب منه الجزية السنوية ، وكانت هذه السفارة تتألف

من فريق كبير من الفرسان ووكل باستلام المال رجلا يهوديا اسمه ابن شاليب (٣) ، اذ كانت العادة قد جرت في تلك الأيام أن يقوم اليهود بالوساطة بين المسلمين والمسيحيين .

عسكر السفراء خارج المدينة وأمر المعتمد جماعة من رجاله على رأسهم حاجبه « أبو بكر بن زيدون » بحمل المال الى أولئك السفراء ، ولكن المال الذي حملوه كان دون ما ينبغي على المعتمد تأديته لأنه لم يكن في حال تمكنه من جمع هذا المبلغ الكبير على الرغم من فحش الضرائب التي فرضها على رعيته ، فلما رأى ابن شاليب اليهودي ما رأى من المال صاح : « لا أخذت منه هذا العيار ولا أخذت منه الا ذهباً مسجراً ، ولا يؤخذ منه في هذا العام الا أجفان البلاد » .

فلما سمع المعتمد ما قاله اليهودي استبد به السخط وصاح في جنده : « اتتوني باليهودي دون أصحابه واقطعوا حبال الخباء » فعمل أصحابه بما أمرهم به ، فلما جاء الرسل الى القصر قال المعتمد : « اسجنوا النصارى واصلبوا هذا اليهودي » .

فصاح اليهودي وقد فارقه كبرياؤه وارتجفت أوصاله رعباً : « لا تفعل وأنا أفندي نفسي منك بزنتي مالا » .

فقال له المعتمد : « لو أعطيتني العدو والأندلس ما قبلتهما منك » .
وتم صلب اليهودي (٤) .

ما كاد خبير هذا الحادث يتناهى الى سماع الفونس حتى أفسم بالثالوث المقدس وبجميع الرسل ليكون انتقامه فظيماً حاسماً ، وقال : « لا أرفع يدي عنه ، وسأحشد من الروم عدد شعر رأسي ، وأصل بهم الزقاق !! » . غير أنه لم يكن قادراً على ترك فرسانه القشتاليين يكابدون الضيق ويعانون الموت في غياهب سجون اشبيلية ، ومن ثم سأل المعتمد أن يوافيه بالشروط التي يطلبها لقاء اطلاق سراحهم ، فطلب المعتمد منه أن يرد عليه حصن (٥) « المدور » فلما صار في يده أفرج عن الفرسان (٦) الذين ما كادوا يصلون الى موطنهم حتى قام الفونس فنفذ وعيده بأن خرب قرى « الغرب » وأحرقها ، واعمل في الناس القتل والأسر ، وقتك بالمسلمين الذين لم يسعفهم الوقت بالاعتصام بأحد الأماكن الحصينة ، وظل مقيماً على حصار اشبيلية ثلاثة أيام ، خرب فيها كورة « شندونة » وبلغ الساحل الرملي على مقربة من « طريف » ، ثم دفع جواده فخاض ضحوضاح الماء وقال : « الآن وطأت شط الزقاق ! » .

واذ بر يمينه وأرضى كبرياهه زحف على رأس جيشه الى مملكة طليطلة (٧) .

وقدر لجيش الفونس أن ينتصر في طليطلة أيضا مما دفع المتوكل الى اخلاء البلد له ، وفتح سكان العاصمة أبوابها للقائد الذي نهب منهم أموالا جساما قدمها لألفونس الذي قال له في برود عجيب : « هذا غير كاف ! » ، فقدم اليه القادر مرة أخرى ثروة أبيه وجده ، فقال له ألفونس : « وهذا ما يكفني ! » ، فقال له القادر : « أمهلني أحمل اليك غيره » فقال الملك : « لك ما طلبت ، لكن أسلمني بعض القلاع هنا » .

فنزل القادر على أمره ، وهكذا تمزق ميراث القادر ، واستنزف كل ما لديه من الثروة لكن ترى ما الذي كان مستطعبا عمله ؟ .

لقد كان يعرف أن سيف ألفونس البتار وصلت على عنقه يحزه ان بدرت منه أدنى بادرة من العصيان ، لذلك راح « القادر » يعطي الامبراطور الذهب بعد الذهب ، ويسلمه الحصون تلو الحصون ، الا أن ذلك كله لم يقنع ألفونس فاضطر القادر أن يسرف في الضغط على رعيته حتى خلت المملكة من سكانها ، وذلك أنهم أدركوا أن لا قبل لهم باحتماله فهاجروا زرافات الى بلاد ملك « سرقسطة » ، غير أن ذلك كله لم يتسفع للقادر عند ألفونس بل كان يزداد في اللاحاح عليه بما يطلب منه ، حتى اذا أقسم القادر له أن قد خوى وطابه عات الامبراطور فسادا في أرباض طليطلة وظل القادر فترة من الزمن وهو شديد التمسك بعرشه المنخوب ، الا أنه تخلى في النهاية عن تمسكه الذي لا جدوى منه ، ومن ثم ذهب الى حيث كان ألفونس في انتظاره فأنبأه بتخليه عن طليطلة له ، ولكنه اشترط عليه شروطا كان أهمها ما يلي (٨) :

« أن يؤمن من فيها من المسلمين على أنفسهم وأموالهم وذويهم وبنبيهم .
ومن أحب منهم التنقل لم يمنع منه ، ومن أحب المقام لم يلزمه سوى أداء الجزية على عدد من عنده من الأشخاص ، وان رجع بعد رحيله نزل عما كان بيده من عقار دون تعرض عليه في كثير » .

« وأن يترك لهم المسجد الجامع » .

« وأن يتكفل بارجاع القادر الى بلنسية » .

وقبل الامبراطور [ألفونس السادس] هذه الشروط ، حتى إذا كان يوم ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ م [= ٤٧٨ هـ] دخل ألفونس عاصمة المملكة القوطية القديمة (٩) .

واذ ذاك لم يعد ثم شيء يعادل كبريائه الا خمول شأن الأمراء المسلمين وضالة قدرهم وتفاهة شأنهم . فقد بادروا جميعا تقريبا الى بحث رسلهم لتهنئته على ما أصاب من الفتح العظيم ، وبعثوا اليه بهداياهم ، وأنهبوا

إليه رغبتهم في أن يشاركهم في بلادهم ، وأن يكونوا عمالا له بها ، وجباة
يجبون إليه أموالها .

على أن ألفونس « حاكم أهل الملتنين » كما لقب نفسه في وسائله
لم يمن مطلقا بكنتم احتقاره الذي دفعوه للشعور به نحوهم ، من ذلك ان
حسام الدولة [بن رزين] صاحب « السهلة » نهض اليه بنفسه حاملا
هدية عظيمة القدر سعى بها للتقرب اليه ، وكان الامبراطور [ألفونس]
حين دخوله عليه يتلهى بمشاهدة قرد يظفر أمامه ، فقال ألفونس لحسام
الدولة ساخرا به : « جزيتك على هديتك بهذا القرد ! » فلم يشعر الأمير
المسلم بأدنى غضاضة ، ورأى في هذه الهدية دليل الود ، وأصبح يراها
جنته مما كان يحذر من ألفونس من خلعه من ولايته التي بيده (١٠) .

بعد أن فرغ ألفونس من طليطلة جاء دور « بلنسية » .

كان يتنازع السلطة في بلنسية ولدا عبد العزيز ، ثم ظهر حزب
ثالث أراد أن يسوقها الى ملك سرقسطة ، كما قام فريق رابع كان يعمل
لنقلها الى المقنتر ، وكانت الغلبة لهذا الفريق الأخير ، والواقع أن القادر
كان له كل ما يساعده على أن تكون بلنسية له ، إذ كان يشد أزره من
الخلف جيش قشتالي بقيادة القائد الكبير « ألفار فايئز » وهو يكلف أهل
بلنسية ستمائة دينار يوميا ، وقد زعم أهلها للقادر ألا حاجة له الى هذا
الجيش طالما هم مخلصون له ، باقون على خدمته ، الا أن القادر لم يكن
من البلاهة بالدرجة التي تحمله على الوثوق بهم والركون الى أقوالهم
لعلمه بمدى مقتهم له ، وأن الأحزاب القديمة لم تزل تطمح في الوثوب
عليه ، ومن ثم استبقى القشتاليين ، كما عمد الى فرض ضريبة باهظة
اثقلت كاهل المدينة وما حولها ، وكان قصده من هذا دفع أعطيات الجند ،
كذلك استلب مبالغ ضخمة من الأشراف ، غير أن أعمال الاضطهاد المروع
لم تكن كافية في نظر « ألفار فايئز » إذ أخذ يلح على القادر بدفع رواتب
الجند المتأخرة الحاحا أفضى بملك بلنسية الى أن يجد نفسه ذات يوم
وقد أصبح على شفا الافلاس ، وحينذاك لم ير بدا من أن يعرض على
القشتاليين الإقامة في مملكته نظير اقطاعهم أراضى شاسعة ، فقبلوا عرضه
وجلبوا العبيد للفلاحة وزرع تلك المساحات الشاسعة من الأرض ، كما
آثروا الثراء الفاحش من وراء الغزوات التي دأبوا على شنّها على البلدان
المجاورة سلبا ونهبا ، كما ازداد عددهم بمن انضم اليهم من أوشاب
العرب ؛ الى جانب من انخرطت تحت لوائهم من العبيد وسفلة القوم وطريدى
العدالة ممن نبذ الكثيرون منهم الاسلام ، وكان هؤلاء هؤلاء جموعا وفيرة
العدد ، واشتهرت هذه العصابات بارتكاب الشرور لما طبعت عليه من
الفظاظة والاسراف فى قتل الرجال وهناك أعراض النساء ، وطالما باعوا

الأمير المسلم لقاء رغيف من الخبز أو كأس من الخمر أو رطل من السمك ، وكان الأمير اذا عجز عن افتدائه نفسه أو امتنع عن ذلك وثبوا عليه فقطعوا لسانه وسملوا عينيه وتركوه للكلاب تنهشه (١١) .

على أن واقع الأمر أن بلنسية كانت اذ ذاك في قبضة ألفونس لوجود الجزء الأكبر من أرضها في حوزة القشتاليين ، وكان ضم هذه المدينة الى أملاك ألفونس مرهونا بكلمة تخرج من فمه رغم أن القادر كان لا يزال يلبب بملكها .

وكان يبدو أيضا أن مدينة « سرقسطة » كانت هي الأخرى على وشك الضياع ، اذ قام الامبراطور [ألفونس] بمحاصرتها واقسم لتدين له (١٢) .

كان هناك في الطرف الآخر من اسبانيا أحد قواد الفونس واسمه « غرسية جينز » وقد أقام مع قوة من الفرسان في حصن « الليط » على مقربة من « لورقة » ، واتخذ الاغارة على مملكة « المرية » (١٣) عملا موصولا ظل يدأب عليه ، ولم يهمل شأن غرناطة فقد حدث في ربيع ١٠٨٥ م [= ٤٧٨ هـ] أن تقدم القشتاليون حتى بلغوا قرية « نبرة » التي تقع على مسيرة فرسخ شرقي غرناطة وقاتلوا مسلميها (١٤) .

كان الخطر محدقا بالمسلمين في كل مكان ، واستحكم الضيق فلم يعد أحد يجسر على المقارنة بين المسلمين والمسيحيين ، فكان خمسة من الأولين دون واحد من النصارى ، وقد حدث قبل ذلك بقليل أن خرجت نخبة منتقاة من الجند قوامها أربعمائة رجل من أهل « المرية » فلم تلبث أن ولت الأدبار أمام ثمانين من القشتاليين (١٥) ، وأصبح من الواضح أنه اذا ترك عرب اسبانيا وشأنهم لما كان أمامهم الا أن يسلكوا أحد طريقتين : أما الاستسلام للامبراطور [ألفونس السادس] أو الهجرة جميعا .

والواقع أن الكثيرين منهم مالوا للأخذ بعكرة مغادرة البلاد ، وفي ذلك يقول أحد الشعراء :

يا أهل أندلس حثوا مطيكمو فما المقام بها الا من الغلط (١٦)

ومع ذلك فقد كانت الهجرة أمرا مستصعبا على نفوسهم . شديد الايلام لها ، ولم يقدموا عليها الا في كثير من الالم والمشقة ، غير أنهم لم يكونوا قد فقدوا كل شيء اذ لا زال في استطاعتهم تلقي الامدادات من أفريقية التي أهل البعض أن يكون خلاص الأندلسيين مما هم فيه على يد أهلها ، ومن ثم اتفق الرأي على مكاتبة بدوها . ولكن ظهر من يعارض هذا

الرأى ويسفهه ، ذاهبا الى أن فطاظة هؤلاء البدو أعظم من شجاعتهم ، وخاف الأهليون أن يمضى الافريقيون - حين تطأ أقدامهم أرض الأندلس - فينهبون المسلمين ويسلبونهم ما بقى فى أيديهم بدلا من محاربتهم-
النصارى (١٧) .

لذلك فكروا فى الاستغاثة بالمرابطين وهم بربر الصحراء الذين قاموا اذ ذاك بتمثيل أول دور لهم على مسرح الدنيا ، وكانت هدايتهم الى الاسلام على يد مبشر من « سبلماسة » ، واتسمت فتوحاتهم بالسرعة الفائقة ، وامتدت امراطوريتهم - ابان العصر الذى نتكلم عنه - حتى شملت جميع الأراضى الواقعة فيما بين بلاد السنغال والجزائر .

كان الفقهاء أعظم الناس ترحيبا بفكرة استدعاء المرابطين الى الأندلس ، أما الأمراء فقد طال ترددهم تجاه هذه المسألة ، وكان فريق منهم - كالمعتمد والمتوكل - تربطه بيوسف بن تاشفين - ملك المرابطين - روابط الود ، حتى طلب منه هذان الاثنان فى مناسبات عدة أن يساعدهما فى نضالهما ضسد المسيحيين ، غير أن الأمراء على وجه العموم دون استثناء المعتمد والمتوكل كانوا لا يميلون كثيرا الى زعيم هؤلاء المحاربين الغلاط المنتعصين من أهل الصحراء ، ورأوا فى يوسف بن تاشفين منافسا خطيرا أكثر مما رأوا فيه نصيرا لهم ، على أنه لم تعد هناك أمامهم مندوحة عن طرق سبيل النجاة الذى بقى أمامهم حين أخذ الخطر يتفاقم سدة يوما بعد يوم ، ولم يغب ذلك الأمر عن بال المعتمد فقد حدث أن نبهه ابنه الرشيد الى الخطر الجسيم الذى يعرض نفسه باستدعائه أولئك المرابطين لوطء اسبانيا ، فقال له المعتمد : « والله . . . انه لأحب الى أن ألقى الله هكذا من أن ألقاه وقد حالت الأندلس دار كفر ، وانه لأولى بى أن أكون راعى الجمال من أن أكون راعى الخنازير » (١٨) .

ولما استقر رأى المعتمد على هذه الخطة أفضى بها الى جارية « المتوكل » صاحب « بطليوس » و « عبد الله » ملك غرناطة (١٩) ، وسألها أن يشاركاه فى هذا الأمر وأن يرسل قاضيهما الى أشبيلية ، فعلا ما طلبه منهما ، اذ أرسل المتوكل الى أشبيلية أبا اسحق بن مقانا « قاضى بطليوس ، وبعث عبيد الله اليها أبا جعفر القلعى « قاضى الجماعة بقرناطة ، وانضم اليهما [أبو بكر عبيد الله] بن أدهم قاضى الجماعة بقرطبة والوزير أبو بكر بن زيدون ، فأبحر هؤلاء الأربعة الى الجزيرة الخضراء ، وأدركوا يوسف بن تاشفين ودعوه باسم ملوكهم للنهوض بجيشه الى الأندلس (٢٠) ، وكان الواجب يقتضيهم ذكر الشروط التى لا ندرى شيئا ما عنها ، بل ان كل ما نعرفه هو أنه كان على يوسف أن يقسم ألا يحاول الاستيلاء على أملاك الأمراء الأندلسيين وأن يقيم على هذه اليمين (٢١) .

وبعد أن فرغ الرسل من ذلك راحوا يختارون ليوسف البقعة التي يرسو فيها ، فاقترح ابن زيدون أن تكون جبل طارق ، الا أن ابن تاشفين آثر الجزيرة الخضراء ، واقترح أن يتخلى له أصحابها عنها ، فاجابه وزير المعتمد أن اجابة هذا الطلب خارجة عن سلطته ، ومن ثم فترت همة ابن تاشفين فى معاملة السفراء واتسمت اجاباته لهم بالغموض والابهام ، فعادوا الى بلادهم وهم يجهلون الناحية التي استقر رأيه على النزول فيها ، ومع أنه لم يعدهم وعدا باتا بالحضور الا أنه لم يذكر لهم أنه معجم عنه . وترتب على هذا أن احتك الشك فى صدر الأمراء الأندلسيين ، واشتد بهم الكرب شدة دلت على مدى شكوكهم فى نواياه .

أما يوسف بن ناشفين فقد جمع فقهاء الذين جرت العادة ألا يبرم أمرا دون مشورتهم ، وسألهم أن يمحصوه النصح فيما ينبغى عليه عمله ، فأجمعوا على أن واجبه يحتم عليه - قبل كل شيء - أن ينهض لمقاتلة القساليين ، ثم يحق له بعد ذلك الاستيلاء على الجزيرة الخضراء ان كان لا يزال فى حاجة اليها ، ورفض القوم التخلي له عنها ، فلما تزود يوسف بهذه الفتوى أصدر أمره الى كثير من قواته بركوب البحر من « سبتة » فملأوا مائة سفينة وأقلعوا شطر الجزيرة الخضراء التي وجدت نفسها - على حين فجأة - محاطة بجيش كثيف يجاوز كل ما يمكن أن تسعه أرضها أو توفر له المثونة ، وأوقع فى يد حاكمها « الراضى » اذ لم يكن يدور بخلده أن يرى ما هو جار أمامه ، ولم يرفض تقديم الطعام للمرابطين ، لكنه كان فى الوقت ذاته مستعدا لدفع القوة بالقوة ان دعت الحال لاستعمال القوة . أضف الى ذلك أنه كتب الى أبيه يسأله الرأى ، وأرسل كتابه مدرجا طى ذيل حمامة يمت شطر أشبيلية ، ولم يطل انتظاره للرد فقد وافاه رد المعتمد على جناح السرعة ، ذلك انه على الرغم مما ينطوى عليه مسلك يوسف من الازعاج والاثارة الا أنه رأى استحالة التراجع ، ورأى أيضا أن الواجب يقتضيه ألا يقابل السوء بالسوء بل بالاحسان ، ومن ثم أشار على ولده باخلاء الجزيرة الخضراء والارتداد (٢٢) الى « رندة » واذا ذاك أبحرت الى الجزيرة الخضراء قوات جديدة ، ثم جاء يوسف بنفسه فى النهاية .

كان أول ما اهتم به يوسف وشغل نفسه به هو العمل على تقوية حصون المدينة وامدادها بالميرة والدخائر الحربية واقامة حامية كبيرة بها ، فلما فرغ من ذلك كله رحل الى أشبيلية على رأس معظم عسكره ، فخفف للقائه المعتمد وهو بين كيار وأعيان موظفى دولته ، فلما صار فى حضرته حاول تقبيل يده فأبى عليه يوسف ذلك وعانقه عناقا دل على الود المكين ، ولم ينس المعتمد الهدايا التي جرت العادة باهدائها فى مثل هذا الموقف ، فقدم عددا وافرا منها الى ابن تاشفين المرابط ليصل جنده ببعضها ، غير

ان الهدايا برهنت لئوسف برهانا صادقا على عظم ثراء بلاد الأندلس .
وأقام القوم على مفربة من أشبيلية حيث انضم الى المرابطين حفيدا
« باديس » وهما عبد الله أمير غرناطة وتميم صاحب « مالقة » ، وكان
الأول في ثلاثمائة فارس ، والناني في مائتين ، كما بعث المعتصم صاحب
« المرية » فريقا من الفرسان بقيادة أحد أبنائه معتذرا عن عدم القدوم
بنفسه لخوفه من مجاورة بدو « الليط » ، ثم سار الجيش بعد ذلك
بسمانية أيام في طريق « بطايوس » حيث انضم إليه المتوكل بجندته ،
ونابع الجميع الزحف الى طليطلة (٢٣) ، الا أنهم ما كادوا يشروعون في
السبر حتى صادفوا العدو .

كان ألفونس لا يزال محاصرا « سرقسطة » حين ناهى إليه الخبر
بان المرابطين قد أرسوا باسبانيا ، وقد ظن ألفونس أن ملك « سرقسطة »
يجهل خبر وصول الأفريقين ، ومن ثم بعث الى « المستعين » يخبره
باستعداده لرفع الحصار عن المدينة ان دفع إليه مبلغا كبيرا من المال ،
غير أن الأمير كان قد علم هو الآخر متله بالنبا العظيم ، فرد عليه بأنه
لن يعطيه شيئا حتى ولو كان درهما واحدا ، واذ ذاك عاد ألفونس الى
« طليطلة » بعد أن بعث الى « الفار فاينز » وقواده الآخرين ينهى اليهم
أمره بالحضور والانضمام إليه بمن معهم من العسكر .

فلما التأم شمل جيشه - وفيه كثير من الفرنسيين - أخذ في الزحف
ليقاتل في بلاد العدو ، والتقى بالمرابطين وحلفائهم عند قرية قريبة من
« بطلبوس » ، وعلى كئب من ناحية يسميها المسلمون « زلاقة » ويعرفها
النصارى باسم Sacralias

لم يكن ألفونس قد فرغ بعد من ضرب معسكره حين جاءته رسالة
من يوسف بن تاشفين يدعوها الى الاسلام أو دفع الجزية ، وينذره
بالحرب ان هو أعرض عن عرضه ، فاستشاط ألفونس غيظا واحتد حدة
عمياء من هذه الرسالة وأناط بأحد عماله العرب الرد عليها معلنا أنه
لم يكن يتوقع مثل هذه العروض الجارحة المهينة من المسلمين الذين دأبوا
على دفع الجزية له منذ عدة سنوات . أضف الى هذا أنه كان تحت يده
جيش قوى من المحاربين يستطيع معاقبه العدو وردعه .

لم يكده هذا الجواب يصل الى ديوان الرسائل الاسلامي حتى بادر
أحد الأندلسيين الى الرد عليه ، فلما وقف يوسف على الرد رأى أن الكاتب
قد أطل في الجواب ، فاكتفى هو بأن كتب على هامش كتاب الامبراطور
هذه العبارة الموجزة : « ستري، ما سبكون » ثم رده اليه (٢٤) .

وشرع يوسف بن تاشفين يعد ذلك في تحديده يوم الواقعة حسبما

كانت العادة تجرى ابان ذلك الوقت ، واتفق الرأى على أن تكون يوم الخميس الثانى والعشرين من أكتوبر ١٠٨٦ م [= ٤٧٩ هـ] وفى ذلك اليوم بعث ألفونس برسالة الى المسلمين يقول لهم فيها : « الجمعة لكم والأحد لنا ، فليكن الزحف يوم السبت » (٢٥) فلم يعارض ابن تاشفين .

لكن المعتمد رأى المكيدة فى خطة المرابطين . وأدرك أنه اذا بدأ الهجوم تلقى هو هجمة العدو الاولى لوجود جند الأندلس فى المقدمة ، بينما يكون المرابطون فى الخلف مختفين وراء الجبال ، ومن ثم احتاط للأمر حتى لا يباغت بالهجوم على غرة ، وراحت طلائعه ترصد حركات العدو ، ولم يستكن المعتمد بل ظل يعمل ويرقب ، ودأب على استطلاع الخبر من منجميه ، ولما دنت اللحظة الحاسمة الرهيبة أصبح مصير اسبانيا متوقفا على نتيجة المعركة الموشكة على الوقوع .

كان القشتاليون يتفوقون على عدوهم من الناحية العددية ، اذ ذهب المسلمون للقول بأنهم فى خمسين أو ستين ألف مقابل (٢٦) ، على حين أن خصومهم كانوا لا يجاوزون عشرين ألفا (٢٧) .

لم يكد الفجر يشرق حتى رأى المعتمد أن مخاوفه أخذت فى التحقق ، فقد أنباه عيونه أن الجيش النصرانى أخذ فى الاقتراب منه ، فتحرج موقفه واستحكم الخطر عليه مخافة أن تدور الدائرة عليه قبل أن يتمكن المرابطون من موافاته فى ساحة القتال ، فبعث الى يوسف بن تاشفين يطلب اليه أن يسرع فى القدوم عليه بجميع جنده ، والا فليرسل اليه نجدة كبيرة ، فلم يبادر يوسف الى اجابة سؤاله لأنه كان قد دبر خطته وما كان له أن ينخلى عنها ، ولم يكن يوسف يهمله كثيرا مصير الأندلسيين حتى لقد قال : « اتركوهم قليلا للفناء ، فكل من الأعداء » .

هرب الأندلسيون حين لم يجدوا فى الميدان أحدا سواهم ، ولم يبق غير الأشبيليين الذين اشتدت حماستهم حين أبصروا أميرهم وقد جرح فى وجهه ويده ، فلم يمنعه ذلك من اقامة البرهان على أنه رجل صدق فى اللقاء ، وفارس لا يشق له غبار ، فاستبسلاوا هم أيضا فى مقاومة العدو حتى جاءت لنجدتهم كتيبة من المرابطين اعتبروها ترجحا لكفتهم .

اشتد عجب الأشبيليين حينما أبصروا العدو يقاتل ثم يرتد فجأة الى الوراء ، وكان عجبهم هذا ناجما من أن النجدة التى وصلتهم لم تكن كبيرة بالدرجة التى تمكنهم من كسب الموقعة ، بيد أن حقيقة ما جرى هو أن ابن تاشفين أبصر النحام الجيش القشتالى بالأشبيليين ، قرأى أن يعتمد الى مهاجمة القشتال من الخلف ، وحمل بمعظم قواته على معسكر ألفونس ،

وجرت حينذاك مذبحه مروعة في الجند القائمين بحراسة المعسكر فأضرم يوسف النار فيه وكر على القشتاليين من الخلف وأخذ يدفع أمامه جمهوراً غفيراً من جندهم الفارين ، ووجد الفونس نفسه بين عدوين ، ولما أدرك أن الجيش الزاحف عليه من الخلف أكبر عدداً من الجيش المواجه له فقد اضطر لتوجيه قواته الرئيسية ضد يوسف ، فاشتجرت الأسنة وأقبلت الآجال تفترس الرجال ، وأصبحت الحرب سجلاً بين الفريقين ، هذا ويوسف يجري بين صفوف جنده ويصيح بهم « الشجاعة يا مسلمين الشجاعة ٠٠٠ من قتل خطب الجنة !! » .

أما الأندلسيون الذين انقلبوا على أعقابهم فقد عادوا يجمعون صفوفهم من جديد ، ونهضوا ثانية إلى ساحة المعركة لمعاونة المعتمد ، كما قام يوسف من ناحيته فكر على القشتاليين بحرسه السوداني الذي أبقاه حتى هذه اللحظة بعيداً عن الحرب ، فجاء هذا الحرس بالأعاجيب ونجح أحدهم في الاقتراب من الفونس وطعنه بخنجره في فخذه طعنة دامية .

وأرخت الظلام سدوله ولا زال الفريقان يحارب الواحد منهما الآخر قتالاً عنيفاً كتب بعده النصر للمسلمين ، وامتألت ساحة المعركة بالنصارى نأ بين قتيل وجريح ، ولأذ سواهم بالهرب ، وما كانت نجاة الفونس ذاته مع خمسمائة من رجاله إلا بعد جهد شديد ، وتم ذلك كله يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦ م [= ٤٧٩ هـ] .

ومع ذلك فإنه لم يقدر للقوم أن يجنوا من هذا النصر المؤزر ما كان مأمولاً ، ذلك أن ابن تاشفين كان قد اعتزم التوغل في البلاد لكنه رجح عن عزمه حين بلغه نبأ موت ابنه البكر الذي تركه وراءه بسببته مريضاً ، ومن ثم اكتفى بتترك فريق من الجند يبلغ ثلاثة آلاف رجل تحت امره المعتمد ، وانكفاً هو عائداً إلى أفريقية مع بقية قواته .

الفصل الثالث عشر

ابن تاشفين وأمرء الأندلس

الفونس السادس يتابع العدوان رغم هزيمته فى زلاقة • المعتمد
وابن رشيق • السيد القمبيطور • اختلاف وجهات النظر عند العامة
والمنقفيين الى ابن تاشفين • تمرد العامة على أمرائهم يخدم أهداف ابن تاشفين •
القاضي القليعى يسر لابن تاشفين سرا غزو الأندلس • وشاية المعتصم
أمير المرية بالمعتمد وشاية المعتمد بابن رشيق عند ابن تاشفين • عبد الله
أمير غرناطة يهجم بقتل القليعى فتمنعه أمه من ذلك فيفر القليعى الى غرناطة
ويكاتب ابن تاشفين ضد عبد الله • رجال عبد الله يعلنون ولاءهم لابن
تاشفين فيكاتب عبد الله الفونس للقدوم لمساعدته فيخذه الفونس •
استعجال أهل غرناطة قدوم ابن تاشفين الذى يقترب من غرناطة فيهرع
للقائه عبد الله بإيحاء من أمه • اسقاط ابن تاشفين الكثير من الضرائب
واستيلاؤه على كل ما فى القصر • تقرب المعتمد وغيره من الأمرء الى ابن
تاشفين الذى يرجع الى بلاده بعد استصدار فتوى بفسق أمرء الأندلس •

ابن تاشفين وأمرء الأندلس

ترتب على وصول (١) المرابطين الى اسبانيا أن وجد اولو الامر والنهى فى قشتالة أنفسهم مضطرين لاختلاء « بلنسية » ورفع الحصار عن « سرقسطة » ، وتمخضت هزيمة هؤلاء الأخيرين فى « زلاقة » عن حرمانهم من فريق من خيرة محاربيهم حتى ليقول المسلمون انه هلك فى هذه الواقعة منهم عشرة آلاف رجل ، ويقول آخرون بل أربعة عشر ألف محارب (٢) . أضف الى هذا أن الأمرء الأندلسيين تخلصوا من القيد المخجل الذى كان يفرض عليهم دفع الجزية السنوية للامبراطور ألفونس الذى تلاشى الخوف من هجموه على الغرب منذ أن قام الجند الذين تركهم يوسف بن تاشفين للمعتمد للدفاع عن حصون تلك النواحي ، ولا شك أن هذه نتائج طيبة يحق أن تغتبط بها نفوس أهل الأندلس ، فلا عجب ان عمت الفرحة جميع رحاب القطر ، وتردد اسم يوسف على كل الشفاة والألسن ، وراح الناس يمتدحون رحمته ويشنون على شفقتة ، ويعظمون مقدراته الحربية ، وحيوه باعتباره مخلص الأندلس ومنقذ الملة الاسلامة ، واعتبروه قائد عصره المجلى ، ولم يكف القوم - لاسيما رجال الدين عن البناء عليه فقد كان فى نظرهم أكثر من رجل عظيم ، واعتبروه مرسلا من قبل الله ، ومؤمنا يجدى النبرك به (٣) .

لكن على الرغم من الانتصارات التى أحرزها المسلمون الا أنها لم تكن بالحاسمة ، أو لا أقل من أن ذلك هو ما رآه القشتاليون فلم يداخلهم اليأس من عودة أمورهم الى مجاريها رغم ما تكبدوه من الخسائر الفادحة ، وأيقنوا تمام اليقين أنهم يجدون الخطر على أنفسهم ان هم حولوا هجماتهم عن ناحية (بطليوس) وأشبيلية ، لكنهم عرفوا الى جانب ذلك أيضا أن فى شرقى الأندلس مجالا للفوز ليس من العسير عليهم أن ينزلوا عليه فيعيثون فيه خرابا ويلحقون به كثيرا من التدمير ويكون فى قدرتهم الاستيلاء عليه ، ذلك أن ولايات الشرق الصغيرة وهى بلنسية ومرسية و « لورقة » و « المية » كانت فى الواقع أضعف ولايات شبه الجزيرة على الاطلاق ، وكان للقشتاليين فى وسطها مركز بالغ القوة يجعل الاقليم تحت رحمتهم ، ونعنى بهذا المركز حصن « الليط » الواقع بين مرسية ولورقة ، والذى لا تزال أطلاله شاخصة الى اليوم ، وهو رابض على جبل شامخ بلغت قمته عنان السماء ، ويضم حامية تقدر باثنى عشر أو ثلاثة

عشرة ألف رجل ، ناهيك بنسدة مناعنه على من يرومه ، وقد اخذ
القستاليون مركزا يغيرون منه على الأقاليم المحيطة به ، فحاصروا (٤)
المرية و « لورقة » و « مرسية » ، فكان كل شيء يشير الى أن كل شيء
سبثول الى الوقوع فى أيدي القسناليين ان لم يتدارك الله أمر هذه
النواحي .

ولقد أدرك « ابن اليسع » صاحب لورقة عجزه عن مقاومة
الناحية ، ومن ثم راح يقامر بما يملك وذلك لأن أكثر المدن تعرضا لهجمات
العدو - وهي مرسية لورقة - كانت تابعة له .

ولقد أدرك « ابن اليسع » صاحب لورقة عجزه عن مقاومة
قستاليي « الليط » ، فبادر الى الاعتراف بسيادة المعتمد عليه مؤملا أن
يصير له بذلك عونا (٥) .

أما « مرسية » فكانت لا تزال تحت حكم الشائر « ابن رشيق » الذى
كان المعتمد يتحرق للقصاص منه تحرقا حملة على أن ينهض بحملة على
الأقاليم الشرقية ، راميا من وراء ذلك الى هدفين ، أولهما أن يضع حدا
لغزوات النصارى ، وأما ثانيهما فرغبته فى أن يرد ابن رشيق الى
طاعته ، وحينذاك ضم قواته الى القوات التى استودعه اياها يوسف وسار
الى « لورقة » التى ما كاد يبلغها حتى تناهى اليه خبر وجود كتيبة بها
قوامها ثلاثمائة قستالى على مقربة منها ، ومن ثم أمر ابنه « الراضى »
الذى يؤثر الأدب على القتال أن ينهض على رأس ثلاثة آلاف فارس أشبيلي
لقتالها ، فاعتذر « الراضى » لأبيه متذعرا بمرضه ، فاشتد غضب المعتمد ،
ومن ثم عهد بالقيادة الى ولد آخر له اسمه « المعتمد » . غير أن تفوق
القستاليين على الأندلسيين ظهر مرة أخرى ، فقد لحقت الأشبيليين هزيمة
نكراء على الرغم من أن عددهم كان عشرة أمثال عدد خصمهم (٦) .

هكذا تبين للمعتمد اخفاق محاولاته التى كان ينشد من ورائها
الخضاع « مرسية » ، وكانت علة اخفاقه تتمثل فى ان « ابن رشيق » نجح
فى أن يستميل اليه جماعة المرابطين الموجودين فى الجيش الأشبيلي ، فلم
يجد المعتمد بدا حينذاك من الانصراف الى عاصمته فاشلا (٧) .

تجلى للعيان اذ ذاك أن الأندلسيين - قبل وقعة زلاقة وبعدها -
لا يستطيعون الدفاع بمفردهم عن أنفسهم ، وأن مآلهم للاستسلام ان
لم ينهض يوسف مرة أخرى لانقاذهم ، كما ازدحم بلاط ابن تاشفين
بالوفدين عليه من فقهاء وأشرف « بلنسية » ومرسية ولورقة وبازة ،
وشكى البلنسيون اليه من « وودريك القمبياطور » المعروف « بالسيد »
الذى ادعى أنه المدافع عن « القادر » بعد أن أجبره على دفع مرتب شهرى
نابت له قدره عشرة آلاف دينار ، ثم أخذ يعيث فسادا وتخريبا فى
نواحي المملكة ، زاعما أنه يستهدف ارجاع العصاة الى طاعة الملك (٨) .

ولقد أسهب سكان النواحي الأخرى من أهل مرسية ولورقة و « بازة » في ذكر المظالم التي أنزلها بهم القشتاليون من أهل الليط ، وعلى هذا انعقد الاجماع على أنه لا محيص للأندلس من الوقوع فى ايدى النصارى ان لم يهب يوسف الى نجدتها (٩) . والظاهر أنه لم يكن لتوسلات هؤلاء القوم أثر كبير فى نفس ابن تاشفين اذ وعدهم بعبور المجاز حين تسنح له الفرصة ، ولكنه لم يقم جديا بعمل الاستعدادات اللازمة لمثل هذا العبور ولعله كان ينتظر أن يفد عليه الامراء ذاتهم وان لم يقل ذلك جهرا .

حينذاك عزم المعتمد على الذهاب اليه بذاته .

ولقد أخذت شكوك المعتمد فى نوايا يوسف الخفية فى التلاشى بالتدريج ، أو على الأقل أخذت فى الضعف ، ذلك أنه اذا استثنينا احتلال ابن تاشفين للجزيرة الخضراء لم نجد أنه قام بأى عمل من الأعمال التى يمكن أن تثير سخط الامراء الأندلسيين عليه أو يؤكد مخاوفهم من ناحيته ، بل لطالما صرح قبل أن تطأ قدماه أرض الأندلس أنه كان مبالغا فى تصوره لثرائها وجمالها ، فلما جاءها وجدها - كما قال - دون ما أمل وأقل مما تخيل (١٠) . فكان هذا القول من جانبه باعنا للطمانينة فى نفس المعتمد الذى رأى الخطر المسيحى المحقق بوطنه وقد تفاقم وازداد شدة ، لذلك كان هذا الأمر حاملا له على أن يجمع العزم على أن يذهب بنفسه الى يوسف ، فمضى اليه فتلقاه السلطان أشرف لقاء وأطيبه ، وقال له : « ما السبب الذى حملك على أن تقدم الينا بنفسك ؟ وهلا كتبت بحاجتك ؟ » فقال له المعتمد : « جئتك احتسابا وجهادا وامتعاضا للدين ، وقد أجرى الله الخير على يديك ، وحظك مما جئت به الأوفر ، وقد اشتد ضرر النصارى على حصن الليط وعظم أذاه بالمسلمين لتوسطه فى بلادهم ، ولا جهاد أعظم منه أجرا ، ولا أثقل فى الميزان وزرا » . فقال يوسف : « سأتحرك وأجوز المضيق » .

ما ان رجع المعتمد عبر المجاز مع جنده وأرسى بالجزيرة الخضراء فى ربيع سنة ١٠٩٠ م حتى بادر فاتصل المعتمد واستدعى الامراء الأندلسيين للجهاد والانضمام اليه فى محاصرة « الليط » ، فاستجاب لندائه « تميم » صاحب مالقة ، وعبد الله ملك غرناطة ، والمعتمد أمير المربة ، وابن رشيق أمير مرسية ، وغير هؤلاء ممن هم دونهم أهمية ، وبدأ الحصار ، فصنع النجارون وبنائو مرسية آلات الحرب ، الا أنهم لم يتقدموا كثيرا ، وكانت عدة المدافعين عن حصن « الليط » ثلاثة عشر ألف رجل من بينهم ألف فارس ، استبسلاوا فى صد الهجمات التى شنت عليهم ، كما كان الحصن شديد المنعة ، فراحت عبثا جهود المسلمين فى الاستيلاء عليه عنوة ، ومن ثم اتفقوا على قطع القوت عنه (١١) .

لكن المحاصرين استغفوا بمصالحهم الذاتية أكثر من انصرفهم الى الحصار ذاته ، فكان معسكر المسلمين مركزا للمكائد اذ أخذ الكثيرون منهم يحركون أطماع يوسف الذي لم يكن صادقا فيما زعمه من أن الأندلس لم توافق هواه ، بل الحقيقة هي أن هذا القطر وقع موقع الرضى من نفسه فطمع في الاستيلاء عليه ، وكان مدفوعا الى ذلك بحب الفتح وبعوامل أخرى كريمة ، اذ كان قلبه عامرا بالايمان وبكل ما يعود بالنفع على الملة ، ولم يكن من العسير عليه تحقيق رغبته فى الفتح لميل الكثيرين من أهل الأندلس لاعتناق الرأى القائل باستحالة نجات الأندلس من برائن العدو المسيحي ان لم ينضم الأندلسيون الى دولة المرابطين ، وهو رأى لم تكن الطبقات العليا فى المجتمع تميل للأخذ به ، وذلك لأن أرقى القوم ثقافة كانوا يرون أن يوسف - الذى لا يتقن العربية - لا يعدو أن يكون جلفا بربريا ، والواقع أنه كثيرا ما أقام الدليل على جهله وقلة ثقافته ، فقد حدث أن سألته المعتمد عما اذا كان قد فهم الأشعار التى امتدحه بها شعراء أشبيلية فقال له : « لا أعلم ، ولكنهم يطلبون الخبز » .

ولما عاد الى افريقية جاءتة رسالة من المعتمد تضمنت بيتين من قصيدة معروفة ذاتعة لأبى الوليد بن زيدون (١٢) (تيبول الأندلس) وقد وجهها الى محبوبته ولادة ، وفيهما يقول :

بنتم وبننا ، فما ابتلت جوانحننا
شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

حالت لفقدكمو أيامنا فغدت
سودا ، وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما سمعها ابن تاشفين قال : « يطالب منا جوارى سودا وبيضا ، « فقيل له : يا مولانا ، ما أراد الا أن ليله كان يقرب أمير المسلمين نهارا ، لأن ليالى السرور بيض ، فعاد نهاره ببعده ليلا ، لأن ليالى الحزن ليالى سودا ، فقال : « والله جيد . اكتبوا له ان دموعنا تجرى عليه ، ورؤوسنا توجعنا من بعده » (١٣) .

لم يكن فى الامكان التجاوز عن مثل هذه الأمور فى قطر كالأندلس عرف أهله بالكلف بالأدب وحب الشعر ، أضف الى هذا أن رجال القلم كانوا جد راضين بمكانتهم ولا يحبون أن يستبدلوا بها أبدا غيرها . كذلك كانت قصور الأمراء الصغار ندوات ثقافية وحلقات أدبية ، ونعم الأدباء بعطف الأمراء الذين بالغوا فى حسن معاملتهم ، وانقطعت كل شكوى لدعاة الفكر الحر فاطمأنوا الى ما هم فيه ، كما استطاعوا لأول مرة - بفضل رعاية معظم الأمراء لهم - أن يجهروا قولوا وكتابة بما يجول فى

أذهانهم دون أن يخافوا الحرق أو يخسوا الرجم (١٤) ، فلا عجب ان كانوا هم أسد الناس انصرافا عن الرغبة في حكم المرابطين لهم ، ذلك الحكم الذى لابد وأن يجعل السلطة فى يد رجال الدين .

لكن اذا لم يكن قد أتى ليوسف كثير من الأنصار بين الطبقات العليا والمستنيرة فقد نوفر له العدد الجم منهم بين العامة التى كانت على وجه العموم شديدة التذمر لما هى فيه وحق لها أن تتذمر ، فقد كان لكل بلده -مهما صغرت - بلاطها الخاص بها الذى يحفظ لها حقوقها وان كلفها الكثير لدأب معظم الأمراء على الاشتطاط فى الاسراف اسرافا يقرب من الحماقة ، والذى ربما كان فى الامكان تبريره لو أنه كان مؤديا الى الطمأنينة والهدوء واستتباب الأمن ، الا أن واقع الأمور كان على غير هذه الصورة ، فقد كان الأمراء فى العادة أضعف من أن يتمكنوا من حماية رعيتهم من تعدى جيرانهم المسلمين به المسيحيين ، وافتقد الناس الطمأنينة والراحة فلم يعودوا آمنين على أنفسهم ولا على ما يملكون ، ويجب أن نعترف بأن الحالة اذ ذاك كانت شديدة الوطأة صعبة الاحتمال ، ومن الطبيعى جدا أن تتطلع الطبقات العاملة للقضاء على هذا الوضع الذى لم يعرفوا السبيل الى الافلات منه ، وأخذت صدورهم تجيش بالثورة ، فكانوا ينصتون فى سرور الى أبيات الشاعر الغرناطى « السميسر » اذ يقول :

ناد المالك وقل نهم	ماذا الذى أحدثتموا ؟
اسلمتموا الاسلام فى	أسر العدا ، وقعدتموا
وجب القيام عليكمو	اذ بالنصارى قمتموا
لا تنكروا شق العصا	فقصا النبى شققتموا

غير أنه لما كانت الثورة لا تؤدى الا الى زيادة الموقف سوءا فقد كان من الواجب التريث والاعتصام بالصبر كما يقول الشاعر ذاته فى بيتيه الباليين :

رجوناكم فما أنصفتمونا	وأملناكمـوا فخذلتمونا
سنصبر والزمان له انقلاب	وانتم بالاشارة تفهمونا (١٥)

ثم آن للامور أن تتبدل وأصبح فى القدرة القيام بالثورة على الأمراء الضعاف ، وشجع على ذلك استغلال البلاد فى الأندلس يظل حاكم عادل قوى عظيم تمكن من الظهور على المسيحيين ظهورا بينا [ذلك هو ابن تاشفين] فكان ظهوره على النصارى فوق كل ظهور ، وكان انتصاره عليهم فوق كل انتصار ، وكان العناية الالهية بعثته لرد الأندلس الى سابق مجدها ورخائها ، وأصبح الخير كل الخير يتمثل فى الخضوع لسلطانه ، وتخلص الناس فى الوقت ذاته من الضرائب الجائرة الباهظة التى كانت

تنقل كاهلهم ، فقد الغى ابن تاشفين فى بلاده كل ضريبة لم يقض بها القرآن ، واعتقد الجميع أنه لابد صانع بالآندلس مثل هذا الصنيع أيضا •
هذا هو ما فطن له الشعب وتصوره •

وكان الشعب مصيبا فى ما فطن له وتصوره من عدة وجوه • لكنه نسى أن الحكومة لا تستطيع التنازل عن الضرائب التى تقضى بها الضرورة ، وفانهم أن الآندلس - اذ تربط مصيرها ببلاد المغرب - انما تعرض نفسها الى التأثير بنتائج الثورات التى يمكن ان تشب فى تلك المملكة ، وتناسوا أن احتلال المرابطين للآندلس انما هو احتلال أجنبى ، كما أنه سيطرة شعبي على شعب آخر ، ثم ان جند يوسف ينتمون الى جنس كان الأسيبان ينظرون اليه على الدوام على أنه دونهم منزلة ويضعونه فى مرتبة دنيا ، وليس من المستبعد أن يؤدى عدم معرفتهم النظام الى ايقاع البلد فى كثير من المشكلات •

كانت ولايات الآندلس يختلف بعضها عن بعض فى الميل الى هؤلاء الأجنبي ، ذلك أن أهل غرناطة من العرب والآندلسيين كانوا يجمعون على مداومة لعن ظالمهم البربر ، كما كثر الناقمون عليهم فى بلاد المعتمد (١٦) ، أما المرية فقد خلت من الكارهين لهم ، اذ توفر لها أمير محبوب قريب كل القرب من النفوس ، هذا الى جانب تقواه وعدله ورأفته ، فكان يعامل شعبه معاملة تنطوى على الحنان الأبوى • وجماع القول انه كان المثل الكامل لكثير من الفضائل المستحبة •

ومع ذلك فقد كان ليوسف فى كل مكان أنصاره من العلماء والفقهاء والنضاة ورجال الدين وأهل الشرع الذين هم أخلص الناس له وأشدهم تأييدا لدعواه ، وأصدقهم وقفة الى جانبه ، اذ لم تكن خسارتهم تعهد اليه خسارة لو تسنى النصر للمسيحيين •

ثم انه - من ناحية أخرى - لم تكن لهم مكانة عند أولئك الأمراء الذين شغلوا أنفسهم بالدراسات البعيدة عن الدين ، والذين انغمسوا فى شهوانهم فلم يكونوا يلقون السمع الى عظات الواعظين ، بل راحوا يمدون عطفهم وييسطون حمايتهم جهرا على المشتغلين بالفلسفة • فأما يوسف فكان على التقيض من ذلك ، اذ كان مثالا للعبادة ثم انه لا يقضى أمرا من أمور الدولة دون أن يباحث فيه رجال الدين وينزل على مشورتهم ، فلا جرم ان هم عطفوا عليه غاية العطف ، وأحبوه غاية الحب ، وقد عرف هؤلاء الرجال - أو لعلهم تنبؤوا - أن ابن تاشفين راغب كل الرغبة فى خلع الأمراء الآندلسيين من أجل صالحه هو ذاته ، ومنذئذ لم يعودوا يفكرون الا فى تشجيع مطامعه والتأكيد له بمطابقتها للدين •

كان من أشد المتحمسين لهذه الفكرة قاضى الجماعة بغرناطة « أبو جعفر القلبي » العربى الأصل الذى كان شديد الكراهية للبربر المحتلين لبلده ، والواقع أنه لم ينجح فى كتم مشاعره نحوهم ، ولم يخف على باديس أن انقراض دولته سيكون على يدى هذا الرجل ، ولطالما دبر قتله « لكن حماه الله بالعلم ، وغل يد باديس عنه ، وأغمد سيفه ليقضى الله أمرا كان مفعولا » كما يقول أحد المؤرخين العرب .

لقد ساهم هذا القاضى مع الجند الذين حاصروا « الليط » ، وتعددت مقابلاته السرية مع يوسف الذى عرفه قبل هذه المرة ، اذ كان أحد السفراء الذين وكلت اليهم - منذ أربع سنوات - مهمة استنهاض همة هذا الم رابط لنجدة أهل الأندلس ، وبقي غرض هذه المقابلات سرا اذ كان ضمير يوسف يأبى عليه أن يحنث فى يمين قطعها على نفسه ، ولكن القاضى كان يبذل جهده للتغلب على تلك الوسواس (١٧) ، فذكر له ان الفقهاء الأندلسيين قادرون على ان يحلوه من يمينه ، وأنه من اليسير عليه أن يستصدر منهم فتوى يعددون فيها الخطايا والكبائر التى ارتكبتها الأمراء ، ثم يخلصون من ذلك كله الى أن هؤلاء الملوك قد فقدوا كل حق لهم فى العروش التى يجلسون عليها .

كان الناس يعرفون فى هذا القاضى عالما تقيا ، كما تركت حججه أثرا بارزا فى نفس يوسف بن تاشفين . أضف الى ذلك أن دسائس « المعتصم » ملك المرية عنده ضد « المعتمد » - الذى هو أقوى أمراء الأندلس - أدت الى سدة كراهيته لابن عباد .

أشرنا آنفا الى أن « المعتصم » [محمد بن محمد بن محمد بن صمادح] كان أميرا عظيما ، لكن على الرغم من فطنته وما أثر عنه من طيب المنظر الا أنه كان شديد الموجدة على « المعتمد » ولعل غيرته الدنيئة وحدها هى التى كانت تحمله على كراهيته اياه كراهية هيمنت على نفسه . وعلى الرغم مما تدل عليه الظواهر من الوفاق بين « المعتصم » وبين ملك أشبيلية الا أن « ابن صمادح » عكف على افساد ما بين المعتمد وابن تاشفين الذى قربته اليه وسائله الدنيئة فى اغتياب غيره ، رغم ان المعتمد لم يساوره السك فيه أبدا . وحدث فى ذات يوم أن أظهر له ملك « المرية » خوفه من طول اقامة يوسف فى الأندلس فأجابه المعتمد فى لهجة تنطوى على الزرابة بأهل الجنوب وقال : « لو عوجت له باصبعى ما أقام بها ليلة واحدة هو ولا أصحابه ، وكأنك تخاف غائلته ؟ ، وأى شئ هذا المسكين وأصحابه ؟ انما هم قوم كانوا فى بلادهم فى جهد من العيش ، وغلاء من السعر ، جئنا بهم الى هذه البلاد نطعمهم حسبة وائتجارا ، فاذا سبغوا أخرجناهم الى بلادهم » .

كانت هذه الأقوال وأمتالها سلاحا بتارا في يد « المنعصم » الذى أنيهاها الى يوسف بن تاشفين فاستبد به الغضب ، ومن ثم أصبح المشروع الغامض تصميميا لا رجعة فيه ، وهكذا نجح المنعصم فيما حاوله ، ولكنه لم يقدر ما قد يترنّب على هذا النجاح من العواقب الوخيمة ، ولم « يدر أنه ساقط فى البئر التى حفر ، وقتل بالسلاح الذى شهر » (١٨) .

كان عدم التبصر أمرا شائعا بين جميع الأمراء الأندلسيين ، فقد جرحوا أنفسهم كلهم عند يوسف الذى جعلوا منه فيصلا يقضى بما يراه فى المنازعات التساجرة فيما بينهم ، وبينما كان ملك «المريّة» يسعى فى تغيير قلب ابن تاشفين على ملك أسبيلية كان المعتمد نفسه يعمل على اسقاط « ابن رشيق » أمير مرسية ، ولكنى يدرك مآربه فانه لم يكن يكف عن الايعاز الى يوسف بأن ابن رشيق حليف ألفونس وأنه أدى خدمات جليلة لنصارى « الليط » ، وأراد المعتمد أن يبين له حقه فى امتلاك مرسية فأوضح له وجوب تسليمه الخائن الذى سلب منه هذه المدينة ، فعهد يوسف الى الفقهاء فى التثبت من هذا الأمر وبيان الحقيقة ، فذهبوا الى تأييد المعتمد فما قال عن ابن رشيق ، واذ ذاك ألقى يوسف القبض عليه وأسلمه الى ماك أسبيلية على ألا يقتله ، وقد أدى هذا القبض الى عواقب وخيمة فقد غضب أهل « مرسية » وغادروا المعسكر ورفضوا منذ ذلك الحين أن يمدوا الجيش بما يحتاجه من العمال والمثونة . مما أدى الى وقوع المحاصرين فى أشد الضيق اذ لم يعودوا يجدون ما يطلبونه ، وبينما هم فى انتظار الشتاء اذا بهم يسمعون بوصول « ألفونس » على رأس جيش مؤلف من ثمانية عشر ألف مقاتل لنجدة المكان ، فرأى يوسف فى بادئ الأمر أن يترصده فى جبال « تيريزا » غربى « توناتو » ثم يلتحم به فى القتال ، الا أنه سرعان ما رجع عن هذه الخطة وارتد الى « لورقة » مخافة أن يركن الأندلسيون الى الفرار مثلما فعلوا من قبل فى وقعة « زلاقة » . ثم انه كان يعتقد أن « الليط » لم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها مما لا بد وأن يحمل القشتاليين على الجلاء عنها وإخلائها ، وقد برهنت الأحداث على صدق هذا الرأى ، اذ لم يكد « ألفونس » يرى أن تحصينات الحصن تكاد تكون مهدمة وأن الدفاع عنه موكول الى حامية قوامها مائة رجل حتى أضرم النار فيه وحمل المحصورين بها الى قشتالة (١٩) .

وحققت الحملة هدف القوم وان كان تحقيقا منقوصا غير كامل تعوزه الروعة ، فقد أقام يوسف على حصار « الليط » أربعة أشهر دون أن يتمكن من الاستيلاء عليه ، كما أن ارتداده عنه - حين سماعه باقتراب ألفونس - كان أسبه ما يكون بالفرار ، ومع ذلك فلم ير الفقهاء فى ما حدث ما يقلل من العطف عليه والتعلق به ، وقالوا ان عدم توفيق الأمير المرابط فى الحصول هذه المرة على نتائج طيبة مثل التى حصل عليها منذ أربع سنوات

انما يرجع الى موقف الأمراء الأندلسيين الذين كانت مكائدهم وغيرتهم من بعضهم وشقاقهم الدائم فيما بينهم حجر عثرة في سبيل الحاكم العظيم ومنعه من كل ما قد يستطيع عمله لتحقيق مهمته على الوجه الاكمل لو أنه انفرد وحده بالأمر من دونهم ، ومجمل القول ان الفقهاء كانوا أشد حماسة من كل وقت سبق ، وكان لابد لهم أن يكونوا كذلك لأن الأمراء أخذوا في مضايقتهم منذ أن وقفوا على خبير مكائدهم ، وقد دلهم على ذلك أبو جعفر القليعي « قاضى الجماعة بغرناطة » .

كثر اتصال القاضى أبو جعفر بابن تاشفين حين كان فى معسكر مولاه المنسوب على كتب من فسطاط يوسف ، وكاشفه « القليعي » بمغبة الأمور ، غير أن خوف عبد الله [بن باديس] من مجيء يوسف أقعده عن اتخاذ التدابير الحازمة ضد المتآمر ، لكنه ما كاد ينكفيء الى غرناطة حتى استقدم اليه أبا جعفر وأنبه على خيائنه ، وعيره بتآمره عليه ، واشتد غضبه حتى انه أمر حرسه بقتله ، الا أن حسن طالع أبى جعفر القليعي دفع أم عبد الله [بن باديس] للانكباب على قدمي ولدها واستحلافه للبقاء على حياة هذا الرجل التقى ، وكان عبد الله شديد الطاعة لأمه فرجع عما قضاه ، واكتفى بسجن القاضى فى احدى غرف القصر .

وقد أدرك القاضى أنه فى هذه الحجرة محاط بأشخاص شديدي الايمان بالخرافات ، ومن ثم دأب على الصلاة وتلاوة القرآن حتى رددت أرجاء القصر كلها رجع صدى صوته الجهورى ، وأصغى الجهميع الى ابتهالانه الدينية فالتزموا الصمت حتى لا يصدر منهم ما يزعجه ، كما أنهم فى الوقت ذاته لم يكفوا عن اخبار الأمير أن نقمة الله سوف تحل به سريعا ان لم يعجل باطلاق سراح هذا الرجل الذى يعد متلا جبا للتقوى والعبادة ، وكانت أم عبد الله أكثر من غيرها حماسة له واستطاعت بتوسلاتها لابنها وتخويها اياه أن تنجح فى حمله على اطلاق سراح أسيره .

لزم القاضى الهدوء فى غرناطة بعد أن تلقى هذا الدرس القاسى ، ولكنه اغتنم فرصة الظلام فى احدى الليالى وخرج تحت جنح الظلام قاصدا « القلعة » Alcala ثم سار منها الى قرطبة حيث لا يخفى أحدا ما بها ، ولكنه كان يتحرق للثأر ، لذلك كتب الى يوسف ابن تاشفين كتابا يصور له فيه ما لقيه على يد عبد الله [بن باديس] من المعاملة السيئة ، وألح عليه ألا يتهاون أكثر من ذلك فى تنفيذ المشروع الذى طالما تباحثا فيه معا (٢٠) ، كما بعث الى غيره من القضاة والفقهاء الأندلسيين يسألهم اصدار فتوى ضد الأمراء عامة وضد حفيدي باديس خاصة .

لم يتوان القضاة والفقهاء عن الفتوى بأن أميرى غرناطة ومالقة قد فقدوا كل ما قد يكون لهما من الحقوق بما ارتكباها من الكبائر ، لا سيما

للأسلوب الخشن الذى عمد اليه أكبرهما فى معاملته القاسية ، ولكنهم لم يجرؤوا على الافتاء بأن بقية الأمراء قد فقدوا حقوقهم هم أيضا ، ومن ثم اكتفوا بأن رفعوا ملتصقا الى يوسف تاشفين أقهموه فيه أن واجبه يقتضيه دعوة جميع أمراء الأندلس للرجوع الى الشرع ، وألا يجمعوا من الضرائب الا ما يقضى به القرآن (٢١) .

قام ابن تاشفين - بناء على هاتين الفتوتين - فأوصى الأمراء بوضع الضرائب ومنع السخرة ورفع جميع ما فرضوه على رعاياهم (٢٢) ، ثم زحف على غرناطة على رأس فريق من جيشه بعد أن أمر ثلاث كتائب أخرى باللحاق به هناك ، ومع ذلك فانه لم يعلن الحرب على عبد الله الذى لم يعرف مقاصد يوسف يقينا بل رجما وطمنا ، ولكن استبد به الخوف اذ لم يكن على شاكلة جده باديس الذى كان نشيطا رغم جهله .

وكان عبد الله على جانب من الامام بالآداب ، قادرا على أن يترجم بالعربية عما يريد ، حتى انه كان يقرض الشعر .

وكان الى جانب ذلك حسن الخط ، وقد بقيت نسخة من خط يده محفوظة بغرناطة زمنا طويلا ، لكنه كان فى الوقت ذاته رعيديا مترفا متهاونا عاجزا عن تصريف أموره ، وكان من أولئك الرجال الذين لا تحبهم النساء أبدا ، اذ يضطرب لمراى السيف ، ولا يعرف العزم ولا الحزم ، بل يهرع الى استشارة كل من حوله كلما حزبه أمر من الأمور .

لذلك جمع عبد الله [بن باديس] مجلس مشورته وبدأ فطلب الوقوف على رأى « المؤمل » العجوز الذى أدى كثيرا من الخدمات الجليلة لجده ، وحاول المؤمل « من جهته أن يشبته ويدخل الطمأنينة الى نفسه ، فنفى ما يقال عن مرامى يوسف العدوانية ، وأشار عليه أن يبرهن هو من جانبه لابن تاشفين على ثقته به واطمئنانه اليه وذلك بالنهوض الى لقائه ، لكن « المؤمل » رأى عزوف عبد الله عن الأخذ بهذا الرأى ، ومن ثم اضطر لأن يبرهن له على أنه من المستحيل عليه مقاومة المرابطين .

والحق أنه لم يعد جادة الصواب فيما قال نظرا لقلّة عدد جند عبد الله ، الى جانب ارتيابه فى أحسن قواده - وهو « مقاتل البربرى الأحمر » المعروف بالـ El-Royo - حتى أدى به الى اقصائه عما بيده (٢٣) .

وقد أيد جميع شيوخ المجلس رأى « المؤمل » غير أن عبد الله كان يشك فى ولاءه له ، ويرى أنه ليس دون أبى جعفر القاضى خيانة له ، وأخذ يلومه على أنه تركه وفر هو بنفسه لينجو ، والواقع أن مخاوفه كانت تقوم على أساس من الصحة . ونحن وان كنا لا ندرك شيئا عما اذا كان اهتمامه بمصالح يوسف صادرا عن صدق أم كان رياء الا ان الثابت المؤكد

هو أن هذا الحاكم الذى اكتسب عطف الأمة واستمالها اليه بفضل مواهبه
انما كان يعتمد على مساعدته له .

لم ير عبد الله فيما أشار به عليه « المؤمل » الا شركا ينصب
لاصطياده ، ولما كان واثقا من سوء القصد وراء مشاريع ابن تاشفين
وتأكد عنده ما فى صدره من النوايا الضارة به فقد جاهر بعزمه على مقابلة
القوة بالقوة ، ثم انفجر فى « المؤمل » ورفاقه سباً وتهديدا ، فدل بعمله
هذا على قلة تبصره اذ لا بد أن تؤدى هذه الحركة من جانبه الى نفور القوم
منه وانصرافهم عن تأييده والتعصب ليوسف . وهذا هو الذى وقع فعلا ،
فقد غادروا غرناطة ليلا ويمموا شطر مدينة « اللج » التى ما كادوا
يبلغونها حتى أعلنوا ولاءهم للملك المرابطين .

غير أن القوات التى بعثها عبد الله ضدهم أرغمتهم على الرجوع الى
غرناطة فطيف بهم فى شوارعها كما يطاف بالمجرمين الأوغاد ، الا أنهم
استردوا حريتهم بفضل تدخل يوسف ، فقد أرغم هذا الحاكم الافريقى
أمير غرناطة على اطلاق سراحهم ، ولم يجرؤ عبد الله على عصيانه ، لأنه
كان لا يزال ينوجس خيفة من مقاصد يوسف نحوه ، وبينما كان يحاول
تجنب العداء للسافر معه الا أنه كان مثابرا على الاستعداد للحرب ، فأخذ
ينفذ الرسل واحدا تلو الآخر الى ألفونس يلتبس منه المجرى المعاونته ،
وراح يصدق الأموال على الجميع ، واستطاع أن يجند جمعا كبيرا من التجار
والحاكة والعمال وشتى صنوف الناس ، لكن ذلك كله لم ينفعه قيد
أنملة ، ولم يستجب ألفونس لدعوته ، وكره الغرناطيون ولايته ، وأخذوا
يترقبون وصول المرابطين بفارغ الصبر ، كما كان يخرج فريق منهم كل
يوم قاصدين الانضمام الى جند يوسف .

شعر عبد الله باستحالة المقاومة فى مثل هذه الظروف ، فلما كان
يوم الأحد العاشر من نوفمبر سنة ١٠٩٠ م [= ٤٨٣ هـ] جاء يوسف
حتى صار على مسيرة مرحلتين من غرناطة فجمع عبد الله من جديد مجلس
مشورته يسألهم أن يرشدوه الى ما يفعل، فصارحوه بوجود التخلي عن فكرة
المقاومة ، كما أن أم عبد الله ذاتها - وكانت تشير عليه كثيرا ويؤكدون
أنها كانت تبني آمالا ولكنها واهية على أن يتزوجها يوسف - قالت لولدها:
« امض فسلم على ابن عمك وترضه » (٢٤) ، فاستصحبها معه وخرجا فى
موكب فخم ، وسار الصقالبة أمامه يفسحون له الطريق « وولدان الروم
حول ركابه ، وهؤلاء الجند جميعا بعمائم الشرب ويركبون أحسن الخيل
الفارهة المزينة بالحلى » .

حين وصل عبد الله الى حضرة يوسف ترجل ملتسما منه أن يتناسى
ما قد يكون فى نفسه من الغضب عليه ، فهش له يوسف وبش ، وأكد

له أنه نسي ما قد يكون في صدره من النعمة عليه ، وسأله أن يذهب الى فسطاط دله عليه حيث يلقي كل ما يليق به من الاجلال ، فنزل عبد الله على أمره ، لكنه ما كاد يطأ الأرض حتى كبلوه بالسلاسل .

لم يلبث زعماء غرناطة أن وفدوا على معسكر ابن تاشفين الذي تلقاهم أجمل لقاء ، وأكد لهم ألا يخافوا شيئا قط من جهته ، وأنه ليس عليهم الا قبول الأسيرة التي سوف تحل محل أسيرة عبد الله ولم يكذب يأخذ عليهم الايمان بالطاعة له حتى أذاع مرسوما أسقط به جميع الضرائب التي لم ينص عليها القرآن ، ثم دخل المدينة وسط هتافات الناس ، ونزل القصر ليأخذ ما به من الأموال التي جمعها « باديس » أكديسا ، فكانت مبالغ ضخمة يحار الطرف فيها ولا يحصيها العد ، كما ازدانت الحجرات بالحصر والطنافس والستائر النفيسة الغالية ، وأينما قلب المرء ناظريه بهره مرآى الزمرد والياقوت والماس واللؤلؤ والأواني الخزفية والفضية والذهبية ، وأخص ما عثروا عليه مسبحة من أربعائة لؤلؤة ، زنة كل واحدة منها مائة مثقال ، فذهل المرابط من كل هذه الكنوز الضخمة ، وكان قبل دخوله غرناطة أعلن أن كل ما بها ملك له ، غير أن ما طبعت عليه نفسه من الترفع غطى على طمعه ، فأظهر غاية الود ومنتهى الكرم فقسم كل ما وقع في يده بين جنده ، غير مستبق من كل ذلك شيئا لنفسه . ومع ذلك فقد كان القوم يعرفون أن ما عرض على الأنظار لم يكن كل شيء ، وعرفوا أن أم عبد الله تخفى أشياء نفيسة ، فعمدوا الى الشدة في حملها كي تدلهم على النواحي التي خبأتها فيها ، فدلتهم الا أنهم كانوا لا يزالون يشكون في صدق اعترافاتها ومن ثم أصدر يوسف أمره الى « المؤمل » الذي عينه حارسا على القصر وعلى أموال عبد الله أن يحفر الأساس ومجاري البناء (٢٥) .

ربما كان للأمراء الأندلسيين عذرهم اذا ما تقطعت أسباب الصلة بينهم وبين يوسف بعد أن رأوا ما أنزله بعبد الله ، الا أنهم لم يفعلوا شيئا ، بل لقد خف المعتمد والمتوكل الى غرناطة لتهنئة ابن تاشفين ، كما بعث اليه المعتصم ولده عبيد الله بدلا منه .

فواعجبا . . . !!

أبلغت الغفلة بالمعتمد حدا طمع معه أن يتنازل يوسف عن غرناطة لولده « الراضى » عوضا عن الجزيرة الخضراء التي سلبها منه ؟

ان كان الأمر على هذا النسق فما أضعف معرفته بالأمير الأفريقي وتنبهيه لمعاريض كلامه ! فقد حسبته قادرا على التنازل عن مملكة غرناطة ، لكن سرعان ما أيقظ ابن تاشفين الأمراء من غفلتهم وأوضح لهم ما صعب

عليهم فهمه فقاتهم ادراكه اذ تلقاهم بفتور ، ولم يجب بشيء ما عن تلميح المعتمد الى غرناطة ، كما أنه عمد الى « عبيد الله بن المعتصم » فزج به في السجن ، وكان لابد للمنزل هذا المسلك من ازالة الغشاوة عن عيون الأمراء ، وأحس المعتمد بالخطر الشديد فقال للمتوكل : « والله لابد له أن يسقينا من الكأس التي سقى بها عبد الله بن بلقين » . ولم يلبث الأميران أن استأذناه في الرحيل ، متذرعين بأنه قد تناهى اليهما أن القشتاليين عاودوا الكرة من جديد على بلادهما ، فلما أذن لهما بالرحيل انكفأ على عجل الى مملكتيهما حيث أشارا على غيرهما من الأمراء من حكام أسبانيا بالنهوض جميعا واتخاذ ما يتحتم عليهم اتخاذه لمقاومة الأمير المرابطي الذي لم تعد نواياه بخافية على أحد ما ، أو سرا مكتوما ، وقد نجحت هذه الخطة اذ اتفق الأمراء فيما بينهم على ألا يمدوا المرابطين بالجند ولا المؤونة ، وتعاهدوا فيما بينهم على التحالف مع ألفونس (٢٦) .

وعاد يوسف الى الجزيرة الخضراء بقصد الابحار ، وترك لقواده مهمة شاقة غير هينة ، تلك هي اسقاط الأمراء الأندلسيين عن عروشهم ، واستولى أثناء زحفه على كورة مالقة الصغيرة التي انتزعها من يد تميم أخى عبد الله ، وكان تميم أميراً ضعيفاً لا يخشى شراً ، ثم نبه يوسف على الفقهاء - وقد دنت الساعة الفاصلة - أنه ينتظر منهم فتوى صريحة ، فبادروا الى اجابته الى ما رغب ، ومن ثم أعلنوا أن الأمراء الأندلسيين « فسقة ، ودعار كفرة » ، وانهم بهذا النهج قد أفسدوا الأمة « وجعلوها لا تعبا بكل ما هو مقدس » ، يشهد على صحة ذلك قلة المترددين على المساجد للصلاة ، أضف الى هذا أن الأمراء فرضوا ضرائب غير مشروعة ولا زالوا متمسكين بجبايتها رغم أن ابن تاشفين أمر برفعها وازالتها ، وأنهم قد ارتكبوا الكبيرة التي ليس بعدها كبيرة حين حالقوا ملك قشتالة : الذى هو ألد أعداء المسلمين ، مما ترتب على ذلك كله سقوط شرعية استمرارهم فى حكم المسلمين ، وأعلن الفقهاء أيضاً أن يوسف بن تاشفين أصبح فى حل من جميع أيمانه وعهوده والتزاماته نحو هؤلاء الحكام ، ولم يعد خلعهم عن عروشهم من حقه فحسب بل صار واجبا عليه ، وختموا فتواهم بما يلى :

« ان هم الا قوم لا تحل طاعتهم ، ولا تجوز امامتهم ، لأنهم فساق فجرة ، فاخلعهم عنا ، فان كانوا عاهدوك فهاهم قد ناهضوك ، وأرسلوا الى اذ فونش أن يكونوا معه عليك حتى يوقموك بين يديه ، ويعود أمرهم اليه ، فبادر بخلعهم ، ونحن بين يدي الله المحاسبون ، فان أذنبنا فنحن لا أنت المعاقبون ، فانك ان تركتهم - وأنت قادر عليهم - أعادوا بلاد الاسلام الى الروم ، وكنت - انت المحاسب بين يدي الله تعالى » .

هذه هي روح تلك الفتوى الخالدة التي تضمنت - الى جانب هذا - عددا كبيرا من الاتهامات ضد جماعة معينة من الأمراء ، ولم يستثنوا من ذلك الرميكية فاتهموها بأنها أغرقت زوجها في بحار من اللذة لا انتهاء لها ، وأنها هي السبب الرئيسي في انصراف الناس عن التعبد ونهج الطريق القويم .

واهتم يوسف غاية الاهتمام بهذه الفتوى ، وأراد توكيد أهميتها فعمد الى التصديق عليها من فقهاء الأندلسيين ، كما بعث بها الى أشهر علماء مصر وآسيا ليؤكدوا رأى علماء المغرب .

الفصل الرابع عشر

اليهود والنصارى زمن المرابطين

صعوبة موقف المعتمد بعد مقتل ولده الفتح واستيلاء ابن تاشفين على قرطبة وتهديده لأشبيلية • قوات الفونس السادس التي أرسلها نجدة للمعتمد • دخول المرابطين لأشبيلية باتفاق مع الكارهين للمعتمد • تصدى المعتمد لوحشية الغزاة ومصرع ولده مالك أمام عينيه • الفاتح يابى يابى الا أن يستسلم المعتمد من غير قيد ولا شرط ، ويطلبه أن يسلمه ولديه الراضى والمعتد ثم قتله الراضى • استسلام المرية وبقيّة مدن الأندلس باستثناء سرقسطة • والسهلة • صرف النصارى من جيش سرقسطة ودخول المرابطين • على بن يوسف يخلف أباه يوسف ابن تاشفين • الفقهاء فى عهده • الغزالي • دوافع المطالبة باسلام اليهود • تأقلم المرابطين للحياة الأندلسية • ظهور الموحدين • زحف الفونس ملك أراجون على الأندلس • استيلاء الفونس السابع على بعض الأماكن الإسلامية • فساد أمور الأندلس وكراهية الناس لحكم المرابطين • تكاتف الأهالى مع الفونس السابع •

اليهود والنصارى زمن المرابطين

من اليسير على المرء أن يرجم بطبيعة الحرب التي كانت على وشك الشبوب ، فهي حرب ترمى الى المحاصرة ولا تعتمد الى الاشتباك في المعارك ، وقد استعد لها الفريقان فأخذ أحدهما في الهجوم على الأماكن الحصينة وقام الآخر بصدده عنها ، أما جيش المرابطين الذي كان بقيادة « سيرين ابن أبي بكر » - أحد أقارب يوسف فقد انقسم الى عدة أقسام مضى أحدها لمحاصرة « المرية » ، بينما حملت بقية الأقسام على حصون « المعتمد » التي استسلم منها في شهر ديسمبر سنة ١٠٩٠ م [= ٤٨٣ هـ] حصن طريف (١) ، ثم شرع بعد فترة وجيزة عسكر يوسف - الذين واتاهم النصر سريعا - في محاصرة قرطبة وكان يحكمها « الفتح بن المعتمد » الملقب بالمامون ، ولم تقو عاصمة الخلافة القديمة على الاستمرار طويلا في المقاومة ، إذ سرعان ما أسلمها سكانها الى المرابطين ، وحاول الفتح ذا ذلك أن يشق له طريقا بحد السيف بين جموع العدو والخونة ، لكنه غلب على أمره لكثرة هؤلاء فتكالبوا عليه وحزوا رأسه ووضعوها على سنان حربية وساروا بها يوم (٢) [السادس والعشرين من مارس ١٠٩٠ م] [= ٤٨٣ هـ] وقد ازدهاهم النصر ، ثم سقطت (٣) « قرمونة » يوم العاشر من مايو سنة ١٠٩١ م [= ٤٨٤ هـ] وحينئذ أصبح في الاستطاعة الشروع في محاصرة مدينة أشبيلية التي وجدت نفسها وقد زحف عايقها جيشان في آن واحد أحدهما من الشرق والآخر من الغرب ، وكان نهر الوادي الكبير يفصل الجيش الثاني عن المدينة التي كانت منيعة من هذا الجانب على من يرومها بفضل وجود الأسطول .

أصبح موقف المعتمد إذ ذلك شديد الخطورة لكن بقي له أمل واحد ذلك هو اعتماده على مساعدة الفونس السادس له ، فقد قطع المعتمد له على نفسه أنسهى الوعود ان هو خف لنبجته ، واستعد الفونس لمعاونته وبر بكلمته له ، فأرسل « ألفار فاينز » الى الأندلس على رأس جيش كبير ، غير أن سوء طالع المعتمد شاء أن يلقى « الفارو » الهزيمة على كذب من « المدور » على يد القوات التي أرسلها « سير » لصدده ، فوقع هذا النبا على ملك أشبيلية وقوع الصاعقة ، الا أن اليأس لم يداخله أيضا هذه المرة ، فقد أعانته نبوءات عرافيه وتكهنتهم وأمدته بالقوة ، وكانوا اذا بشروه استبشر وطن أنه ناج ، ولست أدري بأى معجزة تكون نجاته .

ولما أشاروا الى الحاتمة وقالوا ان هناك أسدا يقبض على فريسته قد انحل
بأسد فعهد بالدفاع الى ولده الرشيد (٤) .

الا ان الكارهين له الناقمين عليه الراغبين فى تسليم المدينة للعدو
تباحثوا فى هذه المسألة وتآمروا عليه فيما بينهم ، وأظهروا التمرد
والعصيان ، فعرفهم المعتمد وكان فى استطاعته الفتك بهم كما أشار عليه
بذلك الكثيرون ، الا أنه كره أن يختم عهده بعمل ينطوى على الفظاظة
واكتفى بمراقبتهم ، لكن تبين له أن مراقبته اياهم لم تؤد الى الحد من
نشاطهم ، اذا لم يعدموا الوسيلة التى مكنتهم من الاتصال بالقائمين
بالحصار فساعدهم فى نقب السور ، واستطاعت جماعة من المرابطين
دخول المدينة من هذه النغرة يوم الثلاثاء الثانى من ديسمبر [١٠٩١ م
فلم يكده هذا الخبر يتناهى الى سماع « المعتمد » حتى
استل سيفه وبادر الى امتطاء جواده دون أن يلبس درعه أو يحمل مجنه ،
وكر على البادئين بالبغى وهو فى نفر من المخلصين له ، فرماه فارس
مرابطى بسهم مرق من تحت ابطه ومس قميصه ، واذ ذاك أخذ سيفه
بكلما يديه وضرب الفارس ضربة قطته نصفين ، ودفع بقية الأعداء الذين
اضطروا الى التماس النجاة فى التهجيل بالهرب ، وسرعان ما سدت الثغرة
فى الحال ، لكن اذا كان الخطر قد بعد مؤقتا فانه لم يلبث أن عاد من
جديد حين نجح المرابطون - بعد الظهر - فى حرق الأسطول مما أوقع
الذعر فى قلوب المحصورين ، وكان ذعرهم بليغا اذ أدركوا استحالة
الاستقرار فى المدينة بعد تدمير السفن ، ولم يعودوا يجهلون أنه لم يمنع
عدوهم من الهجوم عليهم الا انتظاره لمقدم « سير » على رأس امداداته ،
كذلك دب الجزع بين السكان الذين لم يعد لهم شاغل سوى العمل على
ما فيه انقاذ حياتهم ، فوثب البعض منهم فى النهر محاولين عبوره سباحة ،
وقذف غيرهم بأنفسهم من فوق الأسوار حتى لقد دخل بعضهم الميازيب .

وجاء « سير » فى هذه الأثناء وشرع فى الهجوم يوم الأحد ٧ سبتمبر
[١٠٩١ م] وقد استبسل الجند القائمون بحراسة المتاريس أعظم
استبسال ، غير أن العدو تكاثر عليهم ، وتمكن المرابطون من دخول
المدينة وأخذوا فى نهبها واقتراف شتى ضروب الجور والموبقات بها ،
وبلغت شراھتهم حدا عظيما حتى لقد جردوا الأشبيليين من آخر ما عليهم
من الثياب ، ولم يتركوا لهم سبدا ولا لبدا .

كان المعتمد لا يزال فى القصر وقد أخذت نسوته فى العويل
والصياح ، وتوسل اليه أصحابه أن يستسلم لكنه لم يكن يميل أبدا
الى الاستسلام ، لأن بدنه كان يقشعر كلما فكر فيما يلقاه من التجريس
والتشهير ان هو استسلم ، فهو لا يرهب الموت الذى طالما تحناه .

واستولت عليه هذه الفكرة فى هذه اللحظة فترجم عنها فى شعر له
يقول فيه :

وما تماسكت الدموع	وتنهه القلب الصلوع
قالوا : الخضوع سياسة	فليبد منك لهم خضوع
والذ من طعم الخضوع	على فى السم النقيع
ان تستلب عنى الدنيا	ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه	لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم	الا تحصننى السدوع
وبرزت ليس سوى القميص	عن الحشا ، شىء دفوع
وبذلت نفسى كى تسيل	اذا يسيل بهسا النجيس
أجلى تأخر ، لم يكن	بهوى ذلى والخشوع

عاد المعتمد مرة أخرى يتحدى الموت الذى ظهر كالما كان يتجنبه ،
فجمع عسكره ثم كر كرة اليانس المستमित على احدى كتائب المرابطين
التي اقتحمت القصر ، وأخذ فى مطاردتها حتى كبها فى النهر ، ولقى
فى هذه الواقعة ابنه « مالك » مصرعه ، أما هو فلم يصبه شىء بل انه
لم يجرح ، ولما عاد الى قصره مر بخاطره أن يقتل نفسه ، لكنه كره أن
يغضب الله بهذا الاثم المنكر فرجع عما بدى له ، ثم جمع عزمه فى النهاية
على الاستسلام .

حين لف الظلام الكون بسرياله بعث المعتمد بابنه الرشيد الى
« سير » ليتفقا على الشروط فراح أمه هباء منثورا ، اذ لم يفلح الرشيد
فى ما ارتجاه من التحدث اليه ، بل أنبأه القوم أن الواجب يقضى أباه
التسليم بلا قيد أو شرط .

لم يعد أمام المعتمد من سبيل غير ما فرض عليه ، ومن ثم عزم على
نهج ما لا بد له من نهجه ، فودع عائلته ورفاقه فى السلاح الذين اشتد
عويلهم عليهم وبكاؤهم من أجله ، وأسلم هو وولده الرشيد نفسيهما
للمرابطين الذين أخذوا فى نهب القصر كما نهبوا المدينة من قبل ، وأفضوا
الى « المعتمد » أن دمه ودماء أسرته مرهونة بأن يبعث الى ولديه « الراضى
بالله » القائم بحراسة حصن « رندة » والمعتمد بالله « القائم بحراسة
حصن « مرتلة » يأمرهما بالمبادرة الى الاستسلام لقوات المرابطين التى
تحاصرهما ، فأذعن المعتمد لما أملى عليه ، ولما كان يعرف أن ولديه على
غراه : أنفة وحمية ، فقد أقسم عليهما بوجود النزول على مشيئته ،
وأفهمهما أنهما بذلك يشتريان حياة أمهما وإخوتهما وأخواتهما . وضمت
الرميكية توسلاتها اليه وخضعت أن يرفض ولداها الاستسلام وكانت
محقة فى ذلك لأن الراضى - على الخصوص - كان كارها أشد الكره

للتسليم رغم معرفته بمصير عائلته المحتوم من جراء اصراره على المقاومة التي أراد الاستمسك بها لأنه كان لا يزال قادرا على الامتناع « برنودة » التي عهد الى القائد « جرور » بمحاصرتها فظل على بعد منها دون أن يجرؤ على الدنو من هذا المعقل الأشب القائم على قنة جبل شامخ شاسيد الانحدار ، كما أنه لم يكن يأمل أبدا أن يتغلب عليها بالسلاح .

الا أن عاطفة البنوة تغلبت في النهاية على قلب « الراضي » فقبل النزول من الحصن واتفق اتفاقا مشرفا له ، ثم فتح أبواب معقله للمرابطين ، غير أن « جرورا » لم يكن يقيم وزنا للعهد الذي قطعه على نفسه ، فقد اغتال « الراضي » بالله عقابا له على احجامه الطويل ورفضه الاستسلام . أما المعتد بالله الذي يادر الى الاذعان فقد كان مصيره دون مصير أخيه سوا وان تكن شروط استنزاله من حصنه قد توجهلت تماما فاستأصل الفاتح جميع أمواله وكل ما يملكه (٥) .

عجل سقوط أشبيلية باستسلام « المرية » ، فقد أشار المعتصم وهو على فراش الموت على ولده البكر « عز الدولة » بالذهاب الى بلاط أصحاب « بوجة » التماسا للنجاة حالما يصله خبر استسلام أشبيلية التي لم تكده تستسلم حتى استجاب « عز الدولة » لرغبة أبيه الأخيرة ، ومن ثم دخل المرابطون « المرية » تخفق فوقهم الأعلام ، وتدق بين أيديهم الطبول (٦) ، وما لبثوا غير قليل من الزمن حتى استولوا على مرسية و « دائية » وشاطبة (٧) .

بعد أن فرغ المرابطون من ذلك كله وجهوا قواتهم ضد مملكة « بطليوس » التي رأى صاحبها « المتوكل » منذ حصار أشبيلية أن يحالف المرابطين دفعا لخطرهم ، بل ان البعض ليذهب للقول بأنه عاونهم في الاستيلاء على عاصمة « المعتمد » (٨) ، غير أن حلفاءه المزعمين شرعوا أخيرا يعيشون فسادا في أراضيه ، مما حمله على الارتقاء بين ذراعي (ألفونس) واشترى حماية هذا الملك بالتخلي له عن لشبونة و « سنترا » (٩) فأدى هذا العمل من جانبه الى تدمير رعيته منه وحملهم على دعوة المرابطين للمجيء اليهم .

حينذاك قام « سير » - وكان قد أصبح حاكما على أشبيلية - فأنفذ في مستهل سنة ١٠٩٤ م [= ٤٨٧ هـ] جيشا لمحاربة المتوكل استطاع به غزو الاقليم بما فيه العاصمة ، وامتاز هذا الفتح باليسر والسرعة اللتين لم تدعا لألفونس مهلة من الزمن يستطيع فيها النهوض لمساعدة حليفه « المتوكل » الذي وقع في أيدي العدو ، كما وقعت في قبضته قلعة « بطليوس » التي كان المتوكل قد اعتصم بها هو وأسرته .

حين أصبح « المتوكل » فى قبضة « سير » لم يتورع الأخير عن اللجوء إلى ضروب القسوة كى يدفعه للكشف عن النواحي التى خبأ فيها أمواله ، فلما تم له ذلك أخبره أنه سائر به وبولديه « الفضل » و « العباس » إلى أشبيلية .

لم يصدر ذلك الاستنزال إلى أشبيلية عن نية حسنة من جانب « سير » بل حمله عليه تصميمه على التخلص من هؤلاء الأمراء ، لكنه كان يخشى أن يؤدي قتلها - ان تم بالمدينة - إلى عواقب وخيمة بها ، ومن ثم أمر القائد الناهض بالكتيبة بقتلهم حين يصبحون ظاهر البلد ، فلما بعد القوم عن « بطليوس » أمر القائد كلا من المتوكل وولديه بالاستعداد للموت قتلا ، ولم يحاول الأمير المنكود الحظ استرحام قاتله إدراكا منه لعدم جدوى هذه المحاولة ، بل كان كل ما سأله إياه هو أن يبدأ بقتل ولديه حتى تكون آلامه وهو يشاهد مصرعهما قادرة على محو آثامه ، فأجاب القائد إلى طلبه ، فلما رأى المتوكل رأسى ولديه تندرجان بين يديه ركع مصليا صلواته الأخيرة ، لكن الجند لم يدعوه يتم صلواته فخرّبوه ضربة فصلت رأسه عن جسده (١٠) .

ولما كانت سنة ١١٠٢ م استولى المرابطون على بلنسية وهى المدينة التى دانت منذ ثمانى سنوات للسيد ، وقد أخفق المرابطون فى محاولتهم انتزاعها منه ، بل استمرت فى يد أسرته فقد بقيت أرملة « شيمين » Chiméne مقيمة بها سنتين بعد موته عام ١٠٩٩ م حتى استتدعت ألفونس لمساعدتها ، فرأى أن بلنسية بعيدة كل البعد عن أراضيه ، وألا جدوى له من نزاعه مع المسلمين من أجلها وأن الخير له فى التخلي عن هذه الفكرة ، وقد تم له ما أراد ، الا أنه لم يشأ أن يترك للمرابطين منها غير أطلال دارسة ، فعمد رجاله القشتاليون إلى اضرار النار بها وهم يغادرونها (١١) .

لم يبق فى اسبانيا الاسلامية بعد ذلك غير امارتين لم تضما بعد إلى المرابطين هما « سرقسطة » التى كان يحكمها « المستعين » من بنى هود ، و « السهلة » التى هى من أملاك « بنى رزين » الذين اعترفوا بسلطان يوسف عليهم ، لكنهم ما لبثوا أن عزلوا عنها (١٢) .

لقد كان المستعين أسعد طالعا من بنى رزين اذ عرف السبيل إلى اكتساب عطف المرابطين عليه وتأيدهم إياه بفضل ما كان يصلهم به من الهدايا النفيسة ، ومن ثم أتيح له الاحتفاظ بعرشه ، الا أن الأمور تبدلت بعد موته فى ٢٤ يناير سنة ١١١٠ م فقد خلفه ابنه « عماد الدولة » الذى أنكر سكان « سرقسطة » الاعتراف به الا اذا صرف الجند المسيحيين العاملين فى جيشه ، ولكن كان هذا الشرط الذى اشترطه

سكان سرقسطة أمرا يصعب تحقيقه ، وسببه أن النصارى كانوا يؤلفون منذ قرن من الزمان خيرة قوات جيش « سرقسطة » ، كما كانوا أقوى الدعائم التى يرتكز عليها العرش ، فاذا سرحهم « عماد الدولة » لم يأمن أن تنب عليه رعيته ، ولا يأمن أن لا تتوانى عن المبادرة الى تمليك البلد للمرابطين .

ومهما تكن الأمور فقد رضى الأمير بالمعهد الذى قطعه القوم له على أنفسهم ، لكنه لم يكدهم الجند النصارى حتى خفت رعيته الى الاتصال بعلى بن يوسف بن تاشفين الذى كان يحكم اذ ذاك بعد أبيه الذى كان قد مات قبل هذا التاريخ بثلاث سنوات وأنبأته بتسريح النصارى من الجيش ، وذلك له أمر الاستيلاء على المملكة ، فلما علم « عماد الدولة » بمسلكهم وبما بيتوه له عاد من جديد الى استعمال المسيحيين مما أترع كاس غضب رعيته منه حتى الثمالة ، فأخبروا عليا بما جرى واتمسوا منه المعونة .

حينذاك سأل على فقهاء مراکش ان كان يحق له اجابة هذا الملتمس فأكدوا له أن ذلك حق واجب عليه أداءه ، ومن ثم بعث الى والى « بلنسية » يأمره بالزحف على « سرقسطة » فصدع صاحب بلنسية لأمره ، وكان « عماد الدولة » رأى أنه لن يصبح آمنا فى عاصمته فغادرها الى قلعة رويطة ، الا أنه قبل رحيله عنها كتب الى على بن يوسف بن تاشفين كتابا مؤثرا يستحلفه فيه - بحق الصداقة التى كانت تربط بين أبيهما - أن يتركه فى بلده طالما هو لم يفعل شيئا اذا يدفع عليا للزحف لقتاله .

وكان لهذا الكتاب أثره فى نفس على فقد تذكر ما كان أبوه قد أوصاه به وهو على فراش موته بأن يترفق مع بنى « هود » ، ولذلك بعث على [بن يوسف] الى حاكم بلنسية يأمره بالرجوع عن « سرقسطة » ، الا أن هذا الأمر وصل متأخرا بعد أن كان المرابطون قد دخلوها (١٣) .

بذلك دخلت جميع ولايات الأندلس الاسلامية تحت لواء سلطان مراکش ، وبهذا تحقق ما كان يتطلع اليه الشعب والفقهاء الذين لم يندموا على قيامهم بالمعونة الجدية فى سبيل نجاح الثورة ، ولو أننا أردنا أن نجد منيلا لما كان يتمتع به رجال الدين من السلطان فى ظل حكم المرابطين لتحتم علينا الرجوع الى الوراء الى زمن القوط ، ذلك أن الأمراء المرابطين الثلاثة الذين ولوا الحكم فى الأندلس واحدا بعد الآخر ، وأعنى بهم يوسف وعليسا [١١٠٦ - ١١٤٣] وتاشفين [١١٤٣ - ١١٤٥] كانوا شديدى التدين فأحاطوا الفقهاء بمظاهر الاجلال ، وأسبغوا عليهم وارف ظلهم ، وكانوا لا يقدمون على عمل من الأعمال من غير رضائهم ،

وان كان « على أشد الجميع ميلا للفقهاء ، وكان الفدر أخطأ اذ جعل هذا الرجل يولد في مهاد الملوكية على حين أن طبيعته هيأته لحياة السكينة والتأمل الروحي ، وأعدته للرهبانية والاعتكاف في الصحراء ، فلم يعرف عنه في حياته الا الصوم والصلاة . ومن الطبيعي ألا يجد هذا الحاكم غير النساء عليه من الفقهاء الذين أخذوا يسيرونه وفق ما يشتبهون ، وأصبحت مقاليد الحكم في أيديهم وراحوا يتصرفون في جميع وظائف الدولة ، وكانت لهم كل الحظوة عنده ، فامتلكوا الثروات الطائلة (١٤) . وقصارى القول أنهم جنوا الثمرات التي كانوا يأملونها من وراء فتح الأندلس على يد المرابطين ، بل انه ليس من الاسراف في شيء ان قلنا ان ما جنوه كان فوق ما كانوا يطمعون فيه .

لكن اذا كانت الحوادث قد حققت آمالهم فقد حققت أيضا مخاوف الجماعة التي كانت كارهة لحكم الطبقة الدينية وجند الصحراء ومراكز المتبربرين . كما كان هناك ما يدفع الأدباء والشعراء والفلاسفة الى الشكوى المريرة .

لا متساحة في أن كثيرا من الأدباء الذين كانوا يعملون في دواوين الأمراء الأندلسيين قد شغلوا بعض الوظائف في ديوان رسائل السلطان الجديد ، الا أنهم لم يجدوا أنفسهم يتبوؤن المكانة الجديرة بهم ، ووجدوا أنهم غير مطمئنين الى وجودهم وسط الفقهاء المتعصبين والجند الغلاظ ، وأدركوا أن حاشية الأمراء الأندلسيين كانوا شيئا يخالف كل المخالفة ما أصبحوا يعيشون معهم اليوم .

أجل . . ان المرء ليرى أن هؤلاء القوم اضطرتهم الحاجة لكسب قوتهم الى مدهانة الأمراء المرابطين ، والى اهدائهم مؤلفاتهم وكانوا ينظرون بشيء من الأسى والاعجاب العظيم الى الأمراء المتأدبين الذين حكموا الأندلس من قبل ، كما وجد في القوم من لم يستطع أن يكتب سخطه الشديد على هؤلاء الحكام الجدد ومثال ذلك الكاتب الذي ما كاد يتسلم الأمر بأن يكتب على لسان السلطان كتاب تأنيب لجيش بلنسية بسبب هزيمته أمام ملك « أرغونة » حتى استسلم هذا الكاتب لما تضطرم به نفسه من الكراهية ، فجاء في كتابه بمثال هذه العبارات « أي بنى اللثيمة ، وأعيار الهزيمة ، الى متى يزيقكم الناقد ، ويردكم الفارس الواحد ، فليت لكم بارتباط الخيول ضانا لها حالب قاعد . لقد آن أن نوسعكم عقابا ، والا تلوثوا على وجه نقابا ، وأن نعيدكم الى صحرائكم ، ونظهر الجزيرة من رحضائكم » .

وما بنا من حاجة للقول بأن هذا الأسلوب قد أحق السلطان فيجازي الكاتب بأن صرفه عما بيده (١٥) .

أما التسعراء فلم يعودوا يجدون من يدنى مكانتهم الى السلطان المرابط ، فأخذوا يندبون ضياع الذوق ، وينددون بالهمجية التي اكتسحت بلادهم (١٦) . ومع ذلك فقد ظهرت بينهم جماعة لاقت الأمرين ، اذ راحوا يمتدحون بشعرهم الفقهاء الذين لم يكونوا يخلون من الزهو رغم ما هم عليه من الورع ، وكان أبرزهم في ذلك كبيرهم « ابن حمدين » قاضى الجماعة بقرطبة ، فقد ادعى أنه عربى الأصل شريف النبعة حتى ليقول فيه القائل (١٧) :

اليك ابن حمدين انتحلت قصائدنا
بها رقصت فى القضب ورق الحمام
أنا العبد ، لكن بالمودة يشتري
إذا كان غيرى يشتري بالدراهم

غير أن الفقهاء - ولا نستثنى منهم ابن حمدين الذى كان أثرى أهل قرطبة (١٨) - كانوا لا يبسطون أيديهم بالعطاء (١٩) ، ومن ثم انصرف عن مديحهم التسعراء ممن يحترمون أنفسهم ويكرمون فنهم ويربأون به عن مواضع الزلفى والتهمة ، وان عانوا سُظف العيش ، ومنهم الشاعر الغزل « ابن بقى » الذى يعد من أحسن من أنجبتهم الأندلس ، فراح ينتقل من بلد الى بلد وقد أعوزه الرغيف (٢٠) ، فقال فى إحدى قصائده :

أقمت فيكم على الاقتار والعدم
لو كنت حراً أبى النفس لم أقم
فلا حديقتم يجنى لها ثمر
ولاسماؤكمـو تنهل بالديم
أنا امرؤ ان نبت بى أرض أندلس
جئت العراق فقامت لى على قدم
ما العيش بالعلم الاحيلة ضعفت
وحرفة وكلت بالقعدد البرم (٢١)

غير أن العزاء الوحيد الذى بقى للتسعراء هو أنه كان فى قدرتهم السخرية من أصحاب السلطان ابان ذلك العصر ، وكتابة الهجاء المقذع الذى يفيض بالسخائم ضد الفقهاء ، حتى ليقول بعضهم فيهم :

أهل الرياء لبستتموا ناموسكم
كالذئب يدلج فى الظلام العاتم (٢٢)

غير ان ابداء ما فى النفوس من السخائم وما تنطوى عليه من الحنق على الفقهاء بهذه الصورة لم يكن مأمون العاقبة لأن هذه الطائفة من الناس كانت تعرف كيف تقتص ممن يجروون على التعرض لها ، ولسنا فى حاجة لأن نقول ان الفلسفة أصبحت علما محرما ، وقد أخطأ « مالك بن وهيب الأشبيلي » حين أخذ نفسه بالنظر فيها ، الا أنه أدرك ما ينطوى عليه هذا الميل من تعريض حياته للخطر فانصرف عنها وانكب على دراسة الفقه والشريعة ، ولم يندم على مسلكه الجديد الذى قربه من السلطان حتى صار صديقه وموضع سره وثقته ، وان لم يفر القوم له أبدا خطيئته التى ارتكبها أيام شبابه ، فقد نظم أحد خصومه أبياتا نال فيها منه اذ يقول :

دولة لابن تاشفين على ظهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها من حناياه : مالك بن وهيب (٢٣)

ولقد جاوز تعصب الفقهاء كل حد ، وكان أفق تفكيرهم شديد الضيق ، هذا الى قلة المامهم بالقرآن والأحاديث النبوية ، فلم يأخذوا أنفسهم بالتمعق الا فى دراسة ما كتبه تلاميذ « مالك بن أنس » الذين عدوهم أئمة معصومين ، ولا يجوز لأحد ما أن يخرج عما وضعوه ، وكان المامهم – والحق يقال – بالشريعة الماما دقيقا ، ولم تجد نفعا تلك المحاولات التى قام بها جماعة من مستنيرى الفقهاء للحد من أفكارهم ، فكان ردهم عليهم أن أخذوا فى اضطهادهم واعتبرهم الناس زنادقة وكفرة ومرتدين (٢٤) .

أما الكتاب الذى ألفه الغزالي فى الشرق وهو المعروف باحياء علوم الدين فقد أحدث فى الأندلس دويا عظيما وضجة كبرى .

لم يجد الغزالي فى مذهب ما من مذاهب علم الكلام ما يرضى نفسه ، فتشكك فى قيمة تلك المذاهب وتمادى فأصبح ألد أعداء الفلسفة ، وهو يؤكد فى كتابه « احياء علوم الدين » ان علم ما وراء الطبيعة لا ينبغى أن يستعمل الا للدفاع عن الدين الموحى به ، ويقول ان دراسة علم الطبيعة ينبغى اهمالها ان رأى فيها المرء ما يجرح الدين ، غير أن الغزالي بشر بمذهب عاطفى باطنى قوى ، يكاد أن يكون عقيدة يوحى بها القلب ، كما أسرف فى لوم رجال الدين من أهل عصره الذين اكتفوا بالقشور دون اللباب ، ولم يشغلوا أنفسهم بغير المسائل الجدلية التى لا تفيد البتة الا فى المنازعات التافهة التى تنشأ بين الرعا (٢٥) ، وبهذا هاجم فقهاء الأندلس فى أضعف نواحيهم فاستبد الغيظ بهم منه ، حتى لقد أفتى ابن حمدين – قاضى قرطبة بتكفير كل من ينظر فى كتابات الغزالي وحكم عليه بالهلاك ، وأصدر فتوى قال فيها بوجود حرق هذا الكتاب وكل ما بابنه من الكتب ، وأمضى كل فقهاء قرطبة هذه الفتوى ورفعوها الى

السلطان على الذى أجاز ما بها ، ومن ثم جعلوا كتاب الغزالي طعمة للنيران
فى قرطبة وفى شتى مدن الامبراطورية ، وحرم على الناس امتلاك أشباهه
والا قتلوا وصودرت أملاكهم وأموالهم (٢٦) .

من هذا يفهم أنه لم ينعم بالتسامح فى ظل هذا الحكم من كانوا
على غير الملة الاسلامية ، وهذا ما حدث مثلا لليهود فقد ابتدع أحد فقهاء
قرطبة طريقة رآها خير وسيلة لحملهم على اعتناق الاسلام فزعم أنه عثر
بين أوراق ابن مسرة على حديث نبوى يقول ان اليهود كانوا قد قطعوا على
أنفسهم عهدا للرسول بأن يسلموا فى ختام القرن الخامس للهجرة ان لم
يظهر « المسيح » المنتظر حتى ذلك الحين ، وجاء أن هذا الفقيه لم يكن على
شئ من الامام بالتاريخ الأدبى والا كان أحرص وأبعد عن أن يقول انه
وجد ذلك الحديث بين أوراق ابن مسرة ، لأن الناس كانوا يعرفون فى
ابن مسرة تهاونه فى شئون الدين تهاونا لا يشك أحد فيه أبدا (٢٧) .
غير أن القوم حينذاك لم يعبثوا بتلك المسألة ، وكان الداعى لهم الى ذلك
هو أن السلطان يوسف [بن تاشفين] الذى كان موجودا حينئذ فى الأندلس
ذهب الى مدينة لاشانة Lucena (وهى مدينة يهودية خالصة لا يستطيع
أحد من المسلمين السكن بها) وكان غرض ابن تاشفين من ذلك الذهاب هو
دعوة اليهود لتنفيذ العهد الذى قطعه أسلافهم على أنفسهم ، فدب الذعر
الشديد بين يهود « لوسينا » ، لكن بقي أمامهم لحسن حظهم سبيل واحد
للنجاة هو ان هذا العمل لم يكن صادرا عن وجدان صادق وإيمان خالص
بقدر ما هو صادر عن التطلع الى ما يملكه اليهود من المال ، لأنهم كانوا
أثرى الناس فى العالم الاسلامى وكانت الحكومة تعتمد عليهم فى سد
النقص فى الناحية المالية فان ظهر هذا النقص عمدت الى فرض الضرائب
غير الشرعية ، ولم يجهل اليهود هذا الأمر فبعثوا الى ابن حمدين قاضى
قرطبة يلتمسون منه الدفاع عنهم لدى السلطان ، فلم يخيب القاضى
ابن حمدين رجاءهم ووعدهم بتحقيق أملهم فيه ، وفى لهم بعده ،
ولا ندرى عما اذا كان ابن حمدين قد قام بهذا العمل غير مأجور عليه ،
ولكن مهما يكن الأمر فانه حث السلطان على أن يكتفى بقبول قدر من المال
منهم ، وكان فى الواقع مبلغا جسيما ، غير أن الظروف المحيطة باليهود
جعلتهم يرون أن التضحية بالمال - وان جلت - ليست بالكثيرة ازاء تركهم
أحرارا وبقائهم على ملتهم (٢٨) .

أما المسيحيون ، أو « المستعربون » كما يسمون فقد لاقوا عننا
شديدا لما كانت تنطوى عليه صدور الفقهاء والنجمور ضدهم من الكراهية
العنيفة المتأججة ، وكانوا فى كثير من الجهات لا يزيدون عن فئات صغيرة
لكنهم كانوا يؤلفون جمهرة كبيرة من سكان ولاية غرناطة ، وكانت لهم
قرب العاصمة كنيسة فخمة شيدها سنة ٦٠٠ م أحد الأشراف القرطبيين

واسمه « جديلا » ، وقد أثارت هذه الكنيسة حقد الفقهاء الذين اعتمدوا بطبيعة الحال على عمل قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز اذ كره أن تبقى أية كنيسة أو مذبح للنصارى ، قديماً كان هذا البناء أو مستحدثاً (٢٩) ، ومن ثم أصدر الفقهاء فتوى نصوا فيها على هدم كنيسة « جديلا » ، ولقيت هذه الفتوى رضاء يوسف ، ومن ثم تمت ازلتها وسويت بالأرض عام ١٠٩٩ م .

والظاهر أنهم فعلوا نفس هذا الفعل ازاء الكنائس الأخرى وان يكن النائب - على الأقل - أن الفقهاء كبدوا المستعربين المشاق البالغة مما دفع الأخيرين فى النهاية للتوسل الى ملك « أرغونة » بالمجئ لتخليصهم من نير التعصب الذى يواجهونه ، فاستجاب الفونس لتوسلاتهم ، ومن ثم أخذ فى سبتمبر ١١٢٥ م فى الزحف بأربعة آلاف فارس يتبعهم رجالهم المدججون بالسلاح ، والذين أقسموا على الانجيل ألا يترك بعضهم بعضاً ، ومع ذلك فلم تحقق حملته العهد الذى قطعته على نفسها .

حقيقة أن هذه الحملة ظلت تعين فسادا ونخريبا فى الأندلس أكثر من عام ، وأنها تقدمت حتى طرقت أبواب قرطبة ، وانها انتصرت فى « أرزول » القريبة من « لوئينا » انتصارا رائعا ، لكنهم مع ذلك كله لم تحقق الهدف المنشور الذى جاءت من أجله ، ونعنى به الاستيلاء على غرناطة ، لذلك ما كاد الجيش الأروغونى يرحل حتى أنزل المسلمون بالمستعربين أفظع الأحوال مما ترتب عليه هروب عشرة آلاف منهم فرارا من غضبهم الجنونى ، ولما كانوا يعرفون المصير الذى ينتظرهم فقد طلبوا من الفونس أن يأذن لهم بالاقامة فى رحاب مملكته فاستجاب لهم . ومع ذلك فقد بقى منهم فى غرناطة جمهور أكثر ممن هاجروا فصورت املاكهم ولاقوا أسوأ ضروب المعاملة ، فزج بالبعض منهم فى السجون ولقى الآخرون مصيرهم قتلا ، غير أن الغالبية العظمى منهم نقلت الى افريقية حيث تكبدوا أفظح الآلام ونزلوا فى ضواحي ومكناسة ، وكان ذلك سنة ١١٢٦ م وقد تم ذلك كله بمرسوم من السلطان « على بن يوسف » حملة على اصداره ابن رشد جد الفيلسوف المعروف (٣٠) ، وبعد ذلك الحادث باحدى عشر سنة نفى المستعربون مرة أخرى (٣١) ، حتى انه لم يبق منهم بالاندلس سوى طائفة قليلة .

كانت حكومة المرابطين شديدة الوطأة على فريق خاص من الناس ، مسرفة فى اضطهادهم ، لكن المسيحيين واليهود وأصحاب الفكر الحر من علماء المسلمين والفلاسفة والشعراء والأدباء كانوا لا يزيدون عن فئة قليلة ، وان كانت بلا ريب فئة هامة جدا لا يمكن اغفالها ، اذ تضم بين

أفرادها جميع أرباب المواهب والكفاءات ، ولكنها لم تكن من الشعب الذى كان يبني الآمال العراض على الحكومة الجديدة ، والذى كان يطمح أن تقر النظام فى الداخل وتحمى الشعب من الأعداء الذين يهددونه من الخارج ، كما كان هذا الشعب يتطلع إليها بعين الرجاء فى أن تخفف عبء الضرائب وتعمل على زيادة الرخاء العام .

فهل تحققت الآمال ؟

ربما أمكن القول انها تحققت زمن يوسف وكذلك فى السنوات الأولى من ولاية خليفته الذى جاء بعده . فلم يضطرب جبل النظام ابان هذه الفترة وأمنت الطرق (٣٢) ، واستولت الرهبة على القشتاليين فكفوا عن العدوان ، ولم يعودوا يفكرون فى المجيء لنخريب بقاع الأندلس (٣٣) . وألغت الحكومة فى البداية كل ضريبة غير شرعية . ولقد رأينا أننا كيف التزم اليهود بتمويل بيت المال نيابة عن المسلمين كلما أعوزت بيت المال الحاجة الى المال ، لكننا لا نستطيع أن نجزم كما جزم أحد المؤرخين (٣٤) بأنه لم تكن هناك أى ضريبة باهظة ، اذ الثابت أن يوسف حاول ذات مرة فرض ضريبة حربية - أو كما سماها معونة - فلم يكن من أهل المرية الذى لم يظهروا أبداً أى ميل للدرابطين الا أن رفضوا دفعها ، وقام أبو عبد الله بن الفراء قاضى الجماعة فى المرية فرد على يوسف بقوله :

« أما بعد ، فما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك ، وأن جميع القضاة والفقهاء بالعدوة وبالاندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - اقتضاها ، وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه فى قبره ، ومن لا يشك فى عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته فى العدل فالله سائئهم عن نقلهم فيك ، وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم ، فالتدخل المسجد الجامع وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ، وحينئذ تستوجب ذلك والسلام » (٣٥) .

فهل أدت هذه العبارات النارية الى صرف يوسف عما أراد ؟ أم جعلته يصر على طابعه ؟ .

لسنا على بينة من الأمر ، بيد أن هناك ما يحملنا على الظن بأن الضرائب غير الشرعية قد فرضت أيام على [بن يوسف بن تاشفين] اذ يقول أحد المؤرخين (٣٦) فى معرض كلامه عن الروم (ويعنى بهم

المسيحيين) الذين استعملهم على في وظائف الدولة « انهم قد النزموا بالمغرب » ولا مشاحة في أنه يندرج تحت هذه العبارة الضرائب التي لم ينص عليها القرآن .

أضف الى هذا ما يذكره أحد نقات الجغرافيين (٣٧) من أن المرابطين قد فرضوا ضرائب كثيرة على جميع أنواع المتاجر ، ولا أقل من أنهم فرضوها في عاصمتهم .

ومع ذلك فإن الضرائب التي أصبح الشعب يدفعها كانت أقل من الضرائب التي كانت تجبى أيام الأمراء الأندلسيين ، ومن الطبيعي أن تزداد الرفاهية والرخاء بفضل هذا العمل وبفضل السكينة التي أصبحت البلاد تنعم بها وتعمها . والواقع أن الرخاء كان عظيما جدا ، والدليل على ذلك رخص القمح ، كما أصبح الناس قادرين على شراء اللحم بثمان لا يكاد يذكر لتفاهته (٣٨) .

ومجمل القول ان الشعب لم يداخله اليأس اذ ذلك ، لكن كل ما في الأمر أن لابد وأن يكون قد أخطأ لو أنه اعتقد أن المرابطين قد حصلوا على انتصارات حاسمة على النصارى ، وأنهم أعادوا بلاد الأندلس الاسلامية الى سابق عظمتها وبأسها للذين كانت عليهما أيام عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني والمنصور ، ومع ذلك فقد كانت الظروف جد مواتية ، فقد وقعت أسبانيا النصرانية عقب موت ألفونس السادس سنة ١١٠٩ م فريسة للفوضى التي ظلت تتناهبها ردحا طويلا من الزمن ، وغشيتها الحروب الأهلية ، الا ان المرابطين لم ينتفعوا بتلك الظروف المتاحة لهم ، فقد ضاعت سدى جميع محاولاتهم في سبيل استرجاع طليطلة ، ومع أنهم استطاعوا الاستيلاء على بعض مدن كانت دون طليطلة أهمية الا أن النجاح الذي أصابوه لم يكن يعادله سوى ضياع سرقسطة من أيديهم سنة ١١١٨ م .

أما الأمة فلم تطل فرحتها بانتهاء الثورة اذ دب الفساد في الحكومة . ثم سرى واستشرى بين القادة والجنود سريان النار في الهشيم ، ذلك ان قادة يوسف - حين وصولهم الى أسبانيا - كانوا قادة أميين لكنهم شجعان متدينون مخلصون لمهتهم ، يزاولون الحياة على نمط بسيط من العيش ويتبعون أسلوبا ساذجا يوائم الصحراء ، لكن لم تكده تندفق بين أيديهم أموال الأمراء التي صادرها يوسف حتى فقدوا ميزاتهم السالفة ، ولم يعودوا يفكرون الا في التمتع بما أصابوه (٣٩) .

كانت الحضارة الأندلسية عندهم شيئا جديدا لم يألوه ، وأصبحوا يخجلون من همجيتهم فطلبوا التعليم والتهذيب ، واتخذوا الأمراء الذين

خلعهم عن عروشهم مثالا يحتذونه ، ومما يؤسف له أنهم كانوا أبعد من أن يتأثروا بركة الأندلسيين وحسن ذوقهم ولطف معشرهم ، بل كان كل كل ما فيهم مطبوعا بطابع التقليد الأعمى المعوج .

لقد بسطوا حمايتهم على الأدباء وأسبغوا عليهم وارف ظلهم وعطفهم ، وتدرّبوا على نظم الشعر والتأليف ، الا أنهم فعلوا ذلك كله جهالة واعتباطا وبأسلوب تنقصه الكياسة والذوق ، ومهما يكن ما فعلوه فانهم لم يهضموا الحضارة هضمًا تامًا ، ومن ثم ظلوا على شيء من البداوة ولم يأخذوا من الحضارة الأندلسية سوى جانبها الهش ، ويقال ان أبا بكر بن ابراهيم - صهر على - الذي بقى مدة من الزمن عاملا على غرناطة ثم سرقسطة - يعد مثالا لهؤلاء القواد الذين حاولوا أن يصبحوا أندلسيين فأخفقوا ولم يفلحوا .

لقد ولد أبو بكر بن ابراهيم في الصحراء وشب على مبادئ بني جنسه الجافة الصارمة ، فلما صار في سرقسطة نسي تلك المبادئ وراح ينسج على منوال « بنى هود » ملوك سرقسطة السابقين ويقتفي نهجهم حذوك النمل بالنعل ، ولما كان « بنو هود » يعيشون عيشة الترف فقد طمع أبو بكر في هذه الحياة ذاتها ، ومن ثم أحاط نفسه بالنداهى ، وكان اذا جلس للشراب معهم لبس تاجا وعباءة ملوكية ، ولما كانت الفلسفة قد نعمت بعطف بنى هود - لاسيما المقتدر والمؤمن اللذين عالجا الكتابة والتأليف فيها - فقد أراد أن يفعل مثل الذي فعلوا دون يعبا بما قد يقوله صهره والفقهاء في شأن ممارسته اياها ، فأولى صداقته وثقته وساق وزارته الى رجل لا يجرى اسمه على السنة الاتقياء الا استعاذوا بالله منه ، وهو رجل لا يؤمن بالقرآن بل ينكر كل وحى ذلك هو الفيلسوف الشهير ابن باجة (٤٠) مما أدى الى سحق الكثيرين من جنده عليه وانفضاضهم من حوله (٤١) .

وعلى الرغم من أن الجند كانوا أكثر اعتدالا من زعمائهم الا أنهم كانوا مثلهم خلقا ، فقد عرفوا بجراتهم وسفهمهم على الأندلسيين وجبنهم أمام العدو ، والواقع أن جبنهم هذا كان كبيرا حتى لقد اضطر الملك أن يتناسى كراهيته للنصارى فضمهم الى جيشه واستقدم قائده ابن ميمون « صياد الآجال » من عند شواطئ غاليسية و « قطالونيا » وإيطاليا والامبراطورية البيزنطية (٤٢) .

بلغت وقاحة جند المرابطين مبلغا لا حد له فنظروا الى بلاد الأندلس نظرتهم الى بلد مفتوح مغلوب على أمره ، فراحوا يتمتعون فيها بكل ما يرضى شهواتهم من المال والمتاع والنساء ، وتركبهم الحكومة يفعلون ما يشاؤون ولم تستطع ردهم عن شيء ما ، واتضح ضعفها جليا للعيان ،

وتخلى الفقهاء عن سلطنتهم للنساء أو على الأقل أذنوا لهن بمشاركتهم فيها ، وأصبح الملك ياتمر بأمر زوجته « قمر » ، كما أن هناك غيرها من النساء صرن يتصرفن فى الوظائف العليا ويستعملن فيها من أردن ، فان استطاع المرء أن يرضى أهواءهن تجاسر فانطلق يفعل ما يشاء ، حتى صار فى قدرة اللصوص أن يأمنوا أن تمتد اليهم يد العدالة اذا استطاعوا بوسيلة أو أخرى شراء حماية أولئك النسوة لهن ، اذ كان بيدهن خلع الوظائف على من أردن ، وقد جرت عادتهن أن يسقن هذه الوظائف الى رجال ضعاف أشد الضعف ، ومجمل القول ان الفساد كان قد دب فى الحكومة التى غدت محتقرة مرذولة يسخر منها الجيش والشعب على السواء لأنها كانت تنسخ اليوم الأوامر التى قضت بها بالأمس ، كما تطلع كبار السادة الى الاستحواذ على العرش ، وكثبرا ما سمعهم الناس يقولون انه لو أقيمت اليهم مقاليد الحكم لحكموا خيرا من الأمير على الضعيف الذى لا يعرف غير الصلاة والصوم (٤٣) .

ومما زاد الطين بلة قيام ثورة باثرة بافريقية سنة ١١٢١ م وهى التى أضرمها سكان جبال أطلس المراكشية الذين اتسموا بالهمجية وعرفوا بالموحدين فقد هبوا لحمل السلاح ضد المرابطين ، وحرصهم على ذلك التمرد رجلى يدعى الاصلاح ، ويزعم أنه المهدي الذى بشر به النبى [عليه الصلاة والسلام] . وكان لابد لمثل هذه الثورة من القضاء على دولة نخرها الضعف حتى وهى أساسها فاضطربت أحوالها، واختلت أمورها، وكان الجند الذين تستعملهم هذه الدولة - باستثناء النصارى - أسوأ جند ، حتى لقد كان يكفى منظر العدو وحده لحملهم على الفرار والهزيمة .

تأزمت الأحوال أمام الحكومة فأوقع فى يدها فلم تدر ما تفعل ، غير أنها أرادت أن تمتد قليلا فى حياتها التعميسة فأرجعت للأندلس الجند والسلاح والذخيرة والأقوات (٤٤) ، ولم يفت ذلك العمل انتباه المسيحيين الذين بادروا الى الاستفادة مما هو واقع فعلا ، فقام ألفونس المحارب ملك « أرجون » سنة ١١٢٥ م أعنى بعد أربع سنوات من بدء ثورة الموحدين - بالزحف على الأندلس ، وظل أكثر من عام يعيث فيها فسادا .

كذلك حدث فى سنة ١١١٣ م أن أقام ألفونس السابع ملك قشتالة والملقب بالامبراطور لقب جده ألفونس السادس وأعمل السيف فى نواحي قرطبة وأشبيلية وقرمونة ، وأجرى على أديمها الدم وترك النيران ترعى بها ، كما استولى على « شريش » فخر بها هى الأخرى وأحرقها ، وتقدم فى زحفه حتى وصل الى موضع كان يسمى ببرج قادش

أو أعمدة هرقل (٤٥) ، وأفسد فيه كما أفسد جده من قبل زمن المعتمد فقد عاود بعد خمس سنوات تخريب ضواحي « جيان » و « بايزة » و « أوبنة » و « أندوسر Andujar » ، ثم رجع مرة ثانية سنة ١١٤٣ ، إلى قادش وأسميلية و « قرمونة » ، كما نهب في العام التالي واحرق جميع بلدان الأندلس الواقعة بين قلعة رباح و « المرية » (٤٦) .

طل الشعب الأندلسي ينعم بالرخاء مدة سنوات قلائل وذلك بفضل الثورة التي تحمس في الترحيب بها ، ثم ابتلى بعدئذ بحكومة ضعيفة منجاة ، وزمرة من الجند الضعاف السفاكن الذين لا يخضعون للنظام . كما ابتلى بشرطة فاسدة ، يدل على ذلك كثرة اللصوص بالقرى ، كما تعددت غارات قطاع الطرق على الريف ، فشلت الحركة التجارية ، وركدت الصناعة ، وارتفعت أسعار الأقوات حتى لقد أدت الحال إلى ما يشبه المجاعة ، ونكبت البلاد بكثير من الغزوات التي لم ير لها منيل من قبل والتي أخذت تزداد للأسف يوما بعد يوم (٤٧) ، فتلاشت الآمال ، وراح الناس يصبون اللعنات على أولئك المرابطين بعد أن كانوا يعدونهم المنقذين لبلادهم ولملتهم ، وأخذ أهل قرطبة منذ سنة ١١٢١ م في التمرد على الجند الموكول اليهم حماية المدينة لارتكابهم شتى ضروب المظالم دون أن تتدخل الحكومة فتضرب على أيديهم حتى يكفوا عما هم بسبيله ، وطردهم القرطبيون هؤلاء المتبربرين ونهبوا مساكنهم ، واذ جاء الملك « على » إلى الأندلس بحشد كثيف من أهل أفريقية ، وكان من الضخامة بالصورة التي لم يسبق لسواطيء أسبانيا أن رأت لها قط منيلا من قبل ، غير أن كيل الغضب كان قد طفق عند القرطبيين فأجمعوا العزم على الاستبسال في الدفاع عن أنفسهم استبسالا دفعهم إليه اليأس ، فأغلقوا أبواب المدينة وأقاموا المتاريس بالشوارع . إلا أن الجانبين لم يكونا متكافئين مما دعا الفقهاء للتدخل لحقن الدماء والحيلولة دون اهراقها وعلى الرغم مما طبع عليه الفقهاء من أمور كانت تستنكر منهم إلا أنهم انضموا هذه المرة إلى جانب مواطنيهم ووقفوا في وجه أصحاب البأس والسلطان ، وأفتوا بأن ثورة أهل قرطبة إنما هي ثورة عادلة يقرها الشرع ، وبرروا عمل أهلها بأنهم لم يمتشقوا السلاح إلا دفاعا عما يملكون ، وذبا عن حرماهم وحياتهم . وقد أقر على كما هي العادة وجهة نظر الفقهاء ، وجرت مفاوضات طويلة انتهت برضاء القرطبيين بدفع دية عما نهبوا وحطموه (٤٨) .

أما في المدن الأخرى فقد أخذ التذمر في الازدياد ، وراح الناس يحنون إلى الماضي الدابر ، ويتمنون رجوعه رغم أنه لم يكن بالماضى الزاهي ، ولكنهم أصبحوا يفضلونه على وضعهم الحالي ويؤثرونه على ما هم فيه من

النكد والمشقة التي ضجروا منها ، وثبت ذلك عندهم حين قرءوا الرسالة التي بعث بها الاشبيليون في سنة ١١٣٣ م الى سيف الدولة آخر ملوك سرقسطة الذي كان موجودا حينذاك في جيش ألفونس السابع المرابط أمام أبواب مدينتهم وقالوا له فيها « خاطب عنا ملك النصرارى ، وأكد له تأكيدا لا نقض فيه أننا سوف نتخلص من نير المرابطين ، واننا لن نكاد نتحرر منهم حتى ندفع لملك قشتالة جزية أضخم بكثير مما كان آباؤنا يدفعونها لاسلافه ، وأما أنت فسيكون لك الحكم علينا ثم لأولادك من بعدك » (٤٩) .

وبعد احدى عشرة سنة من هذا الحادث كان الناس يقولون في التسوارع والمساجد « لقد استغلنا المرابطون غاية الاستغلال ، فسلبونا أملاكنا ، واحتجونا أموالنا ، وسلبوا نساءنا ، واسترقوا أبناءنا ... فلننهض ضدهم ، ولنطاردهم ، ولنعمل على الفتك بهم » .

وقال آخرون : « ينبغي علينا قبل كل شيء أن نتحالف مع امبراطور « ليون » وندفع له الجزية كما دفعها له آباؤنا من قبل » . فيجيبهم آخرون : « أجل . ان كل ما تقولون هو الصواب على شرط أن نتخلص من المرابطين ! » .

هكذا راح الناس يتمنون على الله نجاح الخطط التي دبروها ، وقامت جميع بلاد الأندلس قومة رجل واحد للوثوب على مضطهديها والتخلص منهم ، وكان القضاة والفقهاء (٥٠) على رأسهم جميعا .

اننا لم نذكر تاريخ هذه الثورة ولا تاريخ فتح الأندلس على يد الموحدين الذين حلوا محل المرابطين في بلاد مراكش ، وذلك لأن المحاولة التي وضعناها نصب أعيننا هي دراسة تاريخ الأندلس المحتلة ، ولو أننا تناولنا الحقبة التي كان فيها هذا القطر ولاية من ولايات دولة أخرى فاننا بذلك نكون قد جاوزنا الحدود المرسومة لموضوعنا ، ونحن نفعل ذلك لأننا نعتقد أن واجبنا يتلخص في أنه ينبغي علينا أن نبين في جلاء كيف أن الأندلس لم تكن ناعمة البال حين احتلها المرابطون ، وأنها راحت تندب أمراءها الذين افترت عليهم أشد الافتراء وتخلت عنهم وقت الخطر تخليا كان هو الخيانة ..

وقبل أن نختم هذا الموضوع نرى أنه بقى أمامنا واجب واحد لازال يقتضينا أن نبثه ، ذلك هو عرض سيرة المعتمد أثناء أسرته .

الفصل الخامس عشر

سيرة المعتمد ونهايته

نفي المعتمد الى طنجة ولقاؤه بالشاعر الحصرى . كرم المعتمد لا يبارحه حتى في متربته . نفيه بعدئذ الى مكناسة . ثم سجنه في اغمات . تدهور حال زوجته وبناته والتماسهن العيش بصناعة الغزل . شعر المعتمد في وصف حاله ومآل أهل بيته . حزنه الشديد على مرض الرميكية وسؤاله الطبيب ابن زهر لعلاجها . المعتمد يجد عزاءه في ما يبعثه اليه الشعراء من قصائدهم وزيارة بعضهم له . عبد الجبار بن المعتمد يقف ضد المرابطين . ابن حمديس الشاعر يتوقع عودة المعتمد لمملكته وشعره في ذلك . وفاة المعتمد ودفنه . خلاصة القول في المعتمد وحب الناس له . افتخار اللخميين به . شعر ابن الخطيب في مدحه بعد زمن طويل .

سيرة المعتمد ونهايته

رغم الفضائل الجمة التي يشهد بها الفقهاء ليوسف [بن تاشفين] إلا أن حقه على المغلوبين لم يكن يبارحه ، فقد اتبع مع الأمراء الأندلسيين الذين وقعوا في أسره أسلوبا شديداً الفظاظة ممزوجاً بالقتل لهم ، وإن يكن قد أحسن معاملة حفيدي باديس إذ رد عليهما حريرتهما على ألا يبرحا بلاد المغرب ، وأجرى عليهما معاشاً ضخماً ، حتى لقد خلف عبد الله لأولاده من بعده ثروة طائلة ، لكن يوسف كان مدفوعاً إلى هذه المعاملة بحبه لحفيدي باديس - وهما من نفس جنسه - تم انهما كانا رجلين رخوي المغمز ، هشي الكسر لا يخشى شرهما ، بل كانا يعملان على التلطف إليه (١) . أما غيرهما من الأمراء - أمثال الراضي والمنوكل وفضل وعباس - فقد رأينا ما حل بهم على يده ، كما لاقى المعتمد أسوأ المصير وإن لم يقدم يوسف على قتله بل أبقاه حياً .

ما كادت أشبيلية تسقط في يد ابن تاشفين حتى أمر باستئزال « المعتمد » إلى طنجة ، وكان في وداعه وقت ركوبه البحر هو وأهل بيته حشده كثيف من الأهالي زحرت بهم ضفاف الوادي الكبير ، وقد وصف الشاعر « ابن اللبانة » هذا المنظر في إحدى مرثيته فقال (٢) :

نسيت - الا غداة النهر - كونهمو
في المنشآت كاموات بالحداد
والناس قد ملأوا البرين واعتبروا
من لؤلؤ طافيات فوق ازباد
حط القناع فلم تستر مخدرة
ومزقت أوجه تمزيق أبراد
يا ضيف : أقفر بيت المكرمات فخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه
خف القطين وجف الزرع بالوادي

ضلت سبيل الندى بابن السبيل فسر
لغير قصد ، فما يهديك من هادى

لبث المعتمد بضعة أيام بطنجه وكان بها اذ ذاك الشاعر الحصرى .
الذى سلفت له الإقامة ردحا من الزمن فى بلاط أنبيلية ، فرغ الى المعتمد
مجموعة من الفصائد المقديمة التى سبق أن امتدحه بها ، وان كان من
بينها واحدة مستحدثة يطلب فيها أن يصله بأية صلة رغم معرفته أن
المعتمد لم يعد فى حال تمكنه من وصله بأى عطية . والواقع أن ملك
أنبيلية السابق لم يكن قد تبقى فى يده من ثروته سوى ستة وثلاثين
منغالا كان قد أخفاها فى خفه ، وطبعتها قدماء بدمه ، غير أن ما جبل عليه
المعتمد من الكرم والوجود دفعه للمبادرة الى التنازل عن هذا القدر من المال ،
فوضعه فى كاعده وكتب معه أبياتا يعتذر بها الى « الحصرى » من ضالة
الصلة ، غير أن ذلك الصعلوك الوضيع لم يشكر للمعتمد يده عليه بل
سكت عنه . فلما اتصل خبير هذه العطية بزعانقة شعراء « طنجة »
وما حولها توافدوا على المعتمد زرافات ووحدا نأ يرفعون اليه قصائدهم
يلتمسون نداءه ، الا أنه كان للأسف خالى الوفاض ولم يعد يملك ما يستطيع
أن يرفدهم به فقال (٣) :

شعراء طنجة كلهم والمغرب
ذهبوا من الاغراب أبعد مذهب

سألوا العسير من الأمير وانته
بسؤالهم لأحق ، فاعجب واعجب

لولا الحياء وعزة لخميمة
طى الحشا ، ساواهموا فى المطلب

قد كان ان سئل الندى يجزل ، وان
نادى الصريخ ببابه اركب : يركب

ثم سير به من « طنجة » الى « مكناسة » ، وبينما هو فى الطريق اذا
به يصادف جماعة خارجين للاستسقاء فقال (٤) :

خوجوا ليستسقوا فقلت لهم دمعى ينوب لكم عن الانواء
فالوا : حقيقا فى دموعك مقنع لكنها ممزوجة بدماء .

ظل المعتمد بمكناسة بضعة أشهر (٥) حتى أمر يوسف باستنزاله
الى بلدة « أغمات » (٦) القريبة من مراكش ، وبينما القوم سائرون به .

خاطبه ابنه الرشيد بالآيات التالية ، وكان المعتمد قد رفض رؤية ولده
« بسبب لا ندرية » ، وكان ساخطا عليه :

يا حليف الندى ورب السماح وحبيب النفوس والأرواح
من تمام النعمى على التماحى لمحبة من جبينك الوضاح
قد غنيننا ببشره وسناه عن ضياء الصباح والمصباح
فرد عليه المعتمد بقوله (٧) :

كنت حلف الندى ورب السماح وحبيب النفوس والأرواح
اذ يمينى للبذل يوم العطايا ولقبض الأرواح يوم الكفاح
وشمالى لقبض كل عنان يقحم الخيل فى مجال الرماح
وأنا اليوم رهن أسر وفقر مستباح الحمى ، مهيبض الجناح
لا أجيب الصريخ ان حضر الناس ولا المتقفين يوم السماح
عاد بشرى الذى عهدت عبوسا شغلتنى الأشجان عن أفراح
فالتماحى الى العيون كريبه ولقد كان ترفسة اللماح

حين بلغ المعتمد « أغمات » أخذوه الى السجن حيث عانى به أقى
ضروب الحياة والأمها ، وشغلت الحكومة نفسها بأمره فكانت طورا تقيده
بالسلاسل ، وطورا تطرحها عنه ، ولكنها لم تهتم أبدا بتدبير معاشه ،
ومن ثم فقد قاسى المعتمد هنا هو وأسرته شظف الحياة ، ودفعت الحاجة
زوجيه وبناته لاحتراف صناعة الغزل ليكتسبن من وراثها ما يمسك عليهن
أودهن ، أما هو فقد كان نظم القريض سلواه ، وقد حدث أن أطل من
كوة مطبقه الضيق فأبصر سربا من القطا مسرعا فى طيرانه فقال (٨) :

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى
سوادح لا سجن يعوق ولا كبيل

ولم يك والله المعيسد حسارة
ولكن حنينا أن شكلى لها شكل
فأسرح ، لا شملى صديع ، ولا الحشسا
وجيع ، ولا عيناي يبكيهما نكل
هنيئا لها ان لم يفرق جميعها
ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
وان لم تبت مثلى تطير قلوبها
اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل

لنفسى الى لقيما الحمام تشوف
سواى يحب العيش فى ساقه حجل
الاعصم الله القطا فى فراخها
فان فراخى خانها الماء والظل

كان المعتمد يصور فى قصائده ماضيه الأئيل وقصوره الرائعة التى
شهدت جوانبها سعادته ، وبكى فى هذه الأشعار أولاده الذين اغتالتهم يد
القتل ، وقده نظم فى عيد الفطر الأبيات التالية (٩) :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
فساءك العيد فى أغمات مأسورا

ترى بناتك فى الأطمبار جائعة
يغزلن للناس ، ما يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة
أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطان فى الطين والأقدام عارية
كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

لا خد الا تشكى الجذب ظاهره
وليس الآمع الأنفاس مطورا

أفطرت فى العيد لاعادت إساءته
فكان فطرك للأكباد تفتيرا

قد كان دهرك - ان تأمره - ممتثلا
فردك الدهر منهيا ومأمورا

من بات بمدك فى ملك يسر به
فانما بات بالأحلام مغرورا

لم تكن رميكية التعيسة قد خلفت لمكابدة هذه الحياة القاسية الجافة
فاستدت بها العلة حتى خيف عليها ، وجزع المعتمد عليها جزعا بالغا اذ
لم يكن بأغمات من يجرؤ على الاقدام على معالجتها ، غير أن حسن طالعها
قيض له أن يكون بمراكش فى ذلك الجين أبو العلاء بن زهر (١٠)
« الطبيب المعروف الذى كان المعتمد قد اتخذه فى أخريات سنه - قبل
ثل عرشه - طبيبه الخاص ، وكان المعتمد قد نزع منه أملاك أسرته (١١)
فردها عليه المعتمد ، ومن ثم كتب اليه المعتمد يرجوه القيام بعلاج الرميكية

مما ألم بها فوعده ابن زهر بالمجىء ، ودعى فى كتابه اليه بطول البقاء
والأجل ، فكتب اليه المعتمد ينكره ويقول :

دعا لى بالبقاء ، وكيف يهوى اسير أن يطول به البقاء
أليس الموت أروح من حياة يطول على الشقى بها الشقاء
الرغب أن أعيش أرى بنانى عوارى قد أضر بها الحفاء ؟
حوادم بنت (١٢) من قد كان أعلى مراتبه - اذا أبدو (١٣) - النداء
وطرد الناس بين يدى ممرى وكفهمو ، اذا غص الغناء
وركض عن يمين أو شمال لنظم الجيش ان رفع اللواء
يعنيه أمام أو وراء اذا اختل الأمام او السوراء
ولكن الضمير اذا دعاه ضمير خالص ، نفع الدعاء
جزيت أبا العلاء جزاء بر نوى برا ، وصاحبك العلاء (١٤)

ولعل المعتمد كان يجد بعض العزاء والسلوى لنفسه فيما يجيئه من
كتب الشعراء وفى زيارات من غمرهم احسانه من قبل وسخت عليهم
يداه ، وكان الكنيرون منهم قد رحلوا الى « أغمات » ، ومن بينهم « محمد
الحجارى » الذى كان قد قال فى المعتمد شعرا نفعه من أجله قدرا كبيرا من
المال استطاع به أن يفتح متجرا در عليه أخلاف النعم ، وتقيا بسببه ظل
الرفاهية ، وقد اعترف المعتمد له بخطئه الجسيم اذ استدعى يوسف الى
بلاد الأندلس ، وكان مما قاله له : « أنا الجانى على نفسى ، والحافر بيدي
رمى » .

ولما جاء هذا الشاعر الى وداعه وهو يتأهب للعودة الى « المرية »
حيث يقيم أنكر المعتمد على نفسه أن يدعه يرحل دون أن يوصله بشيء ما وان
صغر ، غير أن رقة نفس الحجارى حملته على رد هديته وارتجل أمامه هذين
البيتين (١٥) :

آليت لا أقبل احسانكم والمدهر فيما قد عراكم مسمى
ففى الذى أسلفتموا غنية وان يكن عندكم قد نسى

غير أن ابن اللبانة (١٦) كان أشده أصدقائه اخلاصا له وتعلقا به .

فقد قدم ابن اللبانة ذات مرة الى « أغمات » يبشر المعتمد بثورة أهل
الأندلس وإتفاق الوطنيين منهم على القيام بمؤامرة لتقويض أركان حكم
يوسب الذى لم يحبوه أبدا ، وأفضى ابن اللبانة الى المعتمد بأن القوم يدبرون
احلال المعتمد مكان يوسف على العرش (١٧) . وكان حفا ما ذكره الشاعر
فقله اشتد تبرم الطبقات المستنيرة بالحكومة واشتد سخط الناس عليها ،
لكن الحكومة لم يخف عليها ما دبره الناس فأخذت حذرهما واحتاطت

لنفسها ، اذ ألقت القبض على رعييل كبير ممن يساورها الشك فيهم لاسيما في « مالقة » - الا أن المتأمرين من أهلها - وعلى رأسهم ابن خلف الوطني الكبير - اغتتموا فرصة الظلام وفرروا من السجن وانطلقوا الى حصن « منت ميور » (١٨) فاحتلوه وسرعان ما انضم اليهم عبد الجبار - أحد أولاد المعتمد - الذي بقى بالأندلس مع أمه ، وكان الناس يظنونهم الراضى قتيل « رندة » فسودوه عليهم ، وسارت الأمور وفق ما يشتهون ، ففقد جنحت سفينة حربية مغربية الى جوار الحصن فاستولى أهل الحصن وأخذوا ما بها من الذخيرة والمثونة والسلاح ، وانضمت اليهم فى تمردهم هذا : « الجزيرة الخضراء » و « أزكش » التى ذهب اليها عبد الجبار سنة ١٠٩٥ م [= ٤٨٨ هـ] وسُن منها عدة غارات حتى بلغ أبواب عاصمة مملكة أسلافه القديمة (١٩) .

ما أن سمع المعتمد نبأ ثورة ابنه حتى اشتد به الحزن اذ أقلقه خطورة المشروع الذى هو مقدم عليه وخاف أن يلقي عبد الجبار من المصير المنكود ما لقيه معظم أولاده ، الا أن الأمل سرعان ما حل بفؤاده فاستشف من حجب الغيب امكان عودته الى بلده واستعادته عرشه (٢٠) ولم يكتفم التصريح بهذا أمام أصدقائه ، من ذلك مثلا ما كنبه الى الشاعر ابن حمديس الذى كان قد عاد الى المهديّة بعد زيارة قام بها الى المعتمد ، فقد بعث اليه بقصيدة استهلها بقوله (٢١) :

غريب بأرض المغربين أسير سيبيكى عليه منبر وسرير
وفيهما يقول :

مضى زمن والملك مستأنس به
وأصبح منه اليوم وهو نفور
فيا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
أمامى وخلفى روضة وغدير ؟
بمنبئة الزيتون مورثة العلا
تغنى حمام أو ترن طيور

وأحیی ابن اللبانة ميت الآمال فى نفس المعتمد ، فلما كانت الليلة التى اعتزم فى غداتها العودة الى الأندلس جاءه منه عشرون مثقالا وثوبان ، فرد الشاعر اليه هديته وقال له (٢٢) :

رويدك سوف توسعنى سرورا اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى غداة تحل فى تلك القصور

تزيد على ابن مروان عطفاً . بها ، وأنيب ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع فليس الخسف ملتزم البذور

وعاد المعتمد يرسف قى الأغلل بأمر يوسف اذ :

رأوه ليتنا فخافوا منه عاديه عذرنهم ، فلعدوى الليت عادات

ومع ذلك فلم يزل المعتمد يعيش وفى قلبه الأمل الريان الذى كان
هناك من يعمل على ايراقه واذكائه ، وذلك لكثرة عديده أنصار عبد الجبار ،
أولئك الأنصار الذين أقلقوا بال الحكومة أشد القلق ، وقد استطاع هذا
الحزب أن يبقى أكثر من عامين ، بل ان هذا الحزب ذاته لم يسقط الا بعد
أن قبض الموت المعتمد بعد علة طويلة لازمته وأضعفت (٢٣) قواه سنة
١٠٩٥ م [= ربيع الأول سنة ٤٨٨] ، وكان اذ ذاك فى الخمسين من
عمره (٢٤) .

دفن ملك أشبيلية الراحل فى مقبرة « أغمات » ، وحدث فيما بعد
فى أحد أعياد القطر أن قدم الشاعر الأندلسى ابن عبد الصمد ططاف بغيره
سبع مرات طواف الحجيج بمكة ، ثم ركب وقبل الأرض التى ثوى تحتها
جثمان المحسن اليه وأنشد مرثيته فيه ، فتأثر الناس بعمله وفعلوا فعله
وهم سيكون (٢٥) .

ويقول أحد مؤرخى (٢٦) القرن الثالث عشر : « رزق المعتمد من
الناس حيا ورحمة ، فهم ييكونه الى اليوم » . والواقع أن المعتمد كان
أذيع أمراء لاندلس صيتا وأنبهم ذكرا ، لأن كرمه وشجاعته وبطولته
كانت هذه كلها كفيلا برفعه فى أعين المتحضرين الذين جاءوا بعد جيله ،
كما حزن لمصيره المنكود من رقت قلوبهم فعطفوا عليه وشجاهم خطبه .
أما العامة فقد أكبرت فيه مخاطراته المستعذبة .

واذ كان المعتمد شاعرا فحلا فقد أحبه البدو الذين يؤهلهم امتلاكهم
ناصية اللغة ومعرفتهم بجيد الشعر لأن يكونوا أصلق حكما من أهل
المدن وأولى منهم بالفصل فى هذه الناحية . ودونك ما يرويه الناس
بصدد هذه المسألة ، ذلك أنه فى إحدى السنوات الأولى من القرن الثانى
عشر كان أحد أهالى أشبيلية يضرب فى الصحراء ووصل الى خيام بدو
من اللخمين فاقرب من إحدى خيامهم وطلب القرى من شيخهم الذى قرت
نفسه اذ يمارس إحدى الفضائل التى تقدرها أمته كل التقدير ، فحبا
الضيف بكرمه وعطفه ، ومضى على المسافر يومان أو ثلاثة وهو مقيم بين
اللخمين ، ثم كانت ليلة عز فيها النوم عليه فخرج من الخباء يسنروح
نسيم الليل .

كانت الليلة رائعة فاتنة ، وهبت الأنسام علية فهدأت من جيشان
نفسه ، وكان القمر فى قبة السماء الصافية الزرقة ، المرصعة بالنجوم ،
وهو وانى الحركة فى كبرياء ويرسل أشعته فىضى الصحراء الجلييلة التى
أشرفت نواحيها كأنها المرأة المصقولة ٠٠٠ والصحراء أكمل ما تكون صورة
للصمت والهدوء ، فذكر هذا المنظر الطارق الأشبيللى بقصيدة كان قد
نظمها مولاه القديم فراح ينشدها وفيها يقول :

ولقد شربت الراح يسطع نورها والليل قد مد الظلام رواء
حتى تبدى البدر فى جوزائه ملكا تنهى بهجة وبهاء
لما أراد تنزها فى غربة جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه لالأوها فاستكمل الألاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله رفعت نريها عليه لواء
وحبيبة فى الأرض بين مواكب وكواعب جمعت سنا وسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا ملأت لنا هذى الكؤوس ضياء
وإذا تغنت هذه فى مزهر لم تال تلك على الزمان عناء (٢٧)

ثم راح الأشبيللى ينشده غيرها أطول منها كان المعتمد قد نظمها
لصرف ما فى نفس أبيه من الغضب الشديد عليه لهزيمته هو وجيشه فى
مأثرة بسبب اهماله .

ما كان الأشبيللى يفرغ من انشاده شعر المعتمد حتى رفع ستار الخيمة
التى يجلس مأمها ويرز اليه رجل ليس فيه الا ما يوحى بأنه شيخ قبيلته
وكذا منظره الوقور وقال له فى لهجة فصيحة سليمة العبارة مما عرف
به البدو .

« يا حضرى : حياك الله ، لمن هذا الكلام الذى اعذوذب مورده ،
واخضل منبته ، وتحلت بقلاده الحلاوة بكره ، وهدر بشقشقة الجزالة
شعره ؟ » .

فأجابه : هو الملك من ملوك الأندلس يعرف بابن عماد !!
فقال الشيخ : أظن أن هذا الملك لم يكن له من الملك الا حظ يسير
ونصيب حقير ، فمثل هذا الشعر لا يقوله من شغل بشيء دونه !!

فقال الأشبيللى : لقد عظمت رياسته ، واتسعت رقعته .

فسأله الشيخ : وممن الملك أن كنت تعلم ؟

فرد عليه قائلا : هو فى الصميم من لخم ، وفى الذؤابة من يعرب .

فسأله الشيخ : أتقول من لخم ٠٠٠ ويحك فلخم قبيلى ؟ » .

واستبدت النشوة بالشيخ أن يجد لقبيلته مجدا جديدا، يضيفه الى أمجادها القديمة ونادى بأعلى صوته نداء أيقظ الهاجع من هجته ، ثم قال لقومه : « هلموا . . . هلموا » .

وسرعان ما وثب الجميع على أقدامهم ، وتبادروا اليه ، فلما رأهم شيخهم قال لهم : « يامعشر قومي ، اسمعوا ما سمعته ، وعوا ما وعيته . . . فانه لفخر لكم ، وشرف تلاصق بكم » .

ثم التفت الى الأشبيلي وقال له : « يا حضري . . . أنشد كلمة ابن عمنا » .

فاستجاب الأشبيلي لرغبة الشيخ وطرب جميع البدو من سماع هذا الشعر طرب شيخهم به ، ثم قص عليهم شيخهم ما سمعه من هذا الغريب . عن أصل بنى عباد وحلفائهم وأقاربهم منذ أن نجموا من القبيلة ، فكانوا أسرة لخمية تذرع الصحراء بقطعانها ، ثم ضربت خيائها فى البقعة الرملية التى تفصل مصر عن بلاد الشام ، ثم حدثهم بعدئذ عن المعتمد الشاعر المفلح . والفارس البهمة وملك أشبيلية القوى ، فلما فرغ الرجل من حديثه طفى عليهم السرور وداخلتهم العزة والكبرياء ، وركبوا من فرحتهم متسون خيولهم وجعلوا يتلاعبون عليها بقية الليل حتى شف الصباح ، وحينذاك عمد الشيخ الى عشرين من أحسن ابله دفعها هدية للطارق الغريب ، وحذا الجميع حذوه ، كل حسب قدرته ، فما كان رآد الضحى الا وعند الأشبيلي مائة بعير ، وبعد أن بالغ القوم فى تعظيمه ومجاملته واكرامه كادوا أن يأبوا عليه أن يغادروهم حتى ينشد أشعار الملك السابق الذى سموه بابن عمهم وخلطوه بأنفسهم (٢٨) .

وبعد ذلك بقرنين ونصف قرن من الزمان وقد استحوطت أسبانيا الشكاسة الى بلد متعصب حدث أن خرج أحد الحجاج حاملا عصاه ومسبخته، وعبر مملكة مراكش للقاء نساكها وزيارة الأماكن المقدسة بها .

أما هذا الحاج فهو « ابن الخطيب » كبير وزراء غرناطة الذى ما كاد يصل الى بلدة « أغمات » الصغيرة حتى اتجه الى مقبرتها حيث يرقد المعتمد وزوجته تحت أكمة علاها شجر العناب ، فلما أبصر ابن الخطيب قبريهما وقد بانث عليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول لم يستطع أن يمسك دمه ، وارتجل هذه الأبيات :

قد زرت قبرك عن طوع بأغمات

وأيت ذلك من أولى المهمات

لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا
ويا سراج الليالي المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه
الى حياتى لجادت فيه أيباتى
أناف قبرك فى هضب يميزه
فتحته كم حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا ، واشتهرت علا ،
فأنت سلطان أحياء وأموات
ما كان مثلك فى ماض ، ومعتقدى
أن لن يرى الدهر فى حال ولا آتى (٢٩)

★ ★ ★

حواشي الفصل الأول

(١) كانت المييرة حتى ذلك الوقت عاصمة هذه الولاية ، غير أن ما أصابها من جراء الحروب الأهلية دفع أهلها للهجرة منها والتماس سبل الحياة في غرناطة سنة ١٠١٠ م (= ٤٠٢/٤٠١ هـ) .

(٢) راجع ابن حيان في الذخيرة ، ج ١ ورقة ١٥٧ ، ب ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٩٤ - ١٩٦ ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٤٢-٤٣ ، وترجمته ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ورقة ١٢٩ ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٤-١٢٥ ، ١٩٦ .
Abbad., t. II, p. 32, 208.

Dozy : Abbad., t. I, p. 221. (٤)

(٥) راجع ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٩٥ .
Abbad., t. I, p. 220; Cf. aussi Caussin de Perceval : Essai sur l'histoire des Arabes avant l'istami me, t. II, p. 212, 422.

(٦) كان « عباد » هو الجد الرابع لاسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد .

(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٩٢ ، ١٩٤ .
Abbad., t. I, pp. 220, 381 et suiv. et t. II, p. 173.

Cf. Abbad., t. I, p. 221. (٨)

(٩) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٦٥ ، وترجمته ص ٧٩ - ٨٠ .
Abbad., t. I, p. 22.

Abbad., t. I, p. 22. (١٠)

(١١) جرت عادة الاسبان والبرتغاليين علي ابدال حروف « الحاء » العربي بحرف «^{هـ}» اللاتيني ، انظر في ذلك : Dozy : Glossaire sur Ibn Idhari, p. 23.

وتحب أن نشير هنا الى انه يوجد على ضفة الراين اليمنى وعلى مقربة من « كوب »
حصنان هما حصن ليينشتين Liebenstein وحصن شتيرن بيرنج Sternberg
ويسمان بالآخرين Die Brüder

(١٢) ورد خبر فتح « بازو » على يد موسى بن نصير في المغربى : فتح الطيب ج ١ ، ص ١٧٤ .

(١٢) الطاهر أن « سيسناد » Sisenand الذى يشير اليه راهب « سيلوس » فى حولياته Chron du moine de Silos, c. 90. والذى أصبح حاكم « قنبرة » بعد أن ترك العمل فى بلاط المعتضد الى بلاط « فرديناند » الاول أقول الطاهر أنه كان أحد نصارى حصنى الاخوين ..

(١٤) Abbad., t. I, p. 7. ويروى المؤرخ العربى هذه القصة فى معرض حديثه عن المعتضد بن القاضى ، وهذا وهم منه .

(١٥) انظر فى ذلك Dozy : Abbad., t. II, p. 216. أما المؤرخ المسلم ابن خلدون فيخطئ اذ يذكر فى هذا المجال المعتضد بدلا من أبيه القاضى .

(١٦) ذهب الزبيدي أولا الى القيروان ، ثم مضى منها الى المرية حيث أصبح قاضى

الجماعة بها ، انظر : Dozy : Abbad., t. I, p. 234, note 49.

(١٧) Dozy : op. cit., p. 223.

(١٨) راجع فى ذلك Dozy : Abbad., t. I, p. 223-225. ويورد ابن خلدون ايضا فى نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٦ ، بعضا من هذه الحوادث ، لكنه يخطئ فيضع اسم « المعتضد » بدلا من اسم أبيه القاضى .

(١٩) راجع ابن حيان فى الذخيرة ، ج ١ ، ورقة ١٨١ - ب ، ١٨٢ .

(٢٠) راجع عبد الواحد المراكشى . المعجب ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، وترجمته ص ٤٥-٤٦ .

Dozy : Abbad, t. I, p. 222.

Abbad., t. II, pp. 127, 128. (٢١)

Ibid., t. II, p. 34. (٢٢)

Ibid., t. I, p. 222 ; t. II, p. 34. (٢٣)

Abbad., t. II, p. 34. (٢٤)

(٢٥) راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، وكذلك : Abbad t. I, p. 222.

(٢٦) راجع ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ١٨١ ، ب .

Abbad., t. II, p. 34. (٢٧)

(٢٨) Ibid., t. I, p. 222; t. II, p. 34. وهناك فريق من المؤرخين يزعمون أن

يحيى مات سنة ٤٢٧ هـ ، على حين يذهب غيرهم للقول بأنه مات عام ٤٢٩ هـ ، ويتضح لنا من رواية ابن حيان أن القول الأول أصح القولين ، ذلك أن هذا المؤرخ - وقد نقل ذلك عنه ابن عذارى فى البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٨٨-١٨٩ ، ٩١-٩٠-٩١ Abbad., t. II, pp. 80-91-

يذكر العبارات الخاصة التى قالها جندى من جنود البربر هو أبو الفتوح (أو أبو الفتح) البرزالي الذى كان بين جماعة عادت الى اشبيلية فى عيد اضحى سنة ٤٢٦ هـ ، وقد خرج فى « الحرم من سنة سبع وعشرين وأربعمائة » واشترك فى الحرب التى شنها

جند أشبيلية ضد يحيى قرب أسوار « قرمونة » ، وقد انتهت هذه الواقعة بقتل يحيى ، وعلى هذا لاساس لا يوجد شك في السنة بل ولا في الشهر الذي مات فيه هذا الأمير ، ولكننا لسنا واثقين من اليوم الذي مات فيه . غير أن عبد الواحد المراكشي يقول « كان ذلك يوم الأحد لسبع مررن من محرم أعمى في اليوم الثامن منه سنة ٤٢٧ هـ ، وهذا اليوم الثامن هو يوم الثلاثاء وليس يوم الأحد . أضف الى هذا أن رواية ابن حيان تذهب للقول بأن هشاماً التانى بويج خليفة من جديد بقرطبة « في شهر المحرم سنة ٤٢٩ هـ . أما ابن الأثير (كما هو وارد في 0. 34, t. II, p. 34) فيقول « كان ذلك في شهر المحرم ٤٢٧ هـ » وذلك لأن جهور رضى بهذا مخالفة أن يهاجمه يحيى (انظر Abbad t. I, p. 222) ومن ثم كان من الضروري أن يكون قد قام بذلك قبل موت هذا الأمير . وقد أخطأ ابن خلدون خطأ كبيراً في كلامه عن الدور الذي لعبه محمد بن عبد الله أثناء هذه الحقبة » .

(٢٩) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ، ورقة ١٨١ ، ١٨٢ ، وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٨٨-١٨٩ ، وعبد الواحد المراكشي . المعجب ، ص ٣٨ ، ٤٣ ، وترجمته ص ٤٦ ، ٥٣ ، وانظر أيضا الحاشية السابقة وكذلك بـ : Dozy , Abbad., t. II, p. 33.

(٣٠) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٤٣ ، ٤٥ ، وترجمته ص ٥٣ ، ٥٥ .

(٣١) راجع ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .

(٣٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٤ ، وانظر الكتاب الذي بعثه « زمير » الى اهل قرطبة ، وهو من تأليف وزيره ابن عباس .

Abbad., t. II, p. 34.

(٢٣)

حواشى الفصل الثانى

Munk (Journ. Asiat., IV eme serie), t. XVI, pp. 203; 205 ; H. (١)
 Graetz : Les Juifs d'Espangne, trad., G. Sterne, Paris 1872, p.
 129 et : uiv.

Cronica de Moro Rasis, p. 38 ; Cf. Ency. of Islam, t. II, 187. (٢)

(٣) راجع ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ورقة ١١٢٢ .

Dozy : Introd. à la Chronique d'Ibn Adhari, p. 97. (٤)

Ibid., pp. 96, 97. (٥)

Cf. Journ. A iat, loc. cit., p. 309 dans la note. (٦)

وقد زاد الشاعر فى مدحه زيادة أخرجه عن جادة الاسلام ، فشبّه كفيه - معاذ
 الله - بالركن ، ثم لج فقال بيتا يباعد بينه وبين الحنيفية ، وما تحسب ما قاله هذا الشاعر
 فى مدح صمويل الا مدسوسا عليه .

Journ. Asiat., loc. cit., pp. 222-224. (٧)

Ibid., p. 209. (٨)

Dozy : Introd. a la Chronique d'Ibn Adhari, pp. 96, 97. (٩)

Journ. Asiat., loc. cit., p. 212, note I. (١٠) لذكر موسى بن عزرا فى

أن اسمه هو ابن أبى موسى ، وفى الواقع أن هذا هو الاسم الذى يخلعه الحميدى على
 ابن بقتة .

Abbad., t. II, p. 34. (١١)

(١٢) كان من بين الأسرى ابن حزم وابن الباجى صاحب ديوان الرسائل وغيرهما ،
 راجع ابن بسام : الذخيرة ، طبعة جامعة القاهرة ، القسم الأول ، المجلد الثانى ،
 ص ١٧٠ ، وحاشية رقم ١٤ - (المترجم) .

(١٣) فيما يتعلق بهذه الأحداث راجع ما ورد عن ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ،
 ج ١ ص ١٧١ - ١٧٥ (وفى طبعة جامعة القاهرة ، ص ١٦٦-١٨٠) ، وابن الخطيب :
 الاحاطة ، ج ١ ، ص ٣٢٧-٣٢٩ مادة : « زهير » ، ص ١٧٩-١٢٢ ، مادة : « أبو جعفر
 أحمد بن عباس الانصارى » . وانظر ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٦٨ وما
 بعدها ، والمقرئ : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، Abbad., t. II, p. 34.

(١٤) انظر ما نقله موتك عن ابن عذارى فى الجريدة الآسيوية ، ص ٢١٢ ، وفى
 هذه العبارة يجب أن نقرأ كلمة « انشد » بضم الهمزة وكسر الشين ، أى مبنية للمجهول
 كما فعل موتك .

حواشي الفصل الثالث

(١) Dozy Recherches, 3eme ed., t. I, p. 241.

(٢) Abbad., t. I, p. 51.

(٣) فيما يتعلق بابي الفتح راجع مقالة ابن الخطيب في الاحاطة ، ج ١ ص ٢٨٥-٢٨٧ ، وفيها ما ذكره السيوطي في بنية الروعاة والجميدى . راجع أيضا ما كتبه الضبي على بنية الملتمس (طبعة كودرا) عن مجاهد ، ص ٤٥٧-٤٥٩ ، رقم ١٢٧٩ .

(٤) راجع الاحاطة ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٥) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٤٤ ، ٦٥ ، وترجمته ص ٥٤ ، ٦٠ . وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٠٢ ، وابن الخطيب : الاحاطة ، نسس الجزء والصفحة ، و . Dozy : Abbad., t. II, pp. 33, 34, 207, 217.

(٦) راجع الاحاطة لابن الخطيب ، ج ١ ، ص ٢٨٧-٢٨٨ .

حواشى الفصل الرابع

- (١) ورد هذا التارخ فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ٢٢٤ .
- (٢) ويسميه عبد الواحد المراكشى فى المعجب ، ص ٤٧ ، وترجمته ص ٥٧ بموسى بن عفان السبتي .
- (٣) لم يعد لهذه الناحية اليوم وجود فقد اندثرت ، واندثرت معالمها .
- (٤) هكذا اوردته دوزى فى الاصل الفرنسى ، وقد ورد بهذا الرسم ايضا فى ابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٣ ، لكن عبد الواحد المراكشى يسميه « سكات » فى المعجب ، طبعة مصر ، ص ٤٥ - (المترجم) .
- (٥) يزعم ابن خلدون انه ذهب بعد ذلك الى « كمارهن » واحسب ان الحميدى اولى بالتصديق منه .
- (٦) فيما يتعلق بهذا الوزير راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ص ٢٦٧ مادة ، « بلجين بن باديس » .
- (٧) فيما يتعلق بالاحداث الواردة فى هذا الفصل راجع على الاخص ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢١٦-٢١٧ ، ٢٨٩-٢٩٢ ، وانظر ايضا عبد الوهاب المراكشى : المعجب ، ص ٤٥-٤٩ وترجمته ، ص ٥٤-٦٠ ، وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ١٥٤-١٥٥ . والمقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ص ١٣٢ ، ٢٨٢-٢٨٤ .

حواشى الفصل الخامس

- (١) Dozy Abbad., t. I, p. 245, t. I, p. 48.
- (٢) Abbad., t. I, p. 245. وابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .
- (٣) Abbad., t. I, p. 243.
- (٤) Abbad, op. cit., loc. cit. ، وانظر قصيدة المعتضد فى نفس المرجع .
ص ٥٢ .
- (٥) Abbad., t. I, p. 244.
- (٦) Abbad., t. I, p. 243.
- (٧) هذه القصة وأردة فى عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٦٨-٧٠ ، وترجمته
ص ٨٣-٨٥ .
- (٨) راجع عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٦٧ - ٦٨ ، وترجمته ص ٨٢-٨٣ .
- (٩) Abbad., t. I, p. 243-244. ، وابن عبد الواحد المراكشى . المعجب .
ص ٦٧ ، وترجمته ص ٨٢ ، وابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ص ١٠٩ ب ، وابن عذارى :
البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٩ ب ، وابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٠٦ .
- (١٠) Abbad., t. II, p. 52.

حواشي الفصل السادس

Abbad., t. I, p. 242. (١)

Ibid., t. I, p. 251 ; t. II, p. 60. (٢)

Ibid., t. II, p. 209, 216. (٣)

(٤) ابن حيان في ابن بسام : الذخيرة ، مجلد ١ ، ورقة ١١٠٩ ، هذا وقد ورد نفس الكلام في ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ ، أما ابن خلدون (كما ورد في Abbad., t. II, p. 217. فيسمى هذا الأمير يعبد العزيز ، ويلاحظ أنه في القطعة الواردة في ذيل الجزء الثالث من البيان المغرب ، ص ٢١٢ يقول كاتبها أن خليفة محمد القرموني هو ولده « عزيز » ، وقد تم لأخيه أسحق الأمر .

Abbad., t. II, p. 211. (٥)

(٦) المقصود بذلك المعتضد صاحب أشبيلية .

Abbad., t. I, p. 247-8. (٧)

(٨) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، مجلد ١ ورقة ١٠٨ ب - ١١٠٩ ، وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ . وراجع أيضا قصيدة ابن زيدون الواردة في الذخيرة ، ج ١ ص ٩٩ .

Abbad., t. I, pp. 248-249. (٩)

Ibid., t. I, p. 252. (١٠)

(١١) Ibid, t. I, pp. 252-253. ، وراجع أيضا ابن الأبار في : Dozy : Recherches, 1ere ed., t. I, p. 286.

(١٢) راجع ابن الأبار . الحلة السرياء ، ص ٥١-٥٠ .

(١٣) راجع ابن بسام : الذخيرة ، ج ٢ ، مادة « ابن عمار » .

(١٤) حفظ ابن خاقان لنا في كتابه « قلائد العقيان » (طبعة باريس ، ١٨٦٤ ،

ص ٢٠٧) صورة كتاب منسوب لأبي محمد بن عبد البر عن أخذ « شلب » ويزعم ابن خاقان أن ابن عبد البر قد كتب هذه الرسالة إلى المعتضد بأمر الموفق أبي الجيش ، ويقصد به « مجاهد » أمير « دانية » . غير أن مجاهدًا هذا مات سنة ٤٣٦ هـ ، على حين أن الاستيلاء على « شلب » ثم سنة ٤٤٢ هـ ، أو في السنة التالية لها ، ومن ثم فيجب أخذ هذا الخطأ في الاعتبار فيما يورده ابن خاقان ، وليس هناك شك في تاريخ الاستيلاء على « شلب » وأنه قد تم بعد فتح « لبلة » و « ولبة » سنة ٤٤٣ هـ ، أنظر في ذلك :

Abbad., t. I, p. 252, et cf. II, p. 210). =

= وقبل فتح شنت مرية سنة ٤٤٤ هـ ، انظر في ذلك السطر الأخير من صفحة ٢١٠ من الجزء الثاني من المرجع السابق ، وكذلك ص ١٢٢ ، ومن ثم فإن المعتمد الذي لم يولد إلا سنة ٤٢١ هـ لم يكن قادرا على قيادة جيش أبيه قبل سنة ٤٢٦ هـ ، وهي السنة التي مات فيها مجاهد ، وعلى هذا الأساس يجب أن نقول أن ابن خاقان لا بد أنه كان يقصد عليا خليفة مجاهدا وابنه أو أميرا آخر سواه .

(١٥) راجع Abbad., t. II, pp. 123, 210, 211. والملحق الوارد في البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، أما التاريخ الذي يذكره ابن خلدون فهو تاريخ مغلوط ، ويرجع عليه ما نكره ابن الأبار .

(١٦) هؤلاء الأمراء الثلاثة الذين يتشير إليهم المؤلف دوزى في المتن هم ابو ذورة بن أبي قرة ، ومحمد بن نوح الدمري ، وعبدون بن خزون .

(١٧) راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٧١ ، وقد مات بمثل هذه الطريقة كثير من الخصيان وحرس أحد الأمراء الأغلبية ، راجع أيضا نفس المرجع ، ج ١ ص ١٢٧ وترجمته ص ١٧٨ .

Abbad., t. II, p. 14. (١٨)

(١٩) وردت خلاصة هذه الحوادث في فقرة لابن بسام ذكرها المؤلف « دوزى » في : Abbad., t. I, pp. 250-251. مع ورود بعض أخطاء تافهة ، كذلك يذكر النويرى (انظر Abbad., t. II, pp. 129-130. بضع حقائق هامة تتعلق بهذا الموضوع ، غير أنه أخطأ إذ قال « قرعونة » بدلا من « رندة » . وان ما يرويها ابن خلدون (شرحه ، ج ٢ ص ٢١٠ ، ٢١٤-٢١٥) من الروايات ليظهر فيه الاضطراب وعدم الثبات لاسيما فيما يتعلق بالاسماء والتواريخ . انظر أيضا ابن خلدون في مقدمة كتاب البيان المغرب لابن عذارى ، ص ٨٦ ، وابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٢٠) Abbad., t. I, p. 248. ويلاحظ أن البيتين الأولين واردة في المقرئ ، على حين اقتصر ابن عذارى في بيانه المغرب على ذكر البيت الأول وحده .

حواشى الفصل السابع

(١) انظر ابن حيان فى مقدمة تاريخ ابن عذارى ، ص ٨٦ - ٨٨ ، وابن الخطيب :
الاحاطة ، ج ١ ص ٢٧٠-٢٧١ .

Abbad., t. II, p. 210. (٢)

(٣) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٨٠ من الاصل (= ص ٧١ من الطبعة
المصرية) وابن خاقان : قلاند العقيان (طبعة باريس) ١٨٦٤ ، ص ٩٨-١٠٠ ، مادة
« ابن عمار » .

Abbad., t. II, p. 210. (٤)

(٥) Abbad., t. I, p. 249, t. II, p. 207. وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ،
ص ٢٣١ ، ٢٤٣ ، وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

(٦) Abbad., t. I, p. 250; t. II, p. 6. وعبد الواحد المراكشى : ص ٦٦ ،
وقد أخطأ هذا المؤلف فى ذكر التواريخ .

(٧) هذا التاريخ مطابق لما جاء فى مخطوطة « جيانجوس » فى عبارة لابن حيان ،
انظر نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

(٨) يمكن للقارئ مراجعة ما يتعلق بمؤامرة اسماعيل بن عباد فى دوزى
Dozy : Abbad., t. I, pp. 253-259. وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ،
ص ٢٤٤ وما يليها . ونزيد على ما أورده المؤلف بأن المعتضد حاول أن يبرر قتله لولده ،
وذلك فى كتاب طويل .

Abbad., t. I, pp. 51-54, 301-302; t. II, pp. 60, 63-65. (٩)

وراجع أيضا ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٨٣-٢٨٥ .

Journ. Asiat., IV eme serie, t. XVI, pp. 210-217, 220. (١٠)

ودوزى فى مقدمته لابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٩٩-١٠٢ وابن الخطيب :
الاحاطة ، ص ٢٧٢-٢٧٣ ، وانظر أيضا :

Dozy : Recherches, 3eme ed., t. I, p. 282 eq.

والمحقق به رقم ٢٦ ، ص ٥١-٥٨ وما قاله ابن الخطيب عن الشاعر اسحق الايبيرى
فى الاحاطة . كذلك توجد مادة جديدة كل الجدة فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ٢٠٠ ب -

٢٠١ ب ، وراجع أيضا ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٦٤-٢٦٦ .

حواشي الفصل الثامن

(١) Chronique du moine de Silos (Espagna Sagrada) t. XVII.
c. 91-93, cf. Cron. Compestellanum (Ibid., t. XXIII), p. 327.

(٢) يسميه اسقف سيلوس بـ "Grandaevus"

Dozy : Recherches, 3^{eme} ed., t. I, p. 104 et note I. (٣)

(٤) أورد Abbad., t. II, p. 152-153 قصيدة للمعتضد تبين مدى إيمانه ، ويصور فيها الناس وقت ذهابهم لصلاة الصبح يقول فيها :

اشرب على نور الصباح وانظر الى نور الافاح
واعلم بانك جـاهل ما لم تصل بالاصباح

(٥) خبر هذه الوفاة وارد في حواشي أسقف سيلوس ، في :
Esp. Sagr., t. XVII, c. 95-100.

(٦) Chron. du moine du Silos, c. 87, 90, Cron. Complutence
(Esp. Sagr., t. XXIII,) p. 317-318.

أما فيما يتعلق بتاريخ الاستيلاء على « قنيرة » فراجع :
Ribeiro : Dissertações Chronologicas e critica.

(٧) فيما يتعلق بهذه الواقعة راجع ابن بسام : الذخيرة (الصفحة الأخيرة من مخطوطة جوتة) ، وابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٥٢-٢٥٣ ، والمقرئ ، نوح الطيب ، ج ١ ص ١١١ ، ج ٢ ص ٧٤٨ - ٧٤٩ .

(٨) انظر ما جاء به دوذي في :
Op. cit., t. II, pp. 335-353.

حيث يحاول البرهنة على أن تيادة هذه الصلة كانت موكولة الى الفارس النرمندي ، ولين دي مونتريل ، الذي ذهب الى ايطاليا حوالي منتصف القرن الحادي عشر وانخرط في خدمة البابوات ، ثم أصبح قائدا عاما للقوات الرومانية ، وتبعاً لما يذكره « ابييه » أسقف مونت كازينو في كتابه

L'histoire de li normant, L. I, cap. 3-3, ed. Champeillon

فان القائد كان « روبرت كرسبين » الذي جمع مسيو هرش بعض التفاصيل عنه في
Forschungen zur Deutsche Geschichte, t. VII, pp. 202-203. كتابه :

لكن لو كان هذا الاستنصاء صحيحاً فانا لا نستطيع تفسير لقب « قائد فرسان رومة » الذي يخلده ابن حبان - وقوله حجة - على القائد المنار اليه والذي يطابق تمام الانطباق على « ولين دي مونتريل » وليس على « روبرت كرسبين » ، ويمكن للقارئ بالاضافة الى المراجع العربية المذكورة في : Dozy Recherches عن مسألة الاستيلاء على « بويسترو » أن يراجع أيضاً ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ وما بعدها ، وكذلك مقال « المحوس » في دائرة المعارف الاسلامية .

- (٩) راجع النصوص الواردة في . Dozy : Recherches, pp. XLVI-L.
- (١٠) Chron. du moine de Silos, c. 105, 106.
- (١١) Abbad., t. II, p. 216. 219, 220.
- (١٢) Abbad., t. I, pp. 251-252. , وعبد الواحد المراكشي : المعجب ،
ص ٧٠ ، وترجمته ص ٨٦ ، راجع أيضا ، صفحة ٦٢ من نفس المصدر في الطبعة المصرية .
- (١٣) Abbad., t. II, pp. 61-62. ، وراجع أيضا ابن عذارى : البيان
المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

حواشي الفصل التاسع

- (١) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٧٩-٨١ ، وترجمته ص ٩٦-٩٨ .
وكذلك ابن بسام في الذخيرة ، . Abbad., t. II, p. 88.
- (٢) تكاد القدرة على الشعر تكون طبيعية ركبت في جميع أهل « شلب » حتى نازحيهم .
راجع في ذلك القزويني : عجائب الآثار (طبعة هسستفلد) ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .
- (٣) راجع قصيدة المعتمد عن شلب وهي التي سنورد بعضها عنها فيما بعد .
Abbad., t. I, p. 384. (٤)
- (٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٨١-٨٢ (وفي الطبعة المصرية ، ص ٧٣)
وترجمته ص ٩٩ - ١٠١ حيث يروي القصة على لسان ابن عمار نفسه ، هذا وقد ذكر
ابن بسام في الذخيرة أنه سمعها من كثير من وزراء اشبيلية الذين ادركوا المعتمد ،
انظر أيضا : Abbad., t. II, p. 120.
- Abbad., t. II, pp. 150-151 ; p. 225-226. (٦)
ولم يلقب أبو القاسم بالمعتمد الا بعد زواجه من الرميكية . وهذا اللقب منظور فيه
الى كلمة « اعتماد » ولم تكن له كنية يعرف بها من قبل ، انظر في هذا : Abbad.,
II, p. 69. وقارن هذا بما جاء في نفس المرجع ، ص ٦١ ، كذلك راجع فهرست
الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذارى .
- Abbad., t. II, p. 234. (٧)
- El Conde Lucanor. (٨)
- Abbad., t. II, p. 152-153. (٩)
- Abbad., t. II, p. 151. (١٠)
- Abbad., t. II, p. 68. (١١)
- Abbad., t. II, p. 88. (١٢)
- (١٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٧٧ ، ٨١ ، وترجمته ص ٩٥ ، ٩٩ ، وهناك
دواية أخرى واردة في Abbad., t. II, p. 105. تزعم أن ابن عمار قد عاد الى البلاط
في حياة المعتضد ، ولكنها رواية يظهر فيها الاختلاق والخطأ .
- (١٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٨٢ ، وترجمته ص ١٠١ .
- Abbad., t. I, p. 39, 84. (١٥)
- (١٦) المراكشي : المعجب ، ص ٨٠ ، وترجمته ص ٩٧ - ٩٩ .
- (١٧) المراكشي : نفس المرجع ص ٨٢ - ٨٢ ، وترجمته ص ١٠١ .

حواشى الفصل العاشر

Abbad., t. II, p. 148. (١)

Ibid., op. cit., loc. cit. (٢)

Ibid., t. II, p. 146. (٣)

Abbad., t. II, p. 224-225. (٤)

(٥) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٧٣ وترجمته ص ٨٩ .

Abbad., t. I, p. 392. (٦)

(٧) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٧٣ ، وترجمته ص ٨٩ .

(٨) Abbad., t. I, p. 388. وفى هذا المعنى يقول :

سأسأل ربى أن يديم بى الشـكوى

فقد قربت من مصجعى الرشأ الأحرى

إذا علة كانت لقربك علة

تمنيت أن تلقى بحسمى وأن تقوى

(٩) راجع ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ١٥٨ ب - ١٥٩ ، وابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(١٠) راجع ابن بسام : الذخيرة ، مجلد ١ ، ورقة ١٥٩ - ١٦٠ ، وابن حيان فى نفس المرجع ، ورقة ١٦٠ - ب ، وقصيدة ابن القصيرى الواردة فى ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوطة باريس) ورقة ١٥١ ، ب ، وانظر ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٦١-٢٥٩ ، وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٩ . ويخطئ ابن خلدون اذ يقول ان استيلاء المعتد على قرطبة كان سنة ٤٦١ هـ ، لان ابن بسام يقول ان هذا الاستيلاء تم قرب سنة ٤٦٢ هـ . كذلك يخطئ فيما يؤكد من ان أبا الوليد مات قبل هذه السنة . وقد وقع فى نفس الخطأ عبد الواحد المراكشى . المعجب ، ص ٤٣ وترجمته ص ٥٢ .

Abbad., t. I, p. 46. (١١)

Abbad., t. I, p. 322; Lucas de Tuy, Chronicon Mundi, p. 100 (١٢)

Abbad., t. I, pp. 46-48, 322-324 ; t. II, p. 35, 122. (١٣)

Ibid., t. II, pp. 16, 122, 162. وعبد الواحد المراكشى : المعجب ، = (١٤)

ص ٩٠ ، وترجمة ص ١١٠ ، ويذكر ابن خلدون في العبر في الفصل الذي عقده لبني
جهور (ج ٤ ، ص ١٥٩) أن المعتد استرد قرطبة عام ٤٦٩ هـ ، لكنني أرى أن
من الخير أن نتبع ما قاله عبد الواحد المراكشي الذي ينص على اليوم والشهر .

Chronicon Compostellanum (Esp), SAGR., t. XXIII, p. 327. (١٥)

Abbad., t. II, p. 89. (١٦)

(١٧) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٨٣ - ٨٥ ، وترجمته ص ١٠١-١٠٢ ،
Gassales : Discurso Historicos de Murcia, p. 118. ويذكر

أن أبا عبد الله لعب الشطرنج ذات يوم مع « بدور فجارو » - حاكم لارقة ، وقد راهن
الاسباني على لارقة والمغربى على المرية ، فكسب الأخير الرهان ، الا أن « بدور » نكث
بعهده ولم يوف به .

حواشى الفصل الحادى عشر

- (١) راجع ابن الأبار : الحلة السيراء ، ص ١٨٦-١٨٨ .
- (٢) Abbād., t. II, p. 33. ، وابن الأبار : الحلة السيراء ، ص ١٨٦ .
 أما التاريخ الوارد فى Abbād., t. II, p. 87. وهو سنة ٤٧٤ هـ فخطأ .
- (٣) Abbād., t. II, pp. 86, 91- 94.
- (٤) Ibid., t. II, p. 36. ولعل ما كان الناس يسمونه اذ ذاك بحصن بلع هو المعروف باسم "Valez-Rubio" .
- (٥) Abbād., t. II, p. 86-87.
- (٦) يشير نوهزى فى المتن أعلاه الى قصيدة لابن عمار يقول فيها :
 ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم فكل اثناء بالذى فيه يرشح
 وقوله أيضا فى القصيدة ذاتها :
 وماذا عسى « الواشون » أن يتزيدوا سوى أن ذنبى وأضح متصحح
 (الترجم)
- (٧) هو ابن الشاعر الفحل أبى الوليد بن زيدون - (المترجم) .
- (٨) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ص ١٨٩ .
- (٩) يقوم حصن « اقوط » هذا على مسيرة فرسخ من « مرسية » ، ولا تزال أطلالا
 هذا الحصن باقية الى يومنا هذا .
- (١٠) Abbād., t. II, p. 87.
- (١١) جاء ترتيب هذه الأبيات فى الأصل الفرنسى على غير هذا النسق ، وانما الترتيد
 فى المتن : هنا هو الوارد فى المرجع العربى وكما نظمه ابن عمار - (المترجم) .
- (١٢) يقصد ابن عمار بذلك نفسه - (المترجم) .
- (١٣) المقصود بذلك المعتمد - (المترجم) .
- (١٤) المقصود بذلك ابن رشيق - (المترجم) .
- (١٥) وذلك فى أكتوبر سنة ١٠٨١ م .
- (١٦) Abbād., t. II, p. 103-110. ، وابن بسام : الذخيرة ، مادة « ابن عمار
 وعبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٨٥-٩٠ ، وترجمته ص ١٠٣-١١٠ .

حواشي الفصل الثاني عشر

Abbad., t. II, p. 20.

(١)

(٢) راجع ما ورد عد . Abbad., t. II, p. 17. وهناك حوليات عربيية بلسية مترجمة في مجموعة Chronica general fol. 39, col. 384, وانظر ابن ابي زرع .

Rodrigue de Tolde, t. VI, p. 23. . ص ١٠٩ خ وكذلك .

(٣) يسميه النويرى بشليب دون ذكر كلمة « ابن » - (المترجم) .

Abbad., t. II, pp. 231, 187, 174.

(٤)

وهذه القصة قائمة على رواية ابن اللبانة ، وهي رواية لا يمكن الشك في صحتها ، وكان ابن اللبانة احد شعراء قصر المعتمد . كذلك يذكر هذا المؤلف انها حدثت سنة ١٠٨٢م على حين يخطيء غيره من المؤرخين فيذكرون أنها جرت عقب استيلاء الفوسر على طليطلة . أما عبد المنعم الصميرى : صاحب الروض المعطار فيروى قصة مختلفة عن هذه القصة كل الاختلاف ، راجع ذلك في . Abbad., t. II, pp. 233-239.

(٥) يذهب بلاج الى أن هذه المدينة كانت من المدن التي فتحها الفوسر ، انظر : Pelage Avildo (Esp. Sagr.), t. XIV, c. 11.

Abbad., t. II, p. 175, 231, 286.

(٦)

(٧) Ibid., t. II, pp. 8, 193 (note 27). . وابن ابي زرع : روض

القرطاس ، ص ٩٢ ، أما التاريخ فهو سنة ١٠٨٢ م كما هو وارد في المرجع الأخير . أما مؤلف الحلل الموشية كما ورد في Abbad., t. II, p. 188. فقد وهم إذ اعتبر الحادث سنة ١٠٨٤ .

(٨) لم يترجم دوزى في الاصل الفرنسي نص المعاهدة كما أوردها كاملا في المئن اعلاه .
لمتنضح الصورة امام القارئ - (المترجم) .

Abbad., t. II, p. 18.

(٩)

(١٠) Abbad., t. II, p. 19. وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢١١ .

(١١) Dozy : Recherches, 3eme ed., t. II, p. 115-122. ، ويلاحظ أن هذه

البيانات الاخيرة وارده في Cronica general, fol. 315, col. 2, fol; 336. col. 3.

وهي ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء (الاصل والترجمة) .

(١٢) Abbad., t. II, p. 21. ، وابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص ٩٢ .

وابن خلدون (العبر) الترجمة الفرنسية ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

Annales Toledanus (Esp. Sagr.) t. XXIII, (sous l'an 1098). (١٣)

(١٤) ابن الخياط : الاطحة (مخطوطة الاسكوريال) ، مادة و مقاتل .

Abbad., t. II, p. 20. (١٥)

(١٦) راجع المقرئ . نفع الطيب ، ج ٢ ص ٦٧٢ ، وهذا البيت هو مطلع مقطوعة مؤلفة من ثلاثة أبيات . نظمها الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبي ، المعروف بابن العسال .

Annales, t. II, p. 37. (١٧)

Abbad., t. II, p. 8, 139 etc. (١٨)

(١٩) مات يانيس سنة ١٠٧٣ م لتقاسم أملاكه حفيده عبد الله وتميم ، وكانت غرناطة من نصيب عبد الله ، وكانت مالقة من نصيب تميم .

(٢٠) يبدو أن المؤرخين الذين يذهبون للقول بأن المعتد نفسه قد رحل الى يوسف انما يخلطون بين حملة الافريقي الاولى وحملته الثانية .

Abbad., t. II, p. 27. (٢١)

(٢٢) انظر ابن الأبار في الطبعة الاولى من كتب دوزي : Dozy : Recherches, t. I, p. 173, 174 : Abbad., t. I, pp. 169, 176; t. II, p. 191-193, 231.

(٢٣) راجع ابن الأبار في المرجع السابق ، وانظر : Abbad., t. II, p. 193. وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٩٢ ، وترجمته ص ١١٢ .

(٢٤) رد الخليفة هرون الرشيد ردا قريبا من هذا على رسالة بعثها الى الامبراطور نقفور فوكاس ، غير أن المؤلفين الذين يذهبون للزعم بأن ابن تاشفين قد اقتبس بيتا من المتنبي انما يذهبون هذا المذهب البعيد بسبب ما أورده أحد المؤرخين الذين كانوا يميلون الى ابن تاشفين ، مع أنه كان أضعف من أن يستطيع اقتباس شيء من شعر المتنبي .

(٢٥) Abbad., t. II, p. 22. وأبو الحجاج في ابن خلكان : وفيات الأعيان (طبعة فستفلد) ، ص ١٦ . وهناك جماعة من المؤرخين يذهبون للقول بأن الفونس اقترح أن يكون القتال يوم الاثنين لأن السبت عطلة عيد اليهود (وذلك بناء على ما نسب اليه من أنه قال : الجمعة لكم والسبت عطلة لليهود ، وهم زراؤنا وكتابنا ، وأكثر خدم العسكر منهم فلا غنا بنا عنهم ، والاحد لنا فاذا كان يوم الاثنين كان ما تريده من الزحف) - (المترجم) .

Abbad., t. II, p. 23, 28. (٢٦)

(٢٧) عبد الواحد المراكشي . المعجب ، ص ٩٣ ، وترجمته ص ١١٢ .

(٢٨) اذا استثنينا ما ورد في مجموعة Cronicon Lusitanum (Esp. Sagr. t. XIV, pp. 418-419). فاننا نرى أن جميع الحوالمات اللاتينية قد حلت حَلوا تماما من الاشارة الى وقعة زلاقة ، ، على أن بعض المراجع العربية اطالت الكلام عنها وانظر في ذلك = كتاب دوزي

Abbad., t. II, p. 8, 21-23, 36-39 ; 134-136; 196-201.

وعيد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٢-٩٤ ، وترجمته من ١١٢-١١٥ ، وابن أبي ررع . روض القرطاس . ص ٩٤-٩٨ ، وأبو الحجاج البيهقي في ابن خلكان وفيات الاعيان ، كراسة ١٢ ، ص ١٦ - ١٧ . على أن القليل من بياناتها يستحق الثقة التامة . وقد أخطأ بعضها في ذكر التاريخ ، إذ أن التاريخ الحقيقي هو الجمعة ١٢ رجب سنة ٤٧٩ كما هو وارد في الحلل الموشية (طبعة تونس) ص ٤٠-٤١ ، وكذلك . Abbad., t. II, p. 197. وكذلك في روض القرطاس ، ص ٩٨ حيث يشير الى ان هذا اليوم يوافق يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦ وهو التاريخ الصحيح . راجع في ذلك كتاب ذلك Annales Compl. p. 314-315. غير أن هناك جماعة من المؤرخين لم ينتصر حلوهم على ذكر الشهر فحسب (إذ يذكرون رمضان بدلا من رجب) بل يزيدون فيخطئون في تحديد السنة . من ذلك مثلا ما يذكره عيد الواحد المراكشي في المعجب ، ص ٩٢-٩٤ (وترجمته من ١١٢-١١٥) من أن المعركة سنة ٤٨٠ هـ ، وما يذكره ابن الكردبوس من وقوعها سنة ٤٨١ هـ (راجع في هذا . Abbad., t. II, p. 23) وهذه ظاهرة بالغة الغرابة حيال وقعة عظيمة الشهرة حتى لك أن الناس يؤرخون بها فيقولون « سنة زلاقة » . بدلا من قولهم « سنة ٤٧٩ هـ » . انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص ١٢٥ . غير أن الثابت هو أنه ليس هناك من تلك الحوليات ما وضع بقلم أحد من عاصرها الرقعة . إذ ترجع هذه الحوليات الى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر . واقدمها لا يتجاوز النامي عشر . ومن ثم فلا يمكن أن تكون التتمة بها قوية . أضف الى هذا انه في هذا العصر الذي شب المؤرخون خلاله ما كتبوا أخذ الادياء وأهل البيان انفسهم بوضع رسائل وكتب ينسبوننها الى اشخاص تاريخيين ، هذا أمر ثابت المقروع ، كما توجد الأدلة القاطعة على ثبوته . من ذلك مثلا أن صاحب الحلل الموشية يورد الكتاب الذي بعثه المعتمد الى ولده الرشيد في اليوم التالي لتلك المعركة ، وهو كتاب لا يتجاوز سطرين وأورد في Abbad., t. II, p. 199. مختلف كل الاختلاف عما أورده صاحب الروض المعطار الوارد في المرجع السابق . Abbad., t. II, p. 24. وكذلك توجد صورة ثالثة لهذا الكتاب ذكرها ابن الخطيب وهي واردة في نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٧ ، وهو لا يقل عن خمسة عشر سطرا ، ومن ثم ملائمة أن يكون ثنتان - أن لم يكن الثلاثة - من هذه الصور قد كتبت في عصر متأخر ، وأن الحكمة تقتضي أن نكون حذرين في تناول الرسائل المسماة بالديوانية والواردة في تلك الحوليات ، كما ينبغي أن نعترف بأن السك يخامرنا في أصالة معظم الرسائل التي يوردها كتاب الحلل الموشية ، كما تشك كل الشك في الرواية التي يذكرها يوسف في ذكر وقعة زلاقة ، وهي الواردة في روض القرطاس .

حواشي الفصل الثالث عشر

- (١) فى تحقيق تاريخ قدوم المرابطين الى الاندلس كتب المستشرق الفرنسى الاستاذ ليفى بروفنسال ملحقا لهذا الفصل ، وقد ترجمناه وأوردناه فى الملحق رقم ١ ص ٢١٣-٢١٥
يعد انتهاء فصول هذا الجزء ، فراجع هناك - (المترجم) *
- (٢) Abbad., t. II, pp. 23, 109.
- (٣) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٩٤ ، ترجمته ص ١١٥ .
- (٤) Abbad., t. II, p. 25.
- (٥) Abbad., t. II, p. 120.
- (٦) Ibid., t. II, p. 25. على أنه ينبغي تصحيح هذه العبارة بالاستعانة
بما هو وارد فى: Abbad., t. I, pp. 172-175. نقلا عن ابن خاتان .
- (٧) Abbad., t. II, p. 121.
- (٨) Dozy : Recherches 3eme. ed., t. II, p. 128.
- (٩) Abbad., t. II, p. 207.
- (١٠) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٩٢ ، وترجمته ص ١١٢-١١٣ .
- (١١) Abbad., t. II, p. 202 203.
- (١٢) هو أبو بكر وزير المعتد .
- (١٣) Abbad., t. II, p. 221.
- (١٤) انظر صاعدا الطليطلى : طبقات الامم ، وراجع :
Dozy : Recherches, 1ere ed., t. I, p. 4.
- (١٥) انظر النخيرة لابن بسام ، طبعة كلية الآداب - جامعة فؤاد الاول بالقاهرة
المجلد الثانى من القسم الاول ، ص ٣٧٤ - (المترجم) *
- (١٦) Abbad., t. II, pp. 131-132.
- (١٧) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤١ - ٤٢ ، مادة : أبو جعفر أحمد
بن خلف بن عبد الملك النسائى القليعى (وهو القلى فى طبعة القاهرة) *
- (١٨) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٩٦-٩٧ ، وترجمته ص ١١٧-١١٨ .

(١٩) راجع في ذلك دوزي في *Abbad., t. pp. 39, 121, 203.* وابن خلكان وفيات الاعيان ، ص ٢٥ ، ويلاحظ أن كثيرا من التفاصيل التي أوردها ابن أبي زرع في روض القوطاس ، ص ٩٩ ، وعبد الواحد المراكشي في المعجب ، ص ٩٢ ، وترجمته ص ١١٢-١١٣ تعوزها الدقة ومطابقة الواقع ، انظر أيضا *Gesta Roderici* أما فيما يتعلق بمسألة اليمين فراجع التعليق الذي ترجمناه عن ليفي بروفنسال والذي كتبه لهذا الفصل . انظر فيما بعد ص

(٢٠) ابن الخطيب . الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٢١) *Abbad., t. II, p. 211.*

(٢٢) ابن خلدون : العبر (الترجمة الفرنسية) ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

(٢٣) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوطة الاسكوريال) ، مادة « مقاتل » .

(٢٤) أي أنه بربري مثله .

(٢٥) راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، (مخطوطة الاسكوريال) مادة « عد الله بن بلحين و « الموثل » راجع أيضا . *Abbad., t. II, p. 9, 26, 39, 179, 203-204.*

وإبن أبي زرع : روض القوطاس ، ص ٩٩ ، أما فيما يتعلق بالتاريخ فراجع في آخر هذا الجزء التعليق الذي كتبه الأستاذ ليفي بروفنسال ، وانظر حاشية رقم ١٩ .

(٢٦) انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص ٢٦ ، وابن خلدون : كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ٧٩ من الترجمة الفرنسية ، وأيضا : *Abbad., t. II, p. 180, 204.*

حواشي الفصل الرابع عشر

- (١) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٨ ، وترجمته ص ١١٩ .
- (٢) *Abbad., t. I, pp. 54-65.* أما التاريخ الذي ذكره دوزي في المتن أعلاه فوارد .
في ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٠ ، وفي عبد الواحد المراكشي ، ص ٩٦ ،
وترجمته ص ١١٩ ، أما ابن الخطيب (كما في *Abbad., t. II, p. 178.*)
فيرى أن أخذ قرطبة تم في شهر أغسطس .
- (٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠ .
- (٤) انظر *Abbad., t. II, pp. 42, 232* وابن أبي زرع : روض القرطاس ،
ص ١٠٠ - ١٠١ ، *Annales Toledanos* (تحت سنة ١٠٩٢ وهي خطأ) .
- (٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٥٨-١٠١ ، وترجمته ، ص ١١٩-١٢٢
(وفي الطبعة المصرية ، ص ٩٠) .
Abbad., t. I, pp. 55-51; 303-304, 306; t. II, p. 68, 178, 204, 205, 227, 237, 232.
- (٦) ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٧٢ ، ١٧٤ ،
Dozy · Recherches (3eme ed.), t. I, pp. 271-272.
- (٧) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠١ .
- (٨) *Abbad., t. II, p. 44.*
- (٩) انظر ما ذكره ابن الخطيب من قول وارد في :
Dozy : Recherches, (1ere ed.), t. I, p. 179.
حيث ينبغي أن نقرأ كلمة « أمير » بدلا من « عصر » ثم قارن هذا بما جاء في :
Cronic Lusit., p. 419 ; Annales Complut., p. 317.
- (١٠) ابن الأبار وابن الخطيب في :
Dozy : Recherches, t. I, pp. 175, 179, 180.
وإبن خلدون في *Hongvliet, p. 3.* هذا وقد صحح نص العبارة في :
Dozy : op. cit., pp. 156-159.
- (١١) راجع دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « السيد » والمراجع الواردة هناك .
- (١٢) ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٨٢ .
- (١٣) راجع ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ٢٢٥ ، ويلاحظ أن هذا المؤلف ينكر
يوما من أيام الشهر لا يتفق والأسبوع ، انظر أيضا ابن أبي زرع : روض القرطاس ،

ص ١٠٤ ، والحلل الموشية (طبعة تونس) ، ص ٧١-٧٢ ، هذا وقد بقي عماد الدولة مالكا لرويدة Reuda حتى مات سنة ١١٣٠ م ثم تلازل ابنه وخليفته سيف الدولة عن قلعها بعد ذلك بعشر سنوات لالفونس السابع .

(١٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٢ وترجمته ص ١٤٧ .

(١٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٧ ، وترجمته ، ص ١٥٣ .

(١٦) نقل ابن خلدان في قلائد الأعيان (طبعة باريس سنة ١٨٦٤ م) ص ١٨٠-١٨١ وذلك في معرض كلامه عن أبي محمد بن الجبير قطعة من رسالة وجهها الى ابن حمدين .

(١٧) المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٤٧٢ .

(١٨) Chronicon Adefonsi Imperatoris (Esp. SCagrè., t. XXI, c. 91.

(١٩) نضيف في هذه الترجمة العربية ما قاله الشاعر ابن البني في إحدى قصائده معرضا باين حمدين .

يريد ابن حمدين أن يعتلى وجدواه أتأى من الكوكب

وانظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٢ ، وترجمته ص ١٤٧-١٤٨ .

(٢٠) انظر ابن خاقان في المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٥٩٠ .

(٢١) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٢٢) المقرئ . نفع الطيب . ج ٢ ، ص ٣٠٣-٣٠٤ ، وعبد الواحد المراكشي المعجب ص ١٢٢ ، وترجمته ص ١٤٧ .

(٢٣) راجع ابن أبي أصيبعة في المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٢٤) فيما يتعلق بالمدن في اسبانيا والمغرب ايان هذه الحقبة راجع جولد تسيهر في مقدمته لطبعة كتاب ابن تومرت التي قام بنشرها لوشيانى .

(٢٥) راجع دائرة المعارف الاسلامية والمراجع المذكورة هناك .

(٢٦) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٢-١٢٤ ، ١٢٢ ، وترجمته ص ١٤٩ ، ١٦٠ ، والحلل الموشية (طبعة تونس) ، ص ٧٦ .

(٢٧) راجع الجزء الثانى من هذه الترجمة العربية ، ص ٠٠٠ .

(٢٨) الحلل الموشية ، ص ٥٨ ، أما فيما يتعلق بلوسينا وسكانها اليهود فراجع الادريسي (النص العربي . Description de l'Afrique et de l'Espagne, p. 205. وترجمته ص ٢٥٢-٢٥٣ .

Journ. Asiat., IV serie, t. XVIII, p. 513. (٢٩)

Cf. Dozy : Recherche , 3eme ed., t. I, pp. 348-363 (Sur (٣٠)
l'expedition d'Alphonse le Batailleur contre l'Andalousie.

Chronicon Adefonsi Imperatorio (Espagna Sagrada), t. XXI, (٣١)
c. 64.

(٣٢) ابن أبي زرع روض القرطاس ، ص ١٠٨ .

(٣٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١١٤ ، وترجمته ص ١٢٧ ، والحلل
الموشية (طبعة تونس) ص ٨٩ ، وانظر أيضا ، Chron. Lusit (Esp. Sagrada,
t. XIV, p. 326.

(٣٤) ورد هذا القول في ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٨ .

(٣٥) راجع القرى : نفح الطيب ، ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، وابن خلكان : وفيات
الاعيان ، ص ١٧ - ١٨ ، أما قاضي الجماعة هذا فقد مات مقتولا في وقعة « كتندة » قرب
دارقة سنة ١١٢٠ م ، راجع القرى : نفح الطيب ، ج ٢ ص ٧٥٩ .

(٣٦) الحلل الموشية ، ص ٦١-٦٢ .

Idrisi : Description de l'Afrique et de l'Espagne (textes
arabe), p. 70, et trad., p. 80. (٣٧)

(٣٨) ابن أبي زرع . روض القرطاس ، ص ١٠٨ والحلل الموشية ، ص ٥٩ .

(٣٩) المراكشي . المعجب ، ص ١٤٨ ، وترجمته ص ١٧٩ (١٨٠) .

(٤٠) واسمه الكامل هو أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن الصايغ ، راجع عنه
دائرة المعارف الاسلامية .

(٤١) راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ص ٢٤٢-٢٤٦ ، مادة « أبو بكر بن
ابراهيم » ، وانظر أيضا ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٣٥٢-٣٤٦ .

(٤٢) فيما يتعلق بهؤلاء « الروم » الذين هم في الواقع « الصقالبة » ، راجع :
Chronicon Adefonsi (Esp. Sagr.), t. XXI, c. 45-46, 94.

وكذلك الحلل الموشية ، ص ٦١ .

(٤٣) راجع عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤٨ ، وترجمته
ص ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٧٩ .

(٤٤) الحلل الموشية ، ص ٨٩ . أما فيما يتعلق بضياع المرابطين من اسبانيا

فراجع :

F. Codera Decadencia y desaparicion de los almoravides en Espana,
Saragosse, 1899.

Chron. Adefonsi Imperatoris cf. 13-16. (٤٥)

ببرج قادش أو أمدة هرقل فراجع :

Dozy : Recherches, 3eme ed., pp. 311-312.

والمحقق الوارد هناك تحت رقم ٣٥ .

Chronicon Adefonsi Imperatori, c. 60, 82, 88. (٤٦)

(٤٧) راجع الحلل الموشية ، ص ٨٩ .

(٤٨) الحلل الموشية ، ص ٦٣ ، وابن الأثير : الكامل ، ص ٣٩٢ ، ج ١٠ ، وترجمته :
Annales du Magreb et de l'Espagne, p. 525-526.

Chronicon Adefonsi Imperatorf, c. 16. (٤٩)

Ibid., c. 89. (٥٠)

حواشى الفصل الخامس عشر

- (١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكريال) . مادة عبد الله بن بلقين :
Abbad., t. I, p. 59-61. (٢)
Abbad., t. I, pp. 313-314 ; t. II, pp. 71, 75, 232. (٣)
وعبد الواحد المراكشى . المعجب ص ١٠٢ ، وترجمته ص ١٢٣-١٢٤ .
Abbad., t. I, p. 383.

(٦) انظر الدائرة .

- Abbad., t. II, p. 73-74. (٧)
Abbad., t. I, p. 68. (٨)
Abbad., t. I, pp. 63, 64. (٩)

(١٠) فيما يتعلق بابن زهير وأسرتة راجع دائرة المعارف الاسلامية .

(١١) انظر المجرى . نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ .

(١٢) ينسب المعتمد فى هذا البيت الى ابنة عريف شرطته ، وكانت بنات المعتمد فى أسرهن وعن يفرزلن لها الثياب ، أما عريف شرطته هذا فكان هو الذى يزغ الناس بين يديه حين بروزه ، ولم يكن المعتمد يرى هذا الشرطى الا فى هذا اليوم فقط ، راجع المراكشى . المعجب ص ٩٨ طبعة مصر - (المترجم) .

(١٣) الكلام هنا على لسان المعتمد ، ويعنى بذلك أنه اذا ظهر المعتمد كانت مهمة هذا الشرطى النداء بين يديه .

(١٤) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ١٠٩ ، وترجمته ص ١٣١ .

Abbad., t. II, pp. 147-149. (١٥)

(١٦) للتعريف بابن اللبانة الذى ينسب اليه دوزى فى اكثر من موضع فى هذا الكتاب نقول انه كان من الاعراء المحبدين ، الى جانب ما امتاز به من صدق الوفاء ، وكان « صديقا » بكل ما تحمله هذه الكلمة من حسن جليل كرام . ومع أن من آتوا « تنا لا يذرون تماما باظهار هذه الناحية الا أنها تتجلى من سيرته التى يعرض لها دوزى بطرف فى نصله هذا الذى نترجمه اعلاه ، أما من الناحية الأدبية فحسبنا شهادة المراكشى بأنه « نبيل المأخذ حسن المهيح ، جمع بين سهولة الالفاظ ورشاققتها ، وجودة المعانى ولطافتها ، وكان منقطعاً

- الى المعتمد وان لم يك عليه الا آخر مدته ، راجع ما ورد عنه بالامتهاب في « المعجب » ،
ص ١٠٢-١٠٣ من الطبعة المصرية - (المترجم) .
- (١٧) راجع قصيدة ابن الليثانة الواردة في .
Abbad., t. I, p. 319-320. وشرحها اللاتيني في نفس المرجع ، ص ٢٦٦ وما بعدها .
- (١٨) يقع حصن « منت ميور » بالقرب من « مارتلة » التي يسميها الاسبان اليوم باسم
DRSPEPLADO وهي ناحية مهجورة .
- Abbad., t. I, pp. 228-229 t. II, p. 64. (١٩)
- Ibid., t. I, p. 66. (٢٠)
- Ibid., t. I, p. 63. (٢١)
- Abbad., t. I, p. 310-311. (٢٢) المعجب (طبعة مصر) ، ص ١٠٠ و
- Abbad, t. I, p. 308. (٢٣)
- (٢٤) بدأت ثورة عيد الجبار سنة ١٠٩٢ م ، وبعد سنتين من ذلك التاريخ دخل هذا
الأمير مدينة « أركش » محاصره بها « سير » حاكم أشبيلية ، وقتل هو نفسه بسهم أصابه
أودى به ، غير أن أتباعه ظلوا على ما هم عليه من التمرد ولم يستسلموا الا بعد حين .
Abbad, t. II, pp. 1228; t. I, pp. 64-65. : انظر
- Abbad., t. I, p. 71. (٢٥)
- Abbad., t. II, p. 63. (٢٦) راجع ابن الأثير في :
- Abbad., t. I, p. 40. (٢٧)
- Abblad., t. II, pp. 66. 67. (٢٨)

الملاحق

- ملحق رقم ١ : تحقيق تاريخ قدوم ابن تاشفين الى الأندلس بفلم المستشرق
الفرنسى ليفى بروفنسال ، كتبه خصيصا للطبعة الجديدة
من هذا الكتاب باللغة الفرنسية .
- ملحق رقم ٢ : ثبت بتواريخ ملوك القرن الحادى عشر المسلمين .
- ملحق رقم ٣ : ثبت بأسماء الأعلام والأماكن برسميها العربى واللاتينى .
- ملحق رقم ٤ : المصادر والمراجع التى استعملها المؤلف والمعلق والمترجم
العربى

ملحق رقم ١

حين عهدت مطبعة بريل الى الاستاذ ليفى بروفنسال باخراج نسخة جديدة من كتاب دوزى هذا باللغة الفرنسية ، كتب هذا الملحق الذى يحقق فيه تاريخ قدوم ابن تاشفين ، وهو يتعلق بالفصل الثالث عشر من هذا الجزء [المترجم] .

يقول ليفى بروفنسال :

لقد برر المؤلف (رينهت دوزى) التاريخ الذى آثره فى نحقبن هذا الفصل فهو يرى أن مجيء يوسف (بن تاشفين) للمرة الثانية الى الأندلس كان فى ربيع سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠١٠ م) ، أى بعد وقعة « زلاقة » بثلاث سنوات ونصف سنة ، وحاصر حصن « الليط » فى صيف ذلك العام ، واستولى على غرناطة فى نوفمبر ، غير أن أبا الحجاج البياسى (كما هو وارد فيما ذكره ابن خلكان عن يوسف) وصاحب روض القرطاس ومؤلف الحلل الموشية فيذكرون تاريخا غير هذا التاريخ ، اذ يشيرون الى أن يوسف بن تاشفين جاء الى الأندلس للمرة الثانية سنة ٤٨١ هـ (= ١٠٨٨ م) وأنه حاصر حصن الليط فى تلك السنة ذاتها (١) ، ويقولون انه عاد الى أفريقية فى الخريف ، ثم رجع الى أسبانيا لثالث مرة سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠٩٠ م) وحينذاك استولى على غرناطة (٢) .

وهناك وجهة نظر تخالف هذه النظرة ، اذ يجب أن نلاحظ أن أولئك المؤرخين الذين أخذوا بهذا الرأى ليسوا من المؤرخين القدماء ، فأبوا الحجاج البياسى قد كتب ما كتب فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم جاء صاحب « روض القرطاس » بعده بقرن من الزمان فكتب كتابه ، ومثله صاحب « الحلل الموشية » . أضف الى هذا ما يمكن أن ينالهم من التجريح (٣) .

(١) يسميه « بيلاج دوليدو » فى الفصل الحادى عشر باسم حصن Alaet كما انه يعده من بين المدن التى استولى عليها الفونس ، ولكن بالرجوع الى Gestar Roderici نجد أنه وارد باسم Halaet .

(٢) يخطئه ابن أبى زرع صاحب روض القرطاس خطأ جسيما اذ يتكلم عن حصار طليطلة فى هذه الفترة بالذات .

(٣) ينال هذا التجريح على وجه الخصوص صاحب روض القرطاس .

ثم انهم لم يتفقوا فيما بينهم على تحديد الشهر فبينما نجد ابن أبي زرع يؤكد أن مجيء يوسف الى الأندلس للمرة الثانية كان في شهر ربيع الأول سنة ٤٨١ هـ (= يونيو ١٠٨٨ م) اذا بنا نجد البياسي يقول انه قدمها في شهر رجب أي في سبتمبر أو أكتوبر .

ومن ناحية أخرى نجد أن أقدم المؤرخين الثقات في هذا الموضوع ، أعنى مؤرخي القرن الثاني عشر الميلادي يتفقون على أن حصار « الليط » والاستيلاء على غرناطة قد حدثا في سنة واحدة هي سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠٩٠ م) . ومن ذلك مثلا أن ابن « قاسم الأشبيلي » الذي كتب أصدق تاريخ للمعتمد (٤) - وهو الكتاب الذي حفظ لنا ابن الأبار بعض أجزاء منه - يقول ان يوسف بن تاشفين والأمراء الأندلسيين قد حاصروا الليط (٥) سنة ٤٨٣ هـ ، ويقرر محمد بن ابراهيم (٦) انه منذ قدوم يوسف للمرة الثانية الى الأندلس أخذ في محاصرة « الليط » والاستيلاء على غرناطة .

ويقول ابن الكردبوس نفس هذا القول في كتابه الاكتفا (٧) . ثم يضيف الى ذلك ان يوسف جاء الأندلس للمرة الثالثة سنة ٤٩٠ هـ (= ١٠٩٧) .

ويمكن أن نضيف الى هذه الشهادات الجديرة بالثقة شهادة ابن الأثير (٨) المؤرخ الذي كتب كتابه وهو بالموصل ، ومن ثم لم يكن على علم تام موصول بأخبار الأندلس مما أدى الى وقوعه في الخطأ حين يقول ان حصار « الليط » والاستيلاء على غرناطة كانا بعد سنة من وقعة « زلاقة » ، أي سنة ٤٨٠ هـ (= ١٠٨٧ م) .

أما فيما يتعلق بالتاريخ الدقيق للاستيلاء على غرناطة فان ابن الصيرفي (٩) يقول انه وقع يوم ١٤ رجب سنة ٤٨٣ هـ ، غير أن هناك اعتراضين يجرحان هذا التاريخ أولهما أن ١٤ رجب (= ٢٦ أغسطس)

Cf. Abbad., t. II, p. 92. (٤)

Abbad., t. II, pp. 121-122. (٥)

Ibid., t. II, pp. 8, 9. (٦)

Ibid., t. II, pp. 26, L. 12. (٧)

وقد أخطأ المؤلف في كتابته إذ يجب أن نلهم من كلمة « الغزوة » عنده حملة يوسف ضد « الليط » .

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ .

(٩) راجع ما كتبه من المعتمد وعن عيد الله بن بلجين ;

لم يكن يوم أحد بل كان يوم خميس (١٠) ، والأمر الثاني هو أنه من المستحيل على يوسف أن يتمكن من الاستيلاء على غرناطة في شهر أغسطس لأنه قد وطأ الأندلس في الربيع وحاصر « الليط » مدة أربعة أشهر حتى دخل الشتاء كما يؤكد مؤلف روض القرطاس . وأظن أنه بدلا من الأحد ١٤ رجب « يجب أن تكون القراءة « الأحد ١٤ رمضان » أي العاشر من نوفمبر ، يؤيد هذا أن يوم ١٤ رمضان يطابق يوم الأحد ، وكثيرا ما يحدث الخلط بين هذين الشهرين ، من ذلك مثلا أن طائفة من المؤرخين يقولون ان وقعة زلاقة جرت في شهر رمضان سنة ٤٧٩ هـ ، على حين أن طائفة اخرى تقول انها وقعت في شهر رجب ، ويمكن تفسير ذلك بأن القوم في ذلك الزمان كانوا يستعملون مختصرات للدلالة على الأشهر . وعلى هذا يكون من السهل الخلط بين شهري رجب ورمضان لاتفاقهما في الحرف الأول . وكل منهما . وليس هناك دليل يمكن أن ينقض هذا الرأي حيث يقول البياسي ومؤلف روض القرطاس ان يوسف قد ركب البحر لثاني مرة قبل نهاية رمضان ، أي قبل ٢٦ نوفمبر ، وبذلك يكون قد تيسر له في ستة عشر يوما مقابلة الأمراء الأندلسيين والسفر الى غرناطة والجزيرة الخضراء .

ليفى بروفنسال

(١٠) الظاهر أن الأستاذ ليفى بروفنسال أخطأ في إيراد الشهر الجريجورى ، فإذا أخذنا بأن الحادثة وقعت يوم الأحد ١٤ رجب سنة ٤٨٢ هـ فإن هذا اليوم والتاريخ لا يطابقهما يوم ٢٦ أغسطس ، ذلك لأن يوم ١٤ رجب سنة ٤٨٢ هـ ، كان يوم الخميس ، ومعنى هذا أن الخميس ١٤ رجب يطابقه يوم ١٢ سبتمبر ١٠٩٠ م ، وذلك بناء على ما جاء في جدول السنين بكتاب التوقيعات الإلهامية ، ص ٢٤٢ .

(١١) روض القرطاس ، ص ٩٩ ، ويقول صاحب الحلل المشوية انه وقع في مدة شهر ، غير أن الحصار استمر مدة أطول من هذه بطبيعة الحال .

ملحق رقم ٢

ثبت بتواريخ ملوك القرن الحادي عشر المسلمين في الأندلس

١ - مملكة أشبيلية

بنو عباد

- ١ - محمد بن اسماعيل القاضي ١٠٢٣ - ١٠٤٢ م (= ٤١٤ - ٤٣٤ هـ)
- ٢ - عباد بن محمد المعتضد ٤٣٤ - ٤٦٢ هـ (= ١٠٤٢ - ١٠٦٩ م)
- ٣ - محمد بن عباد المعتمد ٤٦٢ - ٤٨٤ هـ (= ١٠٦٩ - ١٠٩١ م)
هذا وقد كان خلع المعتمد عن العرش على يد المرابطين .

٢ - مملكة قرطبة

بنو جهور

- ١ - جهور بن محمد بن جهور ٤٢٣ - ٤٣٥ هـ (= ١٠٣١ - ١٠٤٣ م)
- ٢ - محمد بن جهور ٤٣٥ - ٤٥٧ هـ (= ١٠٤٣ - ١٠٦٤ م)
- ٣ - عبد الملك وعبد الرحمن ولدا محمد بن جهور ، وقد ظلا في الحكم حتى حوالى سنة ٤٦٣ هـ (= ١٠٧٠ م) ، وقد ضمت قرطبة الى مملكة أشبيلية .

٣ - مملكة مالقة

بنو حمود

- ١ - ادريس بن علي بن حمود (المؤيد) ٤٢٧ - ٤٣١ هـ (= ١٠٣٥ - ١٠٣٩ م)
- ٢ - يحيى بن ادريس بن علي (القائم) ٤٣١ - ٤٣٢ هـ (= ١٠٣٩ - ١٠٤٠ م)

- ٣ - حسن بن يحيى بن علي بن حمود المستنصر ٤٣٢ - ٤٣٣ هـ
 (= ١٠٤٠ م) .
- ٤ - ادريس (الثاني) بن يحيى بن علي بن حمود العالى ٤٣٣ - ٤٣٩ هـ
 (= ١٠٤٢ - ١٠٤٧ م) .
- ٥ - محمد (الأول) بن ادريس (الأول) بن علي بن حمود : المهدي
 ٤٣٩ - ٤٤٦ هـ (= ١٠٤٧ - ١٠٥٤ م) .
- ٦ - ادريس الثاني بن يحيى بن ادريس الأول : السامى ٤٢٦ هـ
 (= ١٠٥٤ م) .
- ٧ - ادريس الثاني (مرة أخرى) ٤٤٦ - ٤٤٧ هـ (= ١٠٥٤ م) .
- ٨ - محمد (الثاني) بن ادريس الأول : المستعلى ٤٤٧ - ٤٤٩ هـ
 (= ١٠٥٥ - ١٠٥٧ م) .
- ثم تم بعد ذلك ضم مالقة الى مملكة غرناطة .

٤ - مملكة الجزيرة الخضراء

بنو حمود

- ١ - محمد بن القاسم بن حمود ٤٢٧ - ٤٤٠ هـ (= ١٠٣٥ - ١٠٤٨ م)
- ٢ - القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود ٤٤٠ - ٤٥٠ هـ (= ١٠٤٨ - ١٠٥٨ م) .
- حيث ضمت الجزيرة الخضراء الى مملكة أشبيلية .

٥ - مملكة غرناطة

بنو زيرى

- ١ - زاوى بن زيرى ٤٠٣ - ٤١٠ هـ (= ١٠١٢ - ١٠١٩ م) .
- ٢ - حبوس بن ماكسن ٤١٠ - ٤٢٩ هـ (= ١٠١٩ - ١٠٣٨ م) .
- ٣ - باديس بن حبوس ٤٢٩ - ٤٦٦ هـ (= ١٠٣٨ - ١٠٧٣ م) .

- ٤ - عبد الله بن باديس ٤٦٦ - ٤٨٣ هـ (= ١٠٧٣ - ١٠٩٠ م) .
 ثم ضمت غرناطة الى دولة المرابطين .

٦ - مملكة قرمونة

بنو برزال

- ١ - محمد بن عبد الله ٤٠٤ - ٤٣٣ هـ (= ١٠١٣ - ١٠٤٢ م) .
 ٢ - عزيز بن محمد المستظهر ٤٣٣ - ٤٦٠ هـ (= ١٠٤٢ - ١٠٦٧ م) .
 وقد ضمت مملكة قرمونة الى مملكة أشبيلية .

٧ - مملكة رندة

بنو افرن

(بكسر الهمزة وسكون الفاء بعدها واو مفتوحة)

- ١ - أبو نور هلال بن أبي قررة ٤٣١ (؟) - ٤٥٠ هـ (= ١٠٣٩ م) .
 ٢ - باديس بن هلال ٤٤٩ - ٤٥٠ هـ (= ١٠٥٧ - ١٠٥٨ م) .
 ٣ - فتوح بن هلال ٤٥٠ - ٤٥١ هـ (= ١٠٥٨ - ١٠٥٩ م) .

٨ - مملكة مورور

بنو رمير

(بفتح الراء المهملة بعدها ميم مشددة مفتوحة)

- ١ - نوح بن أبي طريده ٤٠٤ - ٤٣٣ هـ (= ١٠١٣ - ١٠٤١ م) .
 ٢ - محمد بن نوح ٤٣٣ - ٤٤٩ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥٧ م) .
 ٣ - منار بن محمد بن نوح ٤٤٩ - ٤٥٩ هـ (= ١٠٥٧ - ١٠٦٦ م) .
 وقد ضمت مورور الى مملكة أشبيلية .

٩ - مملكة أركش

بنو خزرون

(بكسر الخاء بعدها زين ساكنة)

- ١ - محمد بن خزرون الأرنباني ٤٠٢ - ٤٢٠ هـ (= ١٠١١ - ١٠٢٩ م) .

- ٢ - القائم بن محمد بن خزرون ٤٢٠ - ٤٦١ هـ (= ١٠٢٩ - ١٠٦٨ م)
وقد ضمت مملكة أركش الى مملكة أشبيلية .

١٠ - مملكة ولبة وسلطيش

البكريون

- عز الدولة عبد العزيز ٤٠٣ - ٤٤٤ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٥٢ م)
وقد ضمت ولبة وسلطيش الى مملكة أشبيلية .

١١ - مملكة لبلة

بنو يحيى

- ١ - محمد بن يحيى البحصبي ، تاج الدين ٤١٤ - ٤٣٣ هـ (= ١٠٢٣ - ١٠٤١ م)
٢ - محمد يحيى ، عز الدين ٤٣٣ - ٤٤٣ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥١ م)
٣ - فتح خلف بن يحيى ، ناصر الدين ٤٤٣ - ٤٤٥ هـ (= ١٠٥١ - ١٠٥٣ م)
ثم ضمت لبلة الى مملكة أشبيلية .

٢١ - مملكة شلب

بنو مزين

(وشلب بكسر الشين وسكون اللام)

- ١ - عيس بن أبي بكر ، المظفر ٤٤٠ - ٤٤٦ هـ (= ١٠٤٨ - ١٠٥٤ م)
٢ - محمد بن عيس ، الناصر ٤٤٦ - ٤٥٠ هـ (= ١٠٥٤ - ١٠٥٨ م)
٣ - عيس بن محمد (المظفر) ٤٥٠ - ٤٥٦ هـ (= ١٠٥٨ - ١٠٦٣ م)
وقد ضمت شلب الى مملكة أشبيلية .

١٣ - مملكة شنت مرية الغرب

بنو هرون

- ١ - سعيد بن هرون ٤١٧ - ٤٣٣ هـ (= ١٠٢٦ - ١٠٤١ م) .

- ٢ - محمد بن سعيد (المعتصم) ٢٣٣ - ٤٤٤ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥٢ م) .
 وقد ضمت شنت مرية الغرب الى مملكة أشبيلية .

١٤ - مملكة مارتلة

- ابن طيفور حتى سنة ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م .
 • وقد ضمت مملكة مارتلة الى أشبيلية .

١٥ - مملكة بطليوس

- سابور وابناه حتى سنة ٤١٣ = ١٠٢٢ م .

بنو الألفس

- ١ - عبد الله بن محمد بن مسلمة (المنصور) ٤١٣ - ٤٣٧ هـ (= ١٠٢٢ - ١٠٤٥ م) .
 ٢ - محمد بن عبد الله (المظفر) ٤٣٧ - ٤٥٦ هـ (= ١٠٤٥ - ١٠٦٣ م) .
 ٣ - يحيى بن محمد (المنصور) ٤٥٦ - ٤٦٠ هـ (= ١٠٦٣ - ١٠٦٧ م) .
 ٤ - عمر بن محمد (المتوكل) ٤٦٠ - ٤٨٧ هـ (= ١٠٦٧ - ١٠٩٤ م) .

١٦ - مملكة طليطلة

- يعيش بن محمد بن يعيش ظل في الحكم حتى سنة ١٠٣٦ م = ٤٢٨ هـ .

بنو ذو النون

- ١ - اسماعيل بن ذي النون (الظافر) ٤٢٨ - ٤٣٥ هـ (= ١٠٣٦ - ١٠٤٣ م) .
 ٢ - يحيى بن اسماعيل (المأمون) ٤٣٥ - ٤٦٨ هـ (= ١٠٤٣ - ١٠٧٥ م) .

٣ - يحيى بن اسماعيل بن يحيى (القادر) ٤٦٨ - ٤٧٨ هـ (= ١٠٧٥ م) -

• ثم وقعت طليطلة فى حوزة الفونس السادس .

١٧ - مملكة سرقسطة

(أ) بنو تاجيب

(يضم التاء وفتح الجيم وسكون الياء)

١ - المنذر بن يحيى ٤٠٨ - ٤١٤ هـ (= ١٠١٧ - ١٠٢٣ م) :

٢ - يحيى بن المنذر (المظفر) ٤١٤ - ٤٢٠ هـ (= ١٠٢٣ - ١٠٢٩ م) .

٣ - المنذر بن يحيى بن المنذر (معز الدولة) ٤٢٠ - ٤٢٦ هـ (= ١٠٢٩ - ١٠٣٩ م) .

(ب) بنو هود

١ - سلمان بن محمد بن هود (المستعين) ٤٣١ - ٤٣٨ هـ (= ١٠٣٩ - ١٠٤٦ م) .

٢ - أحمد بن سليمان (المقتدر) ٤٣٨ - ٤٧٤ هـ (= ١٠٤٦ - ١٠٨١ م) .

٣ - يوسف بن أحمد (المؤتمن) ٤٧٤ - ٤٧٨ هـ (= ١٠٨١ - ١٠٨٥ م) .

٤ - أحمد بن يوسف (المستعين) ٤٧٨ - ٥٠٤ هـ (= ١٠٨٥ - ١١١٠ م) .

٥ - عبد الملك بن أحمد (عماد الدولة) ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م .

واستولى المرابطون على سرقسطة سنة ١١١٠ م ثم انتقلت الى حوزة
النصارى سنة ٥١٢ هـ (= ١١١٨ م) .

١٨ - مملكة السهلة

بنو رزين

١ - هذيل بن خلف بن رزين ٤٠٣ - ٤٢٧ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٤٥ م) .

٢ - عبد الملك بن هذيل ٤٢٧ - ٤٩٧ هـ (= ١٠٤٥ - ١١٠٣ م) .

- ٣ - يحيى بن عبد الملك ٤٩٧ - ٤٩٨ هـ (= ١١٠٣ - ١١٠٤ م) .
 ثم انتقلت السهلة الى حوزة المرابطين .

١٩ مملكة البونت

بنو قاسم

- ١ - عبد الله بن قاسم (نظام الدولة) وقد ظل في الحكم حتى سنة ٤٢١ هـ (= ١٠٣٠ م) .
 ٢ - محمد بن عبد الله (يمين الدولة)
 ٣ - أحمد بن محمد (عضد الدولة)
 ٤ - عبد الله بن محمد (جناح الدولة)
 وقد دخلت مملكة البونت تحت حكم المرابطين .

٢٠ - مملكة بلنسية

- ١ - ٢ مبارك والمظفر الصقليين :
 ٤٠٧ - ٤١٢ هـ (= ١٠١٦ - ١٠٢١ م) .
 ٣ - ٤ لبيب الصقلي صاحب طرطوشة .
 ٥ - عبد العزيز بن أبي عامر (المنصور) ٤٠٧ - ٤١٢ هـ (= ١٠١٦ - ١٠٢١ م) .
 ٦ - عبد الملك بن عبد العزيز (نظام الدولة) ٤٥٣ - ٤٥٨ هـ (= ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) .
 ثم ضمت بلنسية الى مملكة طليطلة وأصبح المأمون حاكما لطليطلة
 ٤٥٨ - ٤٦٩ هـ (= ١٠٦٥ - ١٠٧٦ م) .
 ثم انفصلت بلنسية عن طليطلة .
 ٧ - أبو بكر بن عبد العزيز ٤٦٩ - ٤٧٨ هـ (= ١٠٧٦ - ١٠٨٥ م) .
 ٨ - عثمان بن أبي بكر ٤٧٨ هـ (= ١٠٨٥ م) .
 ٩ - يحيى القادر : ملك طليطلة السابق ٤٧٦ - ٤٨٥ هـ (= ١٠٨٤ - ١٠٩٣ م) .

- ١٠ - جعفر بن جفاف ٤٨٥ - ٤٨٨ هـ (= ١٠٩٢ - ١٠٩٥ م) .
 - ١١ - السيد ٤٨٨ - ٤٩٦ هـ (= ١٠٩٥ - ١١٠٢ م) .
- ثم آلت بلنسية الى المرابطين .

٢١ - مملكة دانية وجزر البليار

- ١ - مجاهد (الموفق) ٤٠ - ٤٣٦ هـ (= ١٠٠٩ - ١٠٤٤ م) .
 - ٢ - علي بن مجاهد (اقبال الدولة) ٤٣٦ - ٤٦٩ هـ (= ١٠٤٤ - ١٠٧٦ م) .
- ثم ضمت مملكة دانية الى مملكة سرقسطة فأصبح يحكمها :
- ٣ - المقتدر السرقسطى ٤٦٩ - ٤٧٤ هـ (= ١٠٧٦ - ١٠٨١ م) .
 - ٤ - المنذر بن المقتدر ٤٧٤ - ٤٨٤ هـ (= ١٠٨١ - ١٠٩١ م) .

٢٢ - مملكة مرسية

- ١ - خيران صاحب المرية ٤٠٣ - ٤١٩ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٢٨ م) .
 - ٢ - زهير صاحب المرية ٤١٩ - ٤٣٠ هـ (= ١٠٢٨ - ١٠٣٨ م) .
 - ٣ - عبد العزيز المنصور (من بلنسية) ٤٣٠ - ٤٥٣ هـ (= ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) .
 - ٤ - عبد الملك المظفر (من بلنسية) ٤٥٣ - ٤٥٨ هـ (= ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) .
- وفى أيام هؤلاء الثلاثة الحكام كان أبو بكر أحمد بن طاهر حاكم مرسية ثم مات سنة ١٠٦٣ م (= ٤٥٥ هـ) .
- ثم خلفه ولده محمد ٤٥٥ - ٤٧١ هـ (= ١٠٦٣ - ١٠٧٨ م) .
- ثم المعتمد الأشبيلي ووزيره ابن عمار وابن رشيق حتى سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠٩٠ م) .

٢٣ - مملكة المرية

- ١ - خيران : ٤٠٣ - ٤١٩ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٢٨ م) .

- ٢ - زهير ٤١٩ - ٤٣٠ هـ (= ١٠٢٨ - ١٠٣٨ م) .
 ٣ - عبد العزيز المنصور من بلنسية ٤٣٠ - ٤٣٣ هـ (= ١٠٣٨ - ١٠٤١ م) .

بنو تجيب (بنو صمادح)

(يضم التاء وفتح الجيم وسكون الياء)

- ٤ - معن بن محمد بن صمادح ٤٣٣ - ٤٤٣ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥١ م) .
 ٥ - محمد بن معن (المعتصم) ٤٣٣ - ٤٨٤ هـ (= ١٠٥١ - ١٠٩١ م) .
 ٦ - أحمد بن محمد (معز الدولة) ٤٨٤ هـ (= ١٠٩١ م) .
 ثم انتقلت المرية الى يد المرابطين .

ملحق بالرسمين العربي واللاتيني
للمن والأعلام الواردة في هذا الكتاب
بأجزائه الثلاثة

ثبت باسماء الأعلام والأماكن حسب رسمها
العربي واللاتيني

Acci	وادي البقاع
Achila	وقلة
Aciscle	أسكيل
Airos	أيرش
Alafoens	حصن الأخوين
Alanje	قلعة الحنش
Alava	اليرة
Albarracin	السهلة • شنت مرية الشرق
Alacacer de Sol.	قصر أبي دانس
Alcala	القلعة
Alcala de Guadaira	قلعة وادي أبره
Alcala la Real	قلعة يحصب
Alcala de Guadaira	قلعة وادي أيرة
Alcira	جزيرة شقر
Alcoba	القبعة
Alcubilla	حصن القبيلة
Alcedo	الليط - اللييط (حصن)
Algarve	الغرب (غرب الأندلس)
Algeciras	الجزيرة الخضراء
Alger	الجزائر
Alhama	حصن الحامة
Alhandega	الخنديق
Alhambra	الحمراء
Alicante	القنيط - لقنت

Aljarafe	الشرف (من أعلى اشبيلية)
Aila	أيلة
Almazare	المصارة - المعصرة
Almería	المرية
Almodaver	حصن المدور
Almohades	الموحدون
Almoravides	المرايطون
Almunecar	المنكب
Alphonse	أنفونش (ألفونس)
Alpuente	ألبنت
Andujar	اندوشر
Angelino	بنو انجلين
Anzalcazar	حصن القصر
Aqua Portora	أقوة برطرة
Aragon	أرغونة
Archidoan	أرشذونة
Arcila	أصيلة
Arcos	أركش
Armillá	أرملة
Artavasdes	أرطباس
Arzila	أرزيلة
Asturias	أشتوريش
Atienza	أنتسة
Aurore	صبح (أم السلطان هشام المعروف بالثاني)
Avempace	ابن باجة
Badajoz	بطليوس
Baena	بيانة
Bactica	باطقة
Baeza	بياسة
Bakdura	بقدورة (أو نقدورة)
Baléares	جزائر البليار - الجزائر الشرقية
Baltana	بلتنة

Banos (los)	الحامة
Barbastro	حصن بربشتر • (حصن بوبشتر)
Barcelona	برشلونة
Basques	البشكنس (البشقاوية)
Bayona	بونة
Baza	بازة
Beja	باجة
Belda	يلده
Bembuzar	بلنيسر (بكسر الباء واللام وسكون النون ثم باء وفتح السين ، وهى عند ابن ابي القوطية : نهر وادى قيس)
Benadalid	بنو خالد
Boabdil	أبو عبد الله (آخر ملوك غرناطة)
Babastro	بربشتر (أو بوبشتر) (البلد)
Bougie	بوجة
Brénes	البحريون
Burgos	برغش
Butr	البتر
Cabra	قبرة
Cadiz	قادس
Calabre	قلورية (أو قلهورية)
Calahorra	« (أو قلهورة أو قلهرة)
Calatayud	قلعة أيوب
Calatrava	قلعة رباح
Calle (la)	مرسى الخرز
Calsena	قلسانة
Campagne de la puissance suprême	غزوة القدرة
Campo de Calatrava	فحص البلوط
Campina	القنباينة
Canéte	قنيط
Canéte la Real	قلعة قنيط
Cantos	لقنت

Carabolia	كركبولية
Carabuey	« «
Caracuel	كركى (عند صاحب مرصد الاطلاع ولكنها كركر عند
Carcassonne	ابن عذارى ، وكرافرى عند الادريسى)
Carcastillo	قرقشونة
Cormona	قرقستال
Carteya	قرمونة
Carthagène	قرطاجنة
Cartagonova	قرطاجنة الجديدة
Castille	قشتالة
Castilla la Vieja	عقبة البقر (قشتالة القديمة)
Castille de Bachar	عقبة البقر
Castillon (el-)	حصن بوبشترو
Castro Moros	قشترمورش
Castro de Santaver	قلعة شنت برية
Catalogne	قطالونيا
Cazlona	حصن قسطلونة
Cerdagne	سرطانييس أو سرطانية أو سردانية
Ceuta	سبتة
Le Cid	السيد • القمبياطور
Clunia	قلونية
Chaboras	الخابور
Charlemagne	شارلة (شلمان)
Chintila	شندلة
Coimbra	قلمرية أو قلمرية
Colombera	قلمبيرة • قلمبيرة
Comares	قمارش
Coria	قورة
Cordove	قرطبة
Crête	جزيرة اقريطش (كريت)

Cuenca	كونكة • قونكة
Cutelobera	قطلبرة
Dénia	دانية
Djarnacas	شرنكاس (جبل قرب طليطلة)
Djehane	جهان (المغنية)
Duero	نهر دويرة
Ebra	نهر ابرو
Egilona	أيلة
Ejea	شبة
Eclja	استجة
Ejea	شبة
Eilo	اله
Elvira	البيرة
Emèse	حمص
Empedocles	امبيدوكليس
Espararaguera	حصن اشبرغرة
Estepa	اشتبيط
Euphrate	الفرات
Evora	يابرة (لاروة ؟)
Falces	فالجش
Favila	فافلة
Fuente de Cantos	لقنت
Finana	فنت طحنة
Fortunio	فرتون
Froila	فرويلة
Frontière	بلاد الثغر
Funtin	الفونتين
Gabes	قابس
Gades	قادس
Galice	جليقية
Galicia	جليقية
Garcia	غرسية

Gaton	غثون
Génil	شنيل (نهر)
Gibraleon	جبل العيون
Gijon	حيجون
Guidad Rodrigo	نيودارو رودريجو
Gomez	قومس
Grenade	غرناطة
Guadal Bullon	وادي بلون
Guadacelet	وادي لكة
Guadaira	وادي ايره
Guadalete	وادي الفتاح
Guadalquivir	الوادي الكبير
Guadarrama	وادي الرمل
Guadiana	الوادي الياض
Quadiela	نهر اليه
Guadimellato	ارملاط
Guadalajara	وادي الحجارة
Guadix	وادي آشي
Guazalate	وادي السليط
Halaet	حصن ليط
Huebar	وبر
Huesca	وشقة
Huelva	ولبة (انية)
Hyacinthe	برلنت
Isle Verde	جزيرة أم حكيم
Iviza	يابسة
Iznájar	حصن أشر
Jaen	جيان
Janda	بحيرة جاندأ
Jarama	وادي شرنبة

Jativa	شاطبة
Jean	جيان
Jerez	شريش
Jodar	شوندر
Jorge	بنو الجريج
Juviles	شبالس
Julian	خوليان (أوبوليان)
Kantis	قنتيش • قنطيش
Lacant	لقنت
Lago de la Janda	بحيرة جاندا
Lebrija	نبريشة
Lerida	لاردة
Lisbonne	لشبونة
Loja	لوشة
Lorca	لورقة
Lucene	لاشانة
Luque	حصن اقوط
Lusitania	لشتانية
Mairena	مورة
Majorque	ميورقة
Malaga	مالقة
El-malo	الخبيث (اردون)
La Mancha	لامنقة
Margueritte	حصن مرغيطة
Martinez	بنو مردنيش • حصن بنى مردنيش
Medellin	مدلين
Medinaceli	مدينة سالم
Menjibar	منجبار

Medina Sidonia	مدينة شذونة
Menteleon	حصن المتلون
Mentesa	حصن منتشة
Merida	ماردة
Mertola	مارتلة
Minho	منهو (نهر)
Minorque	منورقة
Mola	حصن مولة
Monteaguido	حصن منت اقيط
Montefique	حصن منت فيقي
Montemor	حصن منت ميور
Mula	مولة
Narbonne	أربونة
Noalejo	حصن نوالش
Nicbla	نبلية
Osconoba	أكشونية
Orihuela	أوريولة
Urraque	أراق (أو أوراك زوجة الفونس)
Pampluna	بنبلونة
Paterna	بطرنة
Pelayo	بلاى
Pelage	بلاى (زعيم عصبة التوار ضد الفتح الاسلامى)
Peralta	بيطرة التة
Parcela	البراجلة
Pierre sèche	عبد الله البطرشك
Poitier	تور أو بواتيه
Polei (Poley)	بلاى (حصن وبلد)
Recemundo	الربيع زيد بن (بريسيموندو)
Reigo	رية

Reuda	رويطة
Rodrigo	لنزيق
Roncevaux	باب شيزروا
Ronda	رندة
Rotenda	سجين رندة
Rota	روطة
San Asciclo	كنيسة شنت اشكيل (أو أسكيل)
Sebarico	ينو شبرقة
Sacralias	وقعة زلاقة
Salado	وادي بكة
Salamanca	شلمنقة
Salamanque	« «
Saltés	جزيرة سلطيش
Sancho	شنجة • شانجة
Sanchol	عبد الزحمن بن المصور
San Estevan de Gormez	شنت اشنتين (شنت مورش)
San Martin	شنت مرلين
San Payo	شنت بلاية
San Viceate	كنيسة شنت بنجنت
Sant Maria	شنت موية
Santa Maria de Lugo	قلعة لك
Santa Maria d'Aljarav	شنت موية الغرب
Santarem	شنترين
Santa Rufina	كنيسة شنت رافنية (أو ريينة)
Santiago	شنت ياقب
Saragosse	سرقسطة
Sarambo	وادي شرمبة
Sarra la Gothe	سارة القوطية
Saül	شاؤل
Secuda	شقندة
Segura	شقدمرة
Segoyuela	السواقي
Sened	شند

Servando	شبرنيد
Seville	اشبيلية
Sidona	شدونة
Sierra Morena	جبل الشارات
Sieta Filla	شنت فيلة
Silves	شلب
Simances	شنت مانكش (وقعة الخندق)
Sindola	شندلة
Slaves	الصقالبة
Somontin	جبل شنتمان
Sontebria	شنت برية
Sufetula	سبيلية
Tage	نهر تاجه
Scrundo	شربند (بن حجاج القومس)
Takrunna	تاكرونا
Talavera	طلبيرة
Tanger	طنجة
Tarascon	طرسكونة
Tejiare	تليارة
Tocina	طشانة
Teodomiro Ben Ergobado	تدمير بن عبدوش
Toledo	طليلة
Torre-Cardela	حصن قرديرة
Torrox	طرش
Tortosa	طربوشة
Tota	طوطة (ارملة شانجة الكبير)
Toulouse	طولوشة

Trafalgar	الطرف الأغر
Trijillo	ترجيلة
Triana	طريانة
Tudela	تطيلة
Tudmir	تدمير
Ulla	أيلة
Umba	أونبة
Valmuza	وادی موسى
Villabaruz	حصن بارو
Villena	بلانة
Witiza	غيطشة

المصادر والمراجع المستعملة
في الأصل والترجمة
للأجزاء الثلاثة

١ - المصادر العربية

- ابن الأبار : الحلة السيرة نشره دوزى فى
Notices sur quelques manuscrits arabes, Lyden, 1847-1851
- ابن الأبار : كتاب التكملة لكتاب الصلة ، حققه A. Bel ، ومحمد
ابن شنب (ج ١) ، الجزائر ، وانظر بقيته ، ج ٥ ، ٦ ، تحقيق
F. CODERA (Complementum libri Assilah), Bibl. Ar. Hisp., t. V-VI,
Madrid, 1887; éd. M. ALARCON et A. GONZALEZ PALEN-
CIA, (app. à l'éd. CODERA), dans Miscelaneu de estudios y
textos arabes, Madrid, 1915.
- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (تحقيق ج . تورنبرج ، ليدن
١٨٦٧ - ١٨٧٦ ، وانظر القسم الخاص بالمغرب واسبانيا تحقيق
E. FAGNAN, Annales de Maghreb et de l'Espagne, ترجمة
Alger, 1901.
- الادريسي : نزهة المشتاق نشره دوزى ودى خويه بعنوان :
Nuzhat al-mustak, Description de l'Afrique et de l'Espagne, Lyden,
1866.
- أحمد بن أبى يعقوب : كتاب البلدان ، حققه ونشره دى خويه فى
Bibl. George, Arab. الجزء السابع من مجموعة
- اخبار مجموعة ، نشر محققا ومترجما الى الاسبانية بقلم لافونت
الكانترا ، مدريد ١٨٦٧ .

- أبو اسماعيل البصرى : فتوح الشام ، نشره Lees ، فى كلكتا
بالبهند ، ١٨٥٤ فى مجموعة Bibliotheca Indica
- الاصطخرى : كتاب مسالك الممالك ، تحقيق دى خويه ، منشور فى
A.G.A., t. I.
- ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، القاهرة .
- ابن بدرى : قصيدة ابن عبدون ، منشور بعنوان :
Commentaire historique sur le poème d'Ibn-Abdoun, pub. par R.
Dozy, Leyde, 1846.
- ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ مخطوط باريس ، و ج ٢ مخطوط
اكسفورد ، ج ٣ مخطوط جوته ، ونشره بالعربية د. شوقى ضيف
و د. عبد العزيز الأهوانى .
- ابن بطوطة : الرحلة حقت ونشرت بعنوان :
Voyages, ed. Defremery et Sanguinetti, Paris, 1853 et suiv.
- ابن بشكوال : كتاب الصلة ، حققه ونشره كوديرا بعنوان :
(Abenpascualis : Assila., Bibl. Ar. Hisp., t. I-II. Madrid, 1883.
- تاريخ ابن حبيب (مخطوط اكسفورد ، انظر فهرست مخطوطات
de Nicoll رقم ١٢٧ .
- ابن حزم : طوق الحمامة ، تحقيق Petrof ، ليدن ١٩١٤ .
- ابن حزم : كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، طبع بالقاهرة ،
سنة ١٣١٧ - ١٣٢١ .
- الحميدى : معجم التراجم ، مخطوط رقم Hunt 464 باكسفورد .
- ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك ، طبعة دى خويه فى مجموعة
B.G.A., t. II.
- ابن حيان : كتاب المقتبس فى أخبار الأندلس (مخطوط بمكتبة
جامعة اكسفورد ، بودليان ، رقم ٥٠٩ ، نشره M. Antisna
- ابن خاقان : قلائد العقيان (طبعة باريس) ، ومطبع الأنفس ، طبعة
القاهرة .

— الخشني : كتاب قضاة قرطبة ، نشره وترجمه الى الاسبانية
J. Ribera ، مدريد ١٩١٤ .

— ابن الخطيب : كتاب الاحاطة في تاريخ غرناطة (مخطوطة مكتبة
الاسكوريال برقمى ١٦٧٣ ، ١٦٧٤) ، ونشر فى القاهرة جزء منه
بعنوان مركز الاحاطة ، ١٣٤٧ هـ .

— ابن خلدون : كتاب العبر (حققه دى سلين ونشره بالجزائر بعنوان
Hist. des Berbercs ١٨٤٧ - ١٨٥١ ، ثم قام بترجمته الى

الفرنسية ونشره بالجزائر سنة ١٨٥٢ - ١٨٥٦ ، وانظر طبعة
القاهرة للمقدمة وترجمتها بقلم كاترمير ودى سلين .

— ابن خلكان : وفيات الأعيان : (تحقيق فوستنفلد) طبعة جوتنجن ،
١٨٣٥ - ١٨٤٣ .

— ابن خير : الفهرست ، نشره كوديرا وريبيرا فى
Index liborum de divers Scientiarum ordinabus.
ج ٩ ، ١٠ ، مدريد ١٨٩٥ .

— ديوان الحماسة ، حققه ونشره فريتاج فى بون ١٨٢٨ بعنوان :
Hamasa Carmina.

— الرازى : ترجمته الاسبانية بعنوان
Cronica del Moro Rasis (les memorias de la Academia de la
Historia, t. VIII.

— ربحان الألباب (مخطوط بمكتبة ليدن) ، رقم ٤١٥ ، وانظر
Dozy Catalogue, t. I., pp. 268-269.

— ابن أبى زرع : روض القرطاس ، نشره تورنبرج فى أوبسالا سنة
١٨٤٣ بعنوان : Annales regnum mauritaniae

— سعيد الطليطلى : طبقات الأمم (تحقيق لويس شيوخو) ، بيروت
١٩١٢ .

— الشهرستاني : الملل والنحل ، حققه ونشره W. Cureton فى لندن
Book of Religions and Philosophical Sects. : بعنوان ١٨٤٢

المسلمون ج ٣ - ٢٤٦

- الضبى : بغية الملتبس فى تاريخ رجال أهل الأندلس حققه ونشره
F. CODERA et J. RIBERA (*Desiderium quaerentis historiam virorum
populi Andalusiae*), *Bibl. Ar. Hisp.*, t. III, Madrid, 1885.
- الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق دى خويه ، ليدن ١٨٧٩ -
١٩٠١ .
- ابن عبد الحكم : تاريخ فتح الأندلس (النص العربى) ، وترجم
قسما منه J. H. Jones ل لندن ، ١٨٥٨ ، وأتم ترجمته Torrey
الى الانجليزية .
- عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق
دوزى ، وانظر ترجمته الانجليزية بعنوان : *The History of the
Almohades* ، ليدن ١٨٤٥ ، وأيضا ترجمته الفرنسية :
- E. Fagnan : *Hist des Almohades, Algiers, 1893.*
- ابن عذارى : كتاب البيان المغرب فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب ،
نشر دوزى الجزءين الأول والثانى منه بعنوان :
- Hist. de l'Afrique et de l'Espagne intitulée al-Bayano' l'mogrib, Leyde,
1848-1851.*
- وترجمه الى الفرنسية فانيان ، (الجزائر ١٩٠١ - ١٩٠٤) ، أما
الجزء الثالث فقد حققه ونشره ليفى بروفنسسال ، وطبعه فى
باريس ، ١٩٣٠ .
- الفاكهى : تاريخ مكة (مخطوط بمكتبة ليدن ، رقم ٤٦٣ ، وانظر
Dozy : *Catalogue, t. II, p. 170.*
- فتح الأندلس : مع ترجمته الاسبانية بقلم J. Gonzalez ، طبعة
الجزائر ١٨٨٩ .
- أبو الفرج الأصبهاني : كتاب الأغاني ، طبعة بولاق .
- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس (حققه كوديرا) ونشره بعنوان
Historia vivorum doctorum Andalusiae (Bibl. Ar. Hist)., Vol. VII
et VII. مدريد ١٨٩٢ .
- ابن قتيبة : المعارف (تحقيق ونشر فوستنفلد) ، طبعة جوتنجن ،
١٨٥٠ .

- القزويني : حقه فوستنفلد ونشره في جوتنجن ١٨٤٨ ، بعنوان :
Cosmographie .
- ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، نشره ريبيرا بالعربية مع ترجمة
له بالفرنسية ، وطبع في مدريد ١٩٢٦ .
- أبو المحاسن (ابن تغرى بردى) : حوادث الدهور ، طبعة جينبول ،
ليدن ، ١٨٧٢ وما يليها .
- المسعودي : مروج الذهب ، (٩ أجزاء) ، نشره بالعربية وترجمه
الى الفرنسية باربييه دي مينارد ، ودي كورتيل ، باريس ١٨٦١ -
١٨٧٧ .
- المقرئ : نفع الطيب (تحقيق دوزى و Brell بريل ، و Wright
رايت ، ونشروه بعنوان :
Analectes sur l'Histoire de la litterature des Arabes d'Espagne.
ليدن ١٨٥٥ - ١٨٦١ ، وانظر طبعة بولاق ١٢٧٩ هـ .
- النووى : تحقيق فوستنفلد ، جوتنجن ، ١٨٤٢ - ١٨٤٧ .
- النويرى (القسم الخاص بتاريخ الأندلس) حقه وترجمه الى
الاسبانية Gaspar Remiro ، غرناطة ، ١٩١٧ - ١٩١٩ .
- ياقوت الحموى : معجم البلدان (تحقيق ونشر فوستنفلد) ،
ليبزج ، ١٨٦٦ .

ALVARO, *Vita Enlogii*, dans l'Esp. sagr., t. X ; *Epistolae, Indiculus
luminosus*, *ibid.*, t. XI.

Annales Complutenses, dans l'Esp. sagr., t. XXIII.

Annales Compostellani, dans l'Esp. Sagr., t. XIII.

Annales Toledanos, dans l'Esp. sagr., t. XXIII.

BERGANZA, *Antiguedades de Espana*, Madrid, 1719.

Chronicon Adefonsi Imperatoris, dans l'Esp. sagr., t. XXI.

Chronicon Albeldense, *ibid.*, t. XIII.

Chronicon Burgense, *ibid.*, t. XXIII.

Chronicon de Cardena, *ibid.*, t. XXIII.

Chronicon Complutense, *ibid.*, t. XXIII.

Chronicon Compostellanum, *ibid.*, t. XXIII.

Chronicon Conimbricense, *ibid.*, t. XXIII.

Chronicon Iriense, *ibid.*, t. XX.

Chronicon Lusitanum, *ibid.*, t. XIV.

Espana sagrada, éd. Flores, Risco, etc., Madrid, 1747-1879. 51 vol.

EULOGIE Opera, in Schot, *Hispania illustrata*, t. IV, ed éd. A. DE
MORALES, Francfort, 1603-08, Alcala de Henares, 1574.

Historia Compostellana, dans l'Esp. sagr., t. XX.

IDATIUS, *Chronicon*, *ibid.*, t. IV.

ISIDORE DE BEJA, *ibid.*, t. VIII, éd. TAILHAN, *L'Anonyme de
Cordoue*, Paris, 1885.

SIODORE DE SEVILLE, *Historia Gothorum*, *ibid.*, t. VI.

LUCAS DE TUY, *Chronicon mundi*, in SCHOT, *Hispania illustrata*,
t. IV.

Manuscrit de Meya, dans les *Memorias de la Academia de la Historia*,
t. IV.

- MOINE DE SILOS**, *Chronicon*, dans l'Esp. sacr., t.XVII.
- PAULUS EMERITENSIS**, *De vita P. P. Emeritensium*, *Ibid.*, t. XIII.
- PELAGE D'OVIEDO**, *Chronicon regum legionensium*, *ibid.*, t. XIV.
- RODRIGUE DE TOLEDE**, *De rebus hispanicis*, in SCHOT, *Hispania illustrate*, t. II; *Historia Arabum*, in Elmacini *Historia Saracenicæ* ed. ERPENIUS.
- Sampiro, *Chronicon* (dans l'Esp. Sacr., t. XIV).
- SAMSON**, *Apologeticus*, *ibid.*, t. XI.
- SEBASTIEN**, *Chronicon*, *ibid.*, t. XIII.
- SOTA**, *Chronica de los principes de Asturias y Cantabria*, Madrid, 1681.
- Vita Beatae Virginis Argenteae*, dans l'Esp. sacr., t. X.
- Vita Johannis Gorziensis*, dans Pertz, *Monumenta Germaniæ*, t. IV des *Scriptores*.

المسلمون في الأندلس

كشاف عام

للأجزاء الثلاثة

من الترجمة العربية

كشاف عام للأجزاء الثلاثة
من كتاب المسلمون في الأندلس

- أحياء علوم الدين للغزالي : ١٦١/٣
 الأحيىمير : ١٨٩/١
 الأدب العبرى : ٢٤ ، ٢٣/٣
 الأدب العربى : ١٨٦ ، ٨٦ ، ٨٥/١ ، ٢٤
 الأدب اللاتينى : ٨٦ ، ٨٥/١
 الأدارسة : ٢٤٧ ، ٧٩ - ٧٧/٢
 ادريس أمير مالقة : ٣٤/٣
 ادريس بن يحيى : ٦٩ ، ٦٨/١ ، ١٩٨
 ادريس بن حمود : ١٨ ، ١٧/٣
 ادريس بن يحيى بن على بن حمود :
 ٤٥ - ٤٢/٣
 آدم (عليه السلام) : ٩/٢
 أديلارد الراهب : ١٢٣ ، ١٢٢/١
 أذربيجان : ٧/٢
 أراجون : ١٦٧/٣
 الارتداد : ١٥٢/١
 أرجنتيا بنت عمر بن حفصون
 المنصرة : ١٣٢ ، ١٢١/١
 أرجونة : ٣٢/٢
 أرداليس : ٢٦١/١
 أردبست الأمير : ٥١/١
 أردونيو بن ألفونس : ١٣٥/١
 ٢٣١ ، ٢٩ - ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٣/٢
 أردونيو الأسقف : ٨٠/٣ ، ٨٢
 الأرز : ١٣١/١
- ابراهيم بن ادريس : ١٢٤/٢
 ابراهيم بن الأغلّب : ١٨٦/١ ، ٢١٠
 ابراهيم بن حجاج : ١٧٩/١ ،
 ١٨٠ ، ٢٠٥ - ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،
 ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ،
 ٢٣٥ ،
 ابراهيم بن خمير : ١٨٤/١
 أبرشية سنت جرمان : ١٢٢/١ ،
 ١٢٤
 الأبنوس ٥١/٣ ، ١٠٦
 الاثنا عشرية (طائفة) : ١٠/٢
 احراق الكتب العربية : ٢٥٠/١
 أحمد بن اسحق : ٣٣ ، ٣٢/٢ ،
 ٢٣٥
 أحمد بن برد الكاتب : ١٩٩/٢
 أحمد بن خالد : ٢١٤/٢
 أحمد بن سلمة : ١٢٤/١
 أحمد بن أبى العباس البربرى :
 ٢٣٢/٢
 أحمد بن محمد بن العباس : ٢/
 ٢٣٦ ، ٢٣٥
 أجيد بن محمد بن أبى عبدة : ٢/
 ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦
 أحمد بن يعلى : ٤٠/٢ ، ٤٧ ، ٥٤ ،
 ٢٣٨
 أحمد بن معاوية الأموى : ٢١٧/٢ ،
 ٢٣٠

اسحق بن ابراهيم بن منتسنة
• الشالية : ٢٢٣/١
• أبو اسحق الألبيري : ٧٥/٣
• اسحق بن محمد بن عبد الله : ٣/٣
• ٥٧

أبو اسحق بن مقانا (قاضي
• بطليوس) : ١٣٠/٣
• اسطبة : ٢٠٩/١
• اسطبل الخليفة : ٦٤/٢
• الأسفنج : ٧١/٢
• أسقف قرطبة : ١٠٩/١
• اسكندرية : ٦٨/١ ، ٢٤٨ ، ٤٦/٢
• ٧٩ ، ٦٦ ،
• الاسلام : ٤/١ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٤ ،
• ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
• ١٨/٢

أسلمة بن عبد العزيز القاضي : ١/١
• ٢٢٦ ، ٢٢٥

• أسماء بنت غالب : ٩٩/٢ ، ١٠٠ ،
• اسماعيل بن ذى النون : ١٤/٣
• اسماعيل بن القاضي محمد : ١٦/٣
• ٣٥ ، ٣٤ ، ١٧ ،
• اسماعيل بن المعتضد : ٧٠/٣
• ٧٤ ، ٧٢

• الاسماعيلية : ٨/٢ - ١١ ، ١٣ ،
• الاسهال : ٩٨/١

• أسوارد الراهب : ١٠٠/١ ، ١٠١ ،
• أسور فرناند الليونى : ٤٣/٢
• آسيا : ١٩٣/٢ ، ١٤/٣ ، ١٥٠ ،

• أشبيلية : ٥/١ ، ٣٢ ، ٤٦ ،
• ١٣٦ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
• ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٥ ،
• ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،
• ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦٥ ،
• ٣٣/٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ،
• ١٩٩ ، ٢٠٥ ،

• أرزيلة : ٢٠٨/١ ، ٧٧/٢ ،
• أرشذونة : ٤٥/١ ، ١٤٦ ، ١٩٧ ،
• ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٠ ،
• ٢٥٩ ، ٢٢٣

• أرسطو : ٣٧/١
• أرغونة : ٢٦١/١ ، ٥٩/٣ ،
• أركش : ٢٠٦/١ ، ٦٢/٣ ، ٦٤ ،
• ٦٨

• أرملة لذريق : ٤٨/١
• الاسبان : ٤/١ ، ٤٦ ، ١٥١ ،
• ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ،
• ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،
• ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٧/٢ ،
• ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ ، ١١١ ،
• ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

• اسبانيا : ٣/١ ، ٤ ، ١٤ ، ١٥ ،
• ٢١ ، ٢٧ ، ٣٠ - ٣٣ ، ٣٥ ،
• ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
• ٥٢ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ٢٤٠ ،
• ٧/٢ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ ،
• ١١١ ، ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
• ١٥/٣ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ،

• اسبرطة : ٢٣٨/١
• الاستتار : ٢٠٧/٢

• استجة : ٤٥/١ ، ١٥١ ، ١٦٨ ،
• ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ،
• ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ،
• ١٥١/٢ ، ٣٤/٣ ، ٣٥ ،

• استرامادورا : ١٨١/١
• استروجا (موضع) : ٣٣/١
• استورقة : ٨٠/٣
• الاستشهاد المسيحي : ٤/١ ، ٩٦ ،
• ١٠٩ ، ١٢٦ ، ١٨٥ ،

• استيلا : ٢٣٣/٢
• اسحق (صاحب قرمونة) : ٥٨/٣

أكاديمية العلوم بسنت بطرسبرج :
١٥/١

أكاديمية العلوم بكوبنهاجن : ١٥/١

أكاديمية لتسي : ١٥/١

أكسفورد : ١١ ، ٩/١

أكشونية : ١٨٢/١ ، ٢٣٤ ، ٢/٢
١٨٩

أكل لحم الكلاب : ١٣٥/١

أكويتانيا : ٢٩/٢

الآلان Allans : ٣٠/١ ، ٣٢ ،
٣٣

الاريك القوطي : ٢٣٨/١

البيرة : ٤٥/١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،

١٤٦ ، ١٥٢ - ١٥٦ ، ١٥٨ -

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ، ٢٠١ -

٢٠٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٣٣ ، ٢٧٦

الالحد : ١٥٢/١

الزانكو (موضع) : ١٦/٢

الطمشكة : ١٦٨/١ ، ١٧٤

الفارو : ٨٧/١ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٣ ،

١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٥٣ ،

٢٥٥ ، ١٥٣/٣

الفارو فاينز : ١٢٨/٣ ، ١٣٢ ،

١٥٣

الفونس ملك ليون : ١٢٦/١ ، ١٣٥ ،

١٣٦ ، ١٤٤

الفونس السابع : ١٦٣/٣ ، ١٦٧ ،

١٦٩

الفونس السادس : ١٠٣/٣ ، ١٠٦ -

١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ - ١٢٩ ،

١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ،

١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ،

١٦٧

الفونس الأول : ١٦/٢

الفونس الثالث : ١٧/٢ ، ١٨ ،

١٣٩

الفونس بن أردونيو الثاني : ٢٩/٢ ،

٣٠

الفونس الرابع : ٣٠/٢ ، ٣١ ،

٤٥٩

اشتبيط : ١٨٣/١

اشتورقة : ١٦/٢ ، ١٢١ ، ١٣٠ ،

اشتوريا : ١٤/٢ ، ١٥ ، ٢٢٩ ،

الاشتوريون : ١٥/٢ ، ٥٠/١ ، ٥٥٠ ،

الأشراف : ٣٧/٢ ، ٨٠ ، ١١٤ ،

١٢٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ١٠/٣ ،

أشونة : ٣٤/٣

أصبغ بن عبد الله بن ونسون : ١/١

٢٤٧

الأصيلي (أبو محمد بن عبد الله

بن ابراهيم الأموي) : ٢٥٤/٢

أصيلة : ١٤٢/٢

الاضطهاد الديني : ٣٨/١ ، ١٥٢ ،

٢٣٧

الأعاجم : ٦٧/١

الاعتقال : ١٨٥/٢ ، ٢٠٧

اعتماد (هي الرميكية) : ٩٢/٣ ،

٩٤

أعمدة هرقل : ١٦٨/٣

الأغالبية : ١٢/٢ ، ٢٢٠/١

الاغتيال : ٩٩/٢

الأغرام : ٢٠٧/٢

الاغريق : ٣٨/٢

أغمات : ١٧٤/٣ - ١٧٧ ، ١٨١ ،

الأفرنج : ٣٢/١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٧ ،

١٤٢ ، ٢٤ ، ١٥/٢ ، ٢٠١ ، ٣٠ ،

٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ،

١٣٧ ، ١٢٤ ، ١٢٢ ، ٨٧ ، ١٧٠ ،

٤٥ ، ٢٤/٣ ، ١٩٨ ، ١٢٩ ،

١٦٣ ، ١٤٠ ، ١٣٤ ، ١٦٨

أفنج بن عروس : ٢٧٤/١

أفيل : ١٦/٢

أقريطش : ٢٤٩/١

أقليم البقاع : ٢٤٢/١

أقليم دوبري : ٦/١

أقليم ليسانا : ١٦/٢

أكاديمية الآثار والآداب الفرنسية :

١١٢/١

أكاديمية التاريخ بمدريد : ١١/١ ،

١٥

- الفونس الخامس : ١٦٢/٢ .
 الفونس القوطي القمص : ١٤١/١ .
 الفيتيس الأسقف : ٨٠/٣٠ - ٨١ .
 الألمان : ٣٨/٢ ، ٢٣٦/١ .
 ألمانيا : ٣٦ ، ١٤ ، ٩ ، ٨/١ ، ٣٩/٢ ، ١٣٩ ، ٥٧ ، ٥٣ .
 المرية : ٢٦ ، ٢١ ، ١٧ ، ١٥/٣ ، ٢٧ ، ١٢٩ ، ٧٥ ، ٣٣ ، ٢٩ ، ١٢٢ ، ١٤٢ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٦٨ ، ١٦٤ ، ١٥٦ ، ١٧٧ .
 اليزابث (عمه ايساك الراهب) : ١٠٠/١ .
 أم القرى : ١١٦/٣ .
 امارة كنتمونتنا : ١٥/٢ .
 امارى (ميشيل) : ٢٤٣/١ .
 الأمالى (للقالى) : ٦٧/٢ .
 الامام مالك بن أنس : ٧٠ ، ٥٨/١ ، ٩/٢ .
 الامام المستور : ٩/٢ .
 الأمان : ٢٢٣ ، ٢٠٣ ، ١٧٣/١ ، ٨٢/٣ ، ٢٣٥/٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ .
 الامبراطور أوجستوس : ٢٣٨/١ .
 الامبراطور قسطنطين الأول : ٢٨/١ ، ٤٩ ، ٣٧ ، ٣١ .
 الإمبراطورية الايرانية : ٧/٢ .
 الامبراطورية البيزنطية : ٦٨/١ .
 أمبيد وكليس : ٢٨٨ ، ١٣/٢ .
 الأمويون : ١٨١ ، ١٤٦ ، ٦١/١ ، ١٥١ ، ٧٧/٢ ، ٢٢٧ ، ١٩٤ ، ١٩٢ - ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٦ .
 أمية (أخو جعفر) : ١٧١ ، ٨٠/١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٩ - ١٨١ .
 أمية بن اسحق : ١٣٥ ، ٣٣/٢ .
 أمية بن عبد الرحمن العراقى : ٢٢٤ - ٢٢١ .
 الأمير (لقب) : ٣٠/٢ .
- أمير المؤمنين (لقب الناصر لدين الله) : ٣٠/٢ .
 أمين الخولى : ٢٤٥/١ .
 الأناجيل : ١٠٣ ، ١٠٢ ، ٨٥/١ ، ١٣٨ .
 أنتونيا كونديه : ١٠/١ .
 أنتيزة : ٢٤/٢ .
 انجلترا : ٩/١ .
 انجلمان (العالم الهولندى) : ١٢/١ .
 انجيل متى : ٨٩/١ .
 اندروجر : ١٢١/١ .
 الأندلس : ٦٨ ، ١٠ ، ٩ ، ٦/١ ، ٧٠ ، ١٢/٢ ، ١٣ ، ٢٥ ، ١٠/٣ .
 ١٦٣ ، ١٤٢ - ١٤٠ ، ٤٥ ، ٣٣ .
 الأندلسيون : ٦٩/١ .
 اندوشر : ١٦٨/٣ .
 انيادة فرجيل : ٢٥٢/١ .
 أنيتا كايزر (السيدة) : ٢٣/١ .
 اهدار الدم : ١٤٩/٢ .
 أهل السنة : ١٣ ، ١٠/٢ .
 أهل الكلام : ٢٢٨/٢ .
 أوباش (أخو غيطشة) : ٤٦/١ .
 أوتو الأول (امبراطور ألمانيا) : ٢/٢ ، ٢٣٦ ، ٣٧ .
 أوتيه : ١٦٨/٣ .
 أوخوس (الشاعر) : ١١١/١ .
 أودو (أمير أكويتانيا) : ٢٢٩/٢ .
 أوراك بنت فرناند كونثالث أرملة أردونيو الثالث ، ثم تزوجت أردونيو الرابع) : ٤٢/٢ ، ٥١ ، ٢٣٩ .
 أوربة : ١٣/١ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢/٢ ، ١٣٨ .
 أوريلوس (القديس) : ١٢٣/١ ، ٢٥٨ ، ١٢٤ .

- ٢٦/٣ - ٣٠ ، ٣٤ - ٣٧ ، ٤٥ ،
- ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ،
- ٧٢ - ٧٦ ، ١٤٣ - ١٤٨ ،
- الباز الأشهب (البص) : ٩٩/٣ -
- ١٠١
- بازو : ١٣٩/٢ ، ١٣٩/٣ ، ١٦/٢
- ٢٦١
- بايزو : ١٦٨/٣
- بازيل : ٣٢١/١
- البتر : ١٧١/١
- البحر الأبيض المتوسط : ٦٨/١
- البحر الأسود : ٣٨/٢
- البحيرة : ٤٤ ، ٢٤٢
- البخل : ١١٩/١
- بدر بن أحمد الحاجب : ٢٦/٢ ، ٨٧ ،
- بدر الدين الحاجب الصقلبي : ١/١
- ٢٢٦ - ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢١١/١
- ابن بدرون : ٩/١
- بدرية الدخاخي : ٢٣/١
- بدو الليط : ١٣٢/٣
- بر العدو : ٤١/٣
- براجا : ٣٣ ، ٣٢/١ ، ١٦/٢
- البرانس : ٣١/١
- برانس قرمونة : ١٦٨/١
- البربر : ٣٩/١ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٧٢ ،
- ٨٠ ، ١٣٥ ، ١٨١ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ ،
- ١١/٢ ، ١٦ - ١٩ ، ٤١ ، ٧٨ ،
- ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ،
- ١٤٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ،
- ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨١ ،
- ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،
- ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ - ١٩٩

- الأوزاعي : ٢٤٥/١
- أوزو (بول) : ٣٤/١
- الأوقاف : ١٩٥ ، ١٩٤/٢
- أونولون (أخت أيولوج) : ٨٩/١ ،
- ١٢٤ ، ١٢٥
- أيجيكا الملك : ٣٨/١
- ايريه : ١٤١ ، ١٣٨/٢
- ايزيدور (أسقف أشبيلية) : ١/١
- ٣٧ ، ٢٤٠ ، ٨٠/٣ - ٨٢
- ايزيدور (أسقف الفرما) : ٣٧/١
- ايزيدور الباجي : ٤٨/١ ، ٢٤١
- ايساك الراهب : ١٠١/١
- ايطاليا : ٢٣٦/١ ، ٣٨/٢ ، ٥٧ ،
- ١٣٩ ، ٧/٣
- الأيل (حيوان) : ١٢٩/٢
- أيولوج : ٨٥/١ - ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٥ ،
- ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ - ١٠٧ ،
- ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ -
- ١٢٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ - ٢٥٥
- باب الجسر : ٦٧/١
- باب الحديد : ٩٠/٢
- باب الحمام بالقصر : ٢١٤/٢
- باب السدرة : ٦٢/٢ ، ٩٠
- باب شيزروا : ٢٣٣/٢
- باب الفصيل : ١٨٧/١
- باب القنطرة : ١٨٧/١
- البابا ليو الأول : ٢٦١/٢
- البابا ليو الثالث : ١٣٨/٢
- باجة : ٤٨/١ ، ١٨٢ ، ٢٣٤ ، ٢/٢
- ١٧٩ ، ١٢/٣
- ابن باجة : ١٦٦/٣
- باجوداي (أي الفلاحون) : ٢٣٧/١
- باديس بن حبوس : ١١/١ ، ١٢٤ ،

- برقة : ١٢/٢ ، برلنت (غلام السلطان) : ٥٩/١ ، ٦٦ ، برليون (مطران سرقسطة) : ٣٦/١ ، برمان بن يزيد : ١٥٠/٢ ، برميدو الثاني (ملك ليون) : ٢/٢ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، برهون العبد : ٣٦/٣ ، بريهة بنت أبي برطل التميمي : ٢/٢ ، ٧٣ ، البرزياني (أبو عبد الله) : ٧٠/٣ ، ٧١ ، بزنط : ٢٤٦/١ ، أبو البسام الكاتب : ٧١ ، ٧٠/١ ، يسون (سم الملوك) : ٩٨/١ ، البشكنس : ٣٢/١ ، ٢٣٣/٢ ، البطرشك (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد) : ١١٦/٢ ، ١٣٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، بطرنة : ٨٢/٣ ، بطليوس : ١٣٤/١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ٢٣٤ ، ٤٠/٢ ، ٧٣ ، ٧/٣ ، ١٢ ، ١٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، البعل الشاعر (عبد الرحمن ابن أحمد) : ١٦٢/١ ، ٢٦٢ ، البقال : ٧٨/١ ، ١٤٧ ، ١٧٢ ، ٢/٢ ، ١٧٣ ، بغداد : ٧٦/١ ، ٧٧ ، ٢١٢ ، ٢٧١ ، ٢/٢ ، ٥٦/٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٥٠ ، ٣/٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ، بفتريرة : ٢٧٤/١ ، ابن بقنة : ٢٥/٣ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤١ ، ٣٤ ، ٣٠ ، بربر البتر : ١٦٨/١ ، بربر البرانس : ١٦٧/١ ، بربر برانس جنيد : ١٧٠/١ ، ١٧٩ ، بربر رندة : ٤٥/٣ ، بربر الساحل : ٢٦/٢ ، بربر طنجة : ٢٢٠/١ ، بربر غرناطة : ٤٦/٣ ، بربر قادش : ١٦٧/٣ ، بربر قرمونة : ١٢/٣ ، ١٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، بربر كتامة : ١٨١/١ ، بربر مادلين : ١٦٧/١ ، بربر ماردة : ١٦٧/١ ، ١٦٨ ، بربر بنى المهلب : ٢٣٣/١ ، بربر مورور : ١٧١/١ ، البرتغال : ١٨٢/١ ، ١٣٩/٢ ، البرتغال : ١٣١/١ ، ٢١٩ ، برج ابن خلدون : ٢٦٥/١ ، برج قادش : ١٦٧/٣ ، برج كورتيانا : ٢٤٢/١ ، البرجوازية : ٢٧/١ ، ابن برد (أبو حفص ... الكاتب) : ١٦٢/٢ ، يرشلفون : ١٢٢/١ ، ١٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢/٢ ، ١٢٢/٢ ، ١٤٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، يرغش : ٣١/٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، يرفكتوس القسيس : ٩٥/١ - ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٨ ،

- بنو الأقطس : ٧/٣
- بنو حمود : ٧/٣ ، ٩ ، ٤١
- بنو ذو النون : ٨/٣
- بنو سهيل : ١١٨/٣
- بنو عماد : ١٠/٣
- بنو ماكسن : ٣٥/٣
- بنو مزين : ٩٥/٣
- بنو هود : ٧/٣ ، ١٦٦
- بنو يفرن : ٨/٣
- بهير (زوجة الأمير عبد الرحمن) : ٩٧/١
- بوشسترو (وانظر حصن) : ١٨٣ ، ١٥٩ ، ١٥١ ، ١٤٤/١
- ١٩٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤
- ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥
- ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٨٣/٣
- بورتو : ١٦/٢
- بول أورور الكاهن : ٣٣/١ ، ٣٤ ، ٢٣٨
- بولص الشماس : ١٠٢/١
- بياسة : ٢١٧/١ ، ٩٠/٢ ، ١٢٢
- بيت المال : ١٣٦/٢
- بيروت : ١٤/١
- البيزرة : ٩٠/٢
- بيطرة اللت : ٢٩/٢
- البيطسة : ١٩٣/١
- تاريخ مسلمي اسبانيا (كتاب) : ١٢ ، ٣/١
- ابن تاكيت المصمودي : ١٨١/١
- تاهرت : ١٤٢/١ ، ١٤٣ ، ٢٥/٢
- ٢٦
- التجار : ١٧٢/١ ، ١٦٣/٢
- التجارة : ٣٧/١ ، ١٦٦ ، ١٥٨/٢
- ابن بقي الشاعر : ١٦٠/٣
- ١٦٠/٣
- بقيرة : ٢٨/٢ ، ٢٩ ، ٢٣٢
- أبو بكر بن ابراهيم : ١٦٦/٣
- أبو بكر بن معاوية القرشي : ١/٢
- ٧٣ ، ٦٧
- بكر (حفيد زافيدو النصراني) : ١٨٢/١
- بكر بن يحيى : ١٨٢/١
- بلاط طليطلة : ٤٣/١
- بلاي (شخص) : ١٨٧/١ ، ١٩٣
- ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ -
- ٢٠٣ ، ١٤/٢ ، ١٥ ، ٢٢٩
- ابن بلبوس : ١٢١/١
- بلتيرة : ٢٦/٢
- بلج (قائد جندحمص) : ١٠/٣
- بلجيكا : ١٥/١
- بلجين بن حبوس : ١١٣/٢ ، ١١٢
- ٢٦/٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣
- ٣٦
- بلدة الفتح : ٢٣٥/١
- بلديحون أخت فلورا : ٩١/١ ، ٩٢
- بلنسية : ٣٣/١ ، ١١٢ ، ٢٢٣
- ٩٥/٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٨٢/٣
- ٨٣ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٧ - ١٢٩
- ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٥٧
- ١٥٨
- البلوط : ١٣١/١
- بمبلونة (أو بانبلونة) : ١٦/٢
- ٢٩ ، ٥١ - ٥٣ ، ٦١ ، ١٤٧
- ٢٣٣
- بميلة : ٢٧٤/١
- البنادقة : ٣٧/٢
- بنريشة : ٢٠٦/١
- بنفنتو : ١٢٢/١

- التجديف : ١٠٣ ، ١٠١ ، ٩٩/١ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٨٥ ، ١٢٦ ، ١٥٤/٣ : التجريس :
التجيبى (أبو الأحوص معد) : ١١٧
التجيبى (عبد الرحمن بن مطرف) : ١٢٧/٢
التجيبى (أبو يحيى محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز : ١٨١/١ ، ٢٧٣ ، ٧٩/٢ ، ٨٠ ، ١٢٨
تحرير التزاوج : ٣٩/١
تدمير (موضع) : ٣٣٤ ، ٢٠٥/١
تدمير الراهب : ١٠١/١
تدمير الملك : ٤٧/١ ، ٢٤٢ ، ١٢٢
تراجنواز (اقليم) : ٣٣ ، ٣٢/١
ترجيلة : ١٨١/١
التزى بزى النساء : ٢١٦/٢
التسميد : ١٥٠/٢
التسمير : ١٦٦/٢ ، ٣٣٣/١
التسميم : ١٤٧/١
تسيبولد المستشرق : ٢٤٢/٢
التشريق : ١١/٢
التشيع : ٣٣/٢
النصوف : ١٠٠/١
تطيبة : ١٦/٢ ، ٢١٨ ، ١٣٥/١ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ١٩
التعذيب بالحرق : ١٤١/٣
التعميد : ١١١/١
التفاح : ١٣١/١
تقبيل البساط : ٦٣/٢
تقبيل اليد : ٦٣/٢
- التكبير بالحديد : ٢٠٦ ، ١٤٦/١ ، ١٩٩/٢
التلمود : ٢٤ ، ٢٣ ، ٢١/٣
تمام بن أبي العطف : ٢٥٧/١
تميم صاحب مالقة : ١٤٩ ، ١٣٩/٣ ، ٢٠٧/١ : التنصير :
تنصير اليهود : ٣٨/١
التهريب : ١٣٢/١
التهويد : ٣٩/١
تولون (زوج ارجنتيا) : ٢٢١/١
تونس : ١٢٢ ، ٧٩/٢
توينبى Toynbee (المؤرخ البريطاني) : ٢٣٨/١
التيل : ١٧٨/١
التين : ٧١/٢ ، ١٦٥ ، ١٣١/١
تونس : ١٢٢ ، ٧٩/٢
تيودومير (أسقف ايريه) : ١٣٨/٢
ثابت بن محمد المرجاني : ٣٣/٣
الثغر الأدنى : ٩٦/٢
الثغر الأعلى : ٢٣٣ ، ١٣٤ ، ٨٠/١ ، ٢٤٧ ، ٢٨/٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨
نمود : ١٧٥/١
ثورة الربض : ٧٥/١
التيران : ١٧٠/١
جابر (خادم ابن عمار) : ١١٧/٣ ، ١١٨
ابن جابر (محمد بن حفص) : ١٠٣/٢
جانند الوصيف : ٢٦٦/١
جامع الزاهرة : ١٥٠/٣

- ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ١٢٣/٢ ، ١٤٢ ، ١٧٦ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ١٧/٣ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٨
- جزيرة شلطيلى : ٥٩/٣
- الجزيرة العربية : ١٤/١
- جزيرة ميورقة : ٩٥/٢
- جست (القديسة) : ٨١ ، ٨٠/٣
- جسر استجة : ١٥١/٢
- جسر سان مارتين : ٢٤٢/١
- جعد : ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤
- جعفر الحاجب : ٦٤/٢
- أبو جعفر القليعى (انظر القليعى) : ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٣ ، ١٣٠/٣
- جعفر بن عثمان المصطفى : ٨٦/٢ - ٨٨
- جعفر بن على الأندلسى : ١١٣/٢ ، ١١٧ ، ١٢١
- جعفر بن على بن حمدون : ٧٩/٢
- جعفر بن عمر بن حفصون : ٢٣١/١ ، ٢٣٢
- الجغرافية : ١٧٨/١
- الجلد : ٣٨/١ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ٢٠٤
- جليقية : ١٥/٢ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٢١ ، ٢٥٠
- الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية : ١٥/١
- الجن : ٧٧/١
- الجنة : ٨٧/١
- جند مورو : ١٧٢/١
- جنبه : ١٧٩/١
- جنوة : ٤١/٢
- الجهاد : ١١/٢

- جامعة ليدن : ١٤ ، ١٢ ، ٨ ، ٦/١
- جان التاجر : ٩٩/١
- جانيقا : ١٥٦/٣
- جائزة خولنى : ١٢/١
- جبال أطلس : ١٦٧/٣
- جبال البرانس : ٣١/١
- جبال تيريزا : ١٤٤/٣
- جبل بريجو : ١٨٢/٢ ، ١٤٧/١ ، ٢٣٣
- جبل بوبسترو : ١٤٣ ، ١٤٢/١
- جبل جرنكش : ٢٣٥/١
- جبل رندة : ١٤١ ، ١٣١/١
- جبل رية : ٢٢٥ ، ١٢٦/١
- جبل الزيتون : ١٦٧/١
- جبل سيراناد : ٢٦٦ ، ٢٢٥/١
- جبل الشارات : ١١٦/١
- جبل طارق : ٢٤٢ ، ١٣٢ ، ٤٤/١ ، ١٣١ ، ٨٥/٣
- جبل مالقة : ١٣١/١
- جبل مورور : ١٢١/١
- الجبليون : ١٣٤ ، ١٣٣ ، ٢٧/١
- جدريلا (الشريف القوطى) : ١/١ ، ١٥٢
- جرجان : ٣٣/٣
- الجرمان : ٣٧/٢ ، ٤٨ ، ٣١/١
- جرور القائد : ١٥٦/٣
- جرير الشاعر : ١٧٩/٣
- جريميه (عم ايساك الراهب) : ١٠٠/١
- الجزائر : ١٣٠/٣ ، ٣٠/٢
- جزر البليار : ٣٢/١ ، ٩١/٢ ، ٣ ، ٧
- الجزيرة : ٥١ ، ٤٨ ، ٤٠/١
- جزيرة اقريطش : ٦٨/١
- الجزيرة الخضراء : ٧٧ ، ٤٣/١

- الحامة (بلد) : ١٤٦/١
- حباسة (ابن أخى زاوى) : ٢/٢
- ١٨٤
- الحبس : ٩٦/١ ، ٩٩ ، ١٨١
- ٢٢٧ ، ١٩٤/٢
- حبس الدويرة : ٦٧/١ ، ٧٢
- حبوس (أخو حباسة) : ١٨٤/٢
- ٢٥ ، ٢٣ ، ٢١ ، ٨ ، ٧/٣
- ٢٦
- حبيب (القائد) : ٢٢٧ ، ٢٢٥/١
- حبيب (رجل من الأوشاب) :
- ١٢/٣
- حبيب الصقلي : ٣٨/٢
- حبيبة بنت سليمان الخليفة : ٢/٢
- ٢٠٣
- الحجابة : ٢١٥/٢ ، ١٢/٣ ، ٢٢
- ٧٠
- الحجاز : ٢١١/١ ، ٧١/٢
- حجر النسر : ٢٤٧/٢
- الحدادة : ٣٧/١
- الحديث (علم) : ١٤/١
- الحديد : ٢١٩/٢
- حدير : ٦٧/١
- ابن حدير الوزير : ٧٦/٢
- حديقة منية السرور : ١٥١/٢
- حران : ٩/٢
- أبو حرب (من بربر برانس)
- ١٨٣/١
- الحرس الأسود (= الحرس
السودانى) : ١٤/٣
- حرق البلد المفتوح : ١٢٢/٢
- حرق الجنة : ١٠١/١
- حرق السوق : ٧١/٢
- حرق كتاب احياء علوم الدين :
- ١٦٢ ، ١٦١/٣

- جهنم : ٨٩/١
- ابن جهور (أبو الحزم جهور بن
محمد) : ١٠٣/٢ ، ١٩٤ ، ٢١٧ ،
- ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٨/٣ ، ١٦
- ابن جهور (الوليد محمد بن جهور) :
- ٥٨/٣
- الجوارى : ٥٨/٣
- جويتر : ٤٣/٣ ، ٤٤
- ابن جودى (انظر سعيد بن سليمان) :
- ٢٦٢ ، ٢٠٢/١
- جوز : ٨٥/٢ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٨٦
- ٢٤٨ ، ١٠٨ ، ١٠٧
- جورج الراهب : ١٢٤/١
- جورج القديس : ١٢٣/١
- جوزى ماريا (قاطع الطريق) :
- ١٣٢/١ ، ١٣٣ ، ١٤٥
- جوفينال : ١١١/١ ، ٢٥٢
- جوهرة (جارية المعتمد) : ١٠١/٣
- الجياد : ١٧٠/١ ، ١٧٢ ، ١٧٣/٢
- جيان : ١٤٦/١ ، ١٨٢ ، ٢٠١
- ٢٢٠ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢٠٢
- ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٣٣٣
- ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١١٢/٣ ، ١٦٨
- جيبون (Edward Gibbon)
- المؤرخ : ٢٣٨/١
- جيحون : ١٥/٢
- جيش الحضرة : ٩٧/٢
- جيهان المغنية : ١٦٠/١ ، ١٦١
- الحاجب : ٢١١/١ ، ٣٧/٢ ، ٨١
- ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠٧
- ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٧٤ ، ١٨١
- الحاجب ذو الوزارتين : ١٠٠/٢
- الحاكة : ١٦٤/٢

حصن بيانة : ١٨٦/١
حصن الجبل المقدس : ١٥٣/١ ،
١٥٤

حصن جرماز : ١٨٢/٢
حصن جيان : ٢٢٢/١
حصن الحامة : ٩٢/٢ ، ٢٥٠
حصن رندة : ١٥٥/٣
حصن الزاهرة : ٧١/٣
حصن سرية : ١٢٥/٣
حصن سمورة : ١٧/٢
حصن شقورة : ١١٨/٣
حصن شمنقة : ١٧/٢
حصن شنت بلاية : ١٤١/٢

حصن شنت شاعر : ١٥٣/١ ، ١٥٤
(راجع حصن الجبل المقدس)
حصن شنت شتتين دي جرمان : ١
١٨٣ ، ١٧/٢ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٦٥
١٢٩ ، ١٨٢

حصن شنت فيلة : ١٧٤/١
حصن شنت منكس : ١١٦/٢
حصن سوذر : ١٨٢/١
حصن طرش : ٧٢/٢
حصن طريف : ١٥٣/٣
حصن ابن عمرو : ١٨٣/١
حصن عمرو : ٧٩/١ ، ٨١
حصن قاشتر مورش : ٢٤/٢
حصن قنورية : ١٢٥/٣
قزديرة : ٢٧٦/١

حصن القصر : ١٠٥/٢
حصن قلقرة : ٢٧/٢
حصن قلونية : ١٢٩/٢
حصن كازلونا : ١٨٣/١
حصن كاستيولون (Castillon) :
١٤٣/١

حرق الكتب : ٢٣٧/١ ، ١٤/٢
حرق المدن والقرى : ٤٧/١ ، ٨٠ ،
٢٠٤

الحرق بالنار : ١٣ ، ١٢/٢
الحريم : ٣٨ ، ٣٧/٢ ، ٨٥/١ ،
٧٥ ، ٨٥ ، ١٣٥ ، ١٩٣ ، ٢١٥ ،
٢٢٢ ، ٢٦٧

ابن حزم المؤرخ : ١٥/٣

ابن حزم الوزير أبو المغيرة : ١٥٢/٢ ،
١٥٣ ، ١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ،
٢١٧

حسام الدين بن رزين : ١٢٨/٣
حسداى بن شبروط : ٤٥/٢ ، ٥٢ -
٥٥ ، ٢٣٩

الحسن بن كنون الادريسي : ٧٧/٢
الحسن بن يحيى : ١٦٣/٢

حشو المسلوخ بالتبن : ٤٢/٢
الحصاى (صاحب أحد الحصون) :
٧١/٣

حصن أجوبلار : ١٨٦/١
حصن الأخوين : ١١/٣ ، ١٢ ، ١٧ ،
حصن أزنات : ١٤١/١

حصن استروجا : ٣٣٠/١

حصن أشبر جيزة : ٢٧٦/١

حصن أقرظ : ٢٠٦/١ ، ٢٧٠

حصن أوث : ١٤١/١

حصن بزة : ١٦١/١

حصن بلاى : ١٨٦/١

حصن بليج : ١١٣/٣

حصن بوبشترى : ١٤٥/١ - ١٤٧

٨٣ ، ٨٢/٣

- الحكم بن سعيد (الحائك الوزير) :
 • ٢٢١ - ٢١٨/٢
- الحكم الحراني : ٩٨ ، ٩٧/١ ،
 • حلف الجوار : ١٧٣/١ ،
 • حمامات الكهف : ٢٤٢/١ ،
 • حملدون الساحرة : ٣٣/٢ ،
 • ابن حمديس الشاعر : ١٧٨/٣ ،
 بن حمدين (الفقيه قاضي الجماعة
 • بقرطبة : ١٦٠/٣ - ١٦٢ ،
 الحمراء : ١٥٣/١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
 • حمص : ٥١/١ ، ١٠/٣ ،
 • حملة كركبولية : ٢٢٢/١ ،
 • حنش الصنعاني : ١٥٢/١ ، ٢٦٢ ،
 • الحنطة : ٧٨/١ ،
 • حوثة بن عباس : ٣٣/٢ ،
 • ابن حوشب : ١٠/٢ ،
 • ابن حوقل : ١٢/٢ ، ١٤ ، ٥٦ ،
 • ١١٢
- الحياكة : ٢١٩/٢ ،
 • ابن حيان المؤرخ : ١٥/٣ ،
 • الحيرة : ١٠/٣ ،
 • خاتم الخليفة : ١٦٣/٢ ،
 • الخازن التجيبي : ٢١١/١ ،
 • خالد بن خلدون (أبو كريب) :
 • ٢٠٤/١ ، ٢٠٦ ،
 • الخبز : ١٨٧/١ ، ٣٣/٢ ،
 • الختان : ٣٨/١ ، ٨٦ ،
 • ابن الخدا : ٥٩/١ ، ٦٠ ،
 • الخراج : ٤٨/١ ، ١٢٢/٢ ،
 • الخرص : ٦٧/١ ، ٢٤٨ ،
 • الخرمية : ٧/٢ ، ٢٢٧ ،
 • خزانة الرهوس : ٦٤/٣ ،
 • ابن خزرون البربري : ٦٢/٣ ،
 • الخصيان : ١٠٧/١ ، ١٠٨ ، ١١٢ ،
- حصن كركبولية : ١٨٢/١ ،
 • حصن كركر : ١٣٦/١ ،
 • حصن كرونيا : ١٨٢/٢ ،
 • حصن الليط : ١٢٩/٣ ، ١٣٧ -
 • ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٣٩ ،
 • حصن ليكون : ١٨٢/٢ ،
 • حصن مالفة : ٤٤ ، ٤١/٣ ، ٧٣ ،
 • حصن المدور : ١٢٦/٣ ، ١٥٣ ،
 • حصن مرجريت : ١٨٣/١ ،
 • حصن منتسة : ١٦١/١ ،
 • حصن المنتلون : ١٨٣/١ ، ٢٢٣ ،
 • ٢٦٦
- حصن مورور : ٢٣٥/١ ،
 • حصن مولة : ٩٧/٢ ،
 • حصن مونت أقوط : ١١٥/٣ ،
 • حصن مونت ميور : ١٧٨/٣ ،
 • حصن نبريشة : ١٧٠/١ ،
 • الحصري (راجع خلف الحصري) :
 • الحضارمة : ١٦٩/١ ،
 • حضرموت : ١٦٦/١ ،
 • حفص بن عمر بن حفصون : /١ ،
 • ١٤١
- حفص بن المدور : ١٥٩/١ ،
 • أبو حفص الهوزني (انظر الهوزني)
 • ٨٤/٣ ،
 • حفصون بن عمر البلوطي : ٦٨/١ ،
 • ٢٤٩ ، ٢٣١ ، ١٥١ ،
 • الحكم الأول : ٥٧/١ ، ٦٠ - ٦٢ ،
 • ٦٥ - ٧١ ، ١٤١ ،
 • الحكم الثاني بن عبد الرحمن الناصر :
 • ٤٥/٢ ، ٦٧ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦١ ،
 • ٧٤ ، ٧٧ - ٨١ ، ٨٥ ،
 • ٨٧ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١٥٠ ،
 • ١٦٥/٣ ، ١٥١

- ٢٤٣/٢ : دار الناعورة ، ٣٨/٢ ، ٢٠٧ ، ١٢٦ ، ١١٩ ، ٦٤ ، ١٩٣ ، ٢٤٩
- الدائرة (الحرس السلطاني) :
 • ٢١٤/٢ ، ٢١٥ ، ٢٧٥
 • دانية : ٧/٣ ، ١٥٦
 • ابن دراج القسطلي : ٢٦١/٢
 • الدرقة : ١٥٤/٢
 • الدرى (الفتى الصغير) : ٩١/٢
 • أبو دريد : ١٥٠/٢
 • دس السم فى الطعام : ٢٢٤/١
 • ٢٦١/٢
 • دق الطبول : ٤١/٢
 • دقلديانوس : ٢٩/١ ، ٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤
 • الدقيق : ١٠٣/٢
 • دمشق : ٥١/١ ، ٦٦/٢
 • دوجان : ١٩/١
 • دورو : ٨٢/٣
 • دوزى : ٤/١ - ١٧ ، ٢١ ، ٢٢
 • دولة الأغالبة : ١٢/٢
 • دولكيدس (الأسقف) : ٢٨/٢
 • دون باسكوال دى جاينانجوس : ١/١
 • ١١
 • دوناش بن ليبرث : ٢٤١/٢
 • ديدم : ٣١/١
 • دير بطرس : ٣١/٢
 • دى سلين de Slane : ١٤/١ ، ١٩
 • دير أملين : ١٤٥/٢
 • دير بامبلونا : ٨٦/١
 • دير بناسلاريا : ١٢٣/١
 • دير بيرسلوانا : ١٢٦/٢
 • دير تابانوس : ١٠٠/١ ، ١٠١ ، ١٢٢
 • دير سان سلفادور دى ليون : ٢/٢
 • ٦٦
 • دير ساماجون : ٣٠/٢ ، ١٢٦
 • دير سبيران ديو : ٩٠/١
- ابن الخطيب الوزير : ١٨١/٣
 • ابن الخلائف : ٣/٢
 • خلدرا (Galder) : ٦/١
 • خلع العبادة (احتراماً) : ٦٣/٢
 • خلع البرنس احتراماً : ٦٣/٢
 • ابن خلف : ١٧٨/٣
 • خلف بن بكير : ٢٣٤/١
 • خلف الحصرى : ١٥/٣ ، ١٦ ، ٦٩
 • خلف الصراف : ٢٠٩/١
 • الخلفاء العباسيون : ٧٦/١
 • خليج فيجو : ١٤١/٢
 • خليج مالقة : ٤١/٣
 • الخليفة الاموى : ١١٣/٢
 • خليفة بغداد : ١٨٦/١ ، ٢٠١
 • الخليفة الفاطمى : ١١٢/٢ ، ١١٣ ، ١٢٣
 • الخليفة المهدي العباسى : ٧/٢
 • الخليفة الناصر لدين الله (راجع
 • عبد الرحمن : ٢٢٦/١
 • خليل بن المهلب : ١٨١/١
 • الخمار : ٨٩/١
 • الخمر : ١٠١/١
 • الخنق : ٨٨/٢ ، ١٠٤ ، ٢١٥
 • الخوارج : ٤١ ، ١٥/٢
 • دى خويه (Goeje) : ١١/١ ، ١٥
 • دى خيدس (Gides) : ١٨٢/١ ، ١٨٩
 • خير بن شاكر : ١٨٢/١ ، ١٨٩
 • خيران الصقلبي : ١٧٧/٢ ، ١٨١ ، ١٩٠ - ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٧/٣
 • الخيش : ٣٣/٢
 • دار المعارف : ٣/١
 • دار الملك : ٢١٥/٢
 • دار الملك : ٢١٧/٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٢

الراضى بن المعتمد (حاكم الجزيرة

الخضراء) : ١٣٨ ، ١٣١/٣ ، ١٧٠ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٤٨ ، ١٧٠

راميرو الثالث : (ابن شانجة ملك

ليون) : ١١٧ ، ١١٦ ، ٦٦/٢ ، ٢٤١

راميرو الثاني : ٣٠/٢ ، ٢٧٧/١ -

٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٩٢ ، ٥٤

رايت المستشرق Wright :

١٩/١

الراين (نهر) : ٢٣٧/١

الربض : ٧٢ ، ٧١ ، ٦٦ ، ٥٧/١ ، ٧٥

الربض الجنوبي : ٦٨ ، ٦٧/١

الرجم : ١٤١/٣ ، ١٣/٢

رحبة مراكش : ٨٥/٣

رخص الأسعار : ٥٦/٢

الردة : ٥٢/١

رزقينا (القاضي السكسونى) : ٢/٢

٥٧

رزق الله حاكم طنجة : ٤٥/٣

الرسالة الى فيليبس : ٩/١

رسم الصليب على الصدر : ٦٢/٢

الرسول (صلى الله عليه وسلم)

٤٣/٣

ابن رشد : ١٦٣/٣

الرشوة : ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٠٧/١

٩٧/٢ ، ١٨٥ ، ١٩٢

الرشيد بن المعتمد : ١١١/٣

١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٠

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٥

ابن رشيق : ١١٧ ، ١١٤ ، ١١٣/٣

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤

دير سنت داميان : ١٤٤/٢

دير سنت كوزمو : ١٤٠/٢

دير شرطانييس : ٣١/٢

دير شنوش : ١٦٦/٢

دير كاردين : ٢٣٨/٢

ديفر يريميرى Defremery : ١/١

١٩

ديسم بن اسحق (أمير تدمر) :

١٨٣/١ ، ١٨٩ ، ٢٧٤ ، ٢٥/٢

٢٣٢

الدين الاسلامى : ٨٧/١

ديوان الجند : ١٣٥ ، ٧٩/٢

١٦٣

ديوان الزندقة : ٨ ، ٧/٢

الذباب : ٧١/٢

ذخيرة ابن بسام : ٨/١

ذر رماد المصلوب : ١٠١/١

ابن ذكوان القاضي (أبو العباس

أحمد عبد الله) : ١٦٢/٢ ،

١٧٤ ، ٢٥٥

الذهب : ٢٩/٣ ، ٢٢٧/٢ ، ٧٨/١

٣٠

ذلل بن يعيش : ٢٦ ، ١٨/٢

ذو الوزارتين : ١٠٠ ، ٧٩/٢

الذئاب : ٨٩/١

رأس سان فنسيانت : ٢٦٦/٢

رأس ظريف : ١٢٦/٣

- ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ٢٣٣
- ١٦/٢
- ريتشارد الأول (دوق نورمانديا) :
- ٦٦/٢
- رئيس المشيخة : ٢٢١/٢
- أبو ريش : ٣٥/٣
- ريكارد ملك القوط : ٣٥/١
- ريكافريد (رئيس أساقفة قرطبة)
- ١٠٧/١ ، ١٠٨ ، ١١٢
- الريفيون الأحرار : ٢٩/١
- ريموند كونت برشلونة : ١٧٥/٢
- ١٩٤
- ريموند بيرانجز الباني : ١١١/٣
- ١١٣
- رينان (الفيلسوف) : ١٠/١ ، ١٨
- رينهت دوزي : ٦ ، ٣/١
- الريوشي : ٢٦٥/١
- ريولة (موضع) : ٢٢٧/١
- ريوننتو : ٥٨/٣
- الزاهرة : ١٢٦ ، ١١١/٢ ، ١٢٨
- ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٤
- ٢٠٧
- زاوي الصنهاجي : ١٧٢/٢ ، ١٧٣
- ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٧/٣
- الزبدي : (أبو بكر بن الحسن) :
- ١٠٩/٢ ، ١١٠ ، ٢٥٥ ، ١١/٣
- ١٢
- الزواج : ٧٨/١
- الزرادشتيون : ٩/٢
- الزراعة : ٣٧/١ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٢/٢
- ١٥٠
- زرياب المغني : ٧٦ - ٧٩
- زناتة : ١٦٥/٢

- الرصاص : ٢١٩/٢
- الرصافة : ١١٩/١ ، ٧٦/٢ ، ١٠١
- الرعاع : ١٦١/٢ ، ٢٢٠
- الرعي : ٣٧/١
- الرف : ٣٦/١
- الرقيق : ٢٣٧ ، ٣٨ ، ٣٠ ، ٢٧/١
- رقيق الأرض : ٢٧/١
- ركسفتن الملك : ٣٦/١
- ركوب الحمير بالقلوب : ٩٨/١
- الرمادي (أبو عمرو يوسف بن هرون) : ١٠٨/٢ ، ٢٥٤
- الرمان : ١٣١/١
- رميك بن حجاج : ٩٢/٣
- الرميكية (هي اعتماد) : ٩٣/٣
- ٩٤ ، ١٠١ ، ١١٧ ، ١٥٠ ، ١٥٥
- ١٧٥
- رندة : ١٤١/١ ، ٧/٣ ، ٦٠ - ٦٢
- ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤
- ١٧٨ ، ١٥٦ ، ١٣١
- الرهان : ٣١/١
- الرهبان : ٢٧/١ ، ٨٨
- روجر الترمندي : ٩٩/٣
- روسيا : ١٤/١ ، ١٥
- الروم : ١٧٥/١
- الروم (= ويقصد بها المسيحيون عامة) : ١٤٩/٣ ، ١٦٤
- الرومان : ٣٢/١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧
- ٤٣ ، ٦٩ ، ١٦٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦
- ٢٦٥
- رومة : ١٥/١ ، ٣١ - ٣٤ ، ٤٦
- ١٣٨/٢ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ١٥٢
- ١٣٩
- مرية : ١٣٦/١ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٧

- سجن ايرش : ٤٤/٣
- سجن الحمراء : ٢٩/٣
- سجن الزهراء : ١٠٨ ، ١٠١/٢
- سجن المنكب : ٣٥/٣
- السحر : ١٧/٢
- سراج الدولة بن علي (أمير دانية) :
- ١١٨/٣
- سردينية : ٣٣ ، ٧/٣
- سرقسطة : ١٢٣ ، ٣٦ ، ٣٢/١
- ٢١٨ ، ١٨١ ، ١٣٥ ، ١٣٤
- ٣٩ ، ٣٤ - ٣٢/٢ ، ٢٦٢
- ٢٣٥ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ٨٠ ، ٦٥
- ١١٧ ، ٧٩ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٧/٣
- ١٣٢ ، ١٢٩ ، ١٢٧ ، ١١٨
- ١٦٥ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٣٧
- ١٦٦
- السروج : ١١٢/٢
- السروجية : ١٦٤/٢
- سروجية قرطبة : ٧٩/٢
- السرير : ٢١٥/٢
- السطيفي (عامل مالقة) : ٤٢/٣
- ابن السريع : ١٤٩/٢
- سعدون : ١٣٦ ، ١٣٥/١
- سعدون النخعي : ١١٦ - ١١٣/١
- سعدون الرمادي السرنباكي : ١/١
- ٢٥٩
- سعيد بن الحكم الجعفرى : ٢٤٤/٢
- سعيد بن سلمان بن جودي : ١/١
- ١٦٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٠ - ١٦٢
- ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٩
- سعيد بن صالح بن سعيد بن ادريس
- ابن منصور : ٢٣٢ ، ٢٥/٢
- سعيد بن المنذر (الحاجب) : ١/١
- ٢٣٥
- سعيد بن المنذر (خطيب الجامع) :
- ١٨٥/٢

- زلاقة (انظر وقعة زلاقة)
- الزمرد : ١٤٨/٣
- الزنجبيل : ٩٣/٣
- الزندقة : ٢٢٨ ، ١٤٩ ، ١٣/٢
- الزنوج : ٤٤/٣ ، ٦٥/١
- الزهد : ١٠٠ ، ٨٦/١
- الزهراء : ١٨٣ ، ١٧٦ ، ١٠٢/٢
- ٧٠/٣ ، ٢٤٢
- زهير الصقلي : ١٥/٣ ، ١٩٧/٢
- ١١١ ، ٣٣ ، ٢٩ - ٢٤ ، ١٨
- زياد بن أفلح : ١٠٨ ، ٨٦/٢
- زياد بن عبد الرحمن اللخمي : ١/١
- ٢٤٥
- الزيتون : ٢١٦ ، ١٦٥/١
- ابن زيدون (الشاعر أبو بكر) :
- ١٢٦ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٥/٣
- ١٤٠ ، ١٣١ ، ١٣٠
- زيرو بن عطية : ١٣٨ - ١٣٥/٢
- ١٥٧ ، ١٤٢
- سارة (حفيدة غيطشة) : ١٦٦/١
- سارة مارية (والدة رينهرت دوزى)
- ٦/١
- ساليئاس (مكان) : ٢٣٣/٢
- سامراء : ١٠/٢
- السب : ٦٥/١
- سبتة : ٧٧ ، ٦٢ ، ٣٠/٢ ، ٤٣/١
- ٧٨ ، ١١٢ ، ١٤٢ ، ١٩١
- ١٩٥ ، ٤٥ ، ٤١/٣ ، ٦٩
- سبتمانبا : ٢٢٩/٢
- السبي : ٢٥ ، ٢٣/٢
- ستوكس (مترجم الكتاب الى الانجليزية) : ١٣/١
- سجلماسة : ١٣٠/٣ ، ١٢٢/٢
- السجن : ١٠٨ ، ١٠٧/١

- سليمان بن هود : ١٩٦/٢
- السم : ٤٢/٣ ، ١٠٤/٢
- السم بالفاكية : ٦٦/٢
- السماط : ٧٨/١
- السمح : ٤٧/١
- سمل العيون : ٣١/٢
- سمورة : ١١٦ ، ٥٥ ، ١٧ ، ١٦/٢ ، ١٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٠
- سمير سرحان : ٢٣/١
- السمييسير (الشاعر) : ١٤١/٣
- سنت أوجستين : ٥٠ ، ٣٣/١ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨
- سنت اندروز : ١٦/٢
- سنت زويل : ٢٥٤/١
- سنت فنسانت : ١٢٢ ، ٥١/١
- سنترا : ١٥٦/٣
- السنغال : ١٣٠/٣
- سنيكا الفيلسوف : ١١١ ، ٢٩/١
- سهل سقندة : ١٩٣/١
- السهلة (من أملاك بني رزين) : ١٥٧/٣
- سوار بن حملون الليثي : ١٥٤/١ - ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٦٢
- سوار بن طارق : ٢٤٦/١
- السودان (قبيل) : ١٩٧/٢ ، ٣٤ ، ٢٨/٣ ، ١٩٨
- سودان بن تاشفين : ١٣٤/٣
- سوسة : ٥٤/٢
- سوق فردان للرقيق : ٣٨/٢
- السوييف Suéves شعب جرمانى) : ٣٢ - ٣٤ ، ٣٠/١
- السيفون : ٦٢/١
- سينجوفيا : ١٦/٢
- سعيد المهدي : ١١/٢
- سعيد بن المهلب : ١٨١/١
- سعيد بن هذيل : ٢٢٣ ، ١٨٢/١ ، ٢٧٤
- سعيد بن هرون : ٦٠/٣
- ابن السقا : ١٠٢/٣
- سقوط البربري (حاكم سبته) : ٦٩ ، ٤٥/٣
- السكر : ٩٣/٣
- سكر الخصى : ٩١/٢
- ابن سلام (والي شرطة ابن عمار) : ١٢٠/٣
- السلخ : ٤٢/٢
- السلطانة صبح : ٨٠ ، ٧٥ ، ٧٤/٢ ، ٩٩ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩١ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٣٤ - ١٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠
- السلطانة طروب : ١١٣ ، ٩٧/١ ، ١١٤
- سلفين المرسيلى : ٣٥ ، ٣٤/١
- سلمة بن هرام : ٢٧٤/١
- ابن السليم القاضي : ٨٩ ، ٧٤/٢
- ابن السليم (اسحق بن ابراهيم ابن محمد) : ١٨١/١
- سليمان (الخليفة) : ٦٠/٣
- سليمان (صاحب شذونة) : ٢٠٥
- سليمان بن عبد الرحمن : ١٧١/٢ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
- سليمان بن عمر بن حفصون : ٢٣٢ ، ٢٣١
- سليمان المستعين بالله : ١٧١/٢ ، ١٧٣ - ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣

- السيد القنبياطور : ٩٠/١ ، ٣/١٥٧
- سيديون الأبولي : ٣٤/١
- سير : ١٥٦ ، ١٥٤ ، ١٥٣/٣ ، ١٥٧
- سيرانا : ٢٣٣ ، ٢٣١/١
- سيرا نيفادا : ٢٢٣/١
- سيرين بن أبي بكر : ١٥٣/٣
- سيسيبوت الملك (Sisebut) : ٣٨/١
- سيسينان : ١٠١/١
- سييف الدولة (آخر ملوك سرقسطة) : ١٦٩/٣
- شارل أسقف قرطبة : ١٠٨/١ ، ١١٢
- شارل الأصغر الملك : ١٢٣/١ ، ١٢٤ ، ١٣٤
- شارلمان : ٢٣٣ ، ١٣٨ ، ٢٧/٢
- ابن الشالون : ١٢١/١
- ابن شاليب اليهودي : ١٢٦/٣
- ابن الشالية (اسحق بن ابراهيم بن منتسة) : ٢٢٣ ، ١٨٣/١
- الشام : ١٨١ ، ١٠/٣ ، ٦٦/٢
- شانجة (أخو الفونس السادس) : ١٠٦/٣
- شانجة بن غرسية (ملك نفارة) : ٢٣٢/٢
- شانجة قومس قشتالة : ١٧٣/٢ ، ١٨٢
- شانجة الكبير (ملك نفارة المعروف بالسمين) : ٣٠ ، ٢٧ ، ١٩/٢ ، ٥٢ - ٥٥ ، ٦١ ، ٦٥
- شانجول (وهو المعروف بشانجة
- الصغير) : ١٦٦ - ١٦١/٢ ، ١٧٥ ، ١٧٠
- ابن الشبانسي : ١٤٩/٢
- ابن شبرقة : ١٧٢/١
- شبه جزيرة آيريا : ٢١/١ ، ١٢/٢
- شدونة : ١٦٧ ، ١٥٤ ، ٤٦/١ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٩٩/٢ ، ٧١/٣ ، ١٢٦
- الشراحيب (قصر) : ٩٥/٣
- شربند بن حجاج القومس (انظر أيضا سرفاندو) : ١٨٥/١ ، ١٨٦
- شرطانيس : ٢٢٩/٢
- الشرطة : ٩٨/٢
- شريس : ١٩٩/٢ ، ٢٧٠/١ ، ١٦٧ ، ٦٤ ، ٦٢/٣
- الشريعة : ١٦١/٣
- الشريف الادريسي : ١١/١
- الشاطار : ١٢٣ ، ٨٨ ، ٦٨/١ ، ١٤٢ ، ١٣٢
- الشاطرنج : ١٠٧ ، ١٠٦ ، ٢٥/٣ ، ٧٨/١
- الشعير : ٧٨/١
- شقندة : ١٨٥ ، ١٨٤/٢
- شقورة : ١١٨/٣
- شامب : ٦٠ ، ٥٩/٣ ، ١٨٢/١ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٥
- شاطيس : ١٠٣/٣
- شادنقة : ٤٢ ، ٣٩ ، ٣٠ ، ١٦/٢ ، ٤٤ ، ٩١ ، ٩٩
- ابن شماس : ٦٠ ، ٥٩/١
- النسماس سمسون : ١٨٥/١
- شمال أفريقية : ٤٠/١
- شمنت شتبن دي جرمان : ٢٢٣/١ ، ١٢٨ ، ٤٥ ، ٢٤/٢

صالح بن سعيد : ٢٦/٢
 صبح (الساطانة) : ٧٥ ، ٧٤/٢ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٣٧ - ١٣٤ ، ١٠٠ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨
 الصحابة : ٢٢٨/٢
 صحراء البرية : ٣٧/١
 صخرة انسهد : ٢٥٨/١
 صخرة النسور : ٢٤٨ ، ١٢٣/٢
 الصرع : ٦٨/٣ ، ٧٩/٢ ، ١١٢/١
 الصماليك : ١٥١/٢
 صغار الملاك : ٣٠/١
 الصفح : ١٠٠/١
 الصفالية : ٨٥ ، ٣٨ ، ٣٧/٢ ، ٩١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ - ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦ ، ٧/٣ ، ١٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٤٧
 الصقالبة العامريون : ١٧٠/٢
 صقلية : ٢٦٤ ، ٤٦ ، ٤٢/٢ ، ٢٤/٣
 الصلاة : ٩٦/١
 الصلب : ١٤٦ ، ٨٨ ، ٦٨ ، ٦٧/١ ، ١٤٧ ، ٢٠٥ ، ١٦٦ ، ١٠٨/٢ ، ٣٣١ ، ١٠٠/٣
 صلدانية : ١٦/٢
 الصليب : ١٠١ ، ٨٩/١
 ابن صمادح (محمد بن محمد) : ١٤٣/٣
 صمويل النصراني (هو عمر ابن حفصون) : ٢٠٨/١
 صمويل اليهودي : ٢٦ - ٢١/٣

شنت طرش : ١٦٨/١
 شنت مانكس : ١٤١/٢
 شنت مرية : ٢٦٦ ، ١٨٢/١ ، ٦٠/٣
 شنت ياقب دي كومستل : ١٣٨/٢ ، ١٤٠ ، ٣٦١
 شنترين : ٣٣/٢
 شند : ١٧٥ ، ١٧٠ ، ١٦٦/١
 السنق : ١٩٧ ، ٤٧/١
 شنيل : ٢٠٩/١
 الشهادة : ٨٩/١
 الشهادتان : ٤٩/١
 الشهد : ١٣٦/٢
 ابن شهيد (أبو عامر) : ٢١٣/٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
 شوذر (البلد) : ١٨٩/١
 شى لحم العدو : ١٢/٢
 الشيخ الاسلامي (عبد الرحمن) : ٢٣٤/١
 الشيخ محمد عبده (الامام) : ١٠/١
 شينسرون (الفيلسوف) : ٣٧/١
 الشيطان : ٢٥٣ ، ٨٧/١
 الشيعة : ١٠ - ٨/٢
 شيمين (أرملة القمبياطور) : ١٥٧/٣
 صاحب البرد والطرز : ٨٥/٢
 صاحب البياذرة : ٨٥/٢
 صاحب الشرطة : ٢١١/١ ، ١٠٨/٢
 صاحب الصوائف : ٢٤٩/١
 صاحب المطالم : ١٥٤/٢
 صاعد البغدادي : ١٥١ - ١٤٩/٢ ، ١٧٠ ، ٢٦٤

- ١٤٥ ، ٧٦/٢ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٤١ ، ٣٠ ، ٢٩
 • ٧٥
 • ٢١٤/٢ ، ١٧٢/١ : الصناع
 • ١٥٨/٢ : الصناعة
 • ١٠٦/٣ : الصندوق
 • ١٠/٢ : صنعا
 • ٢٢/٣ ، ١٧٣ ، ١٧٢/٢ : صنهاجة
 • ٧٥ ، ٢٧
 • ٩/٢ : الصوفية
 • ١٣٧/٢ : الصولجان
 • ١٠٠ ، ٩٦ ، ٩٠/١ : الصوم
 • ٣٧/١ : الصيد
 • ١٠١ ، ٦٧/١ : ضرب الرقصاب
 • ٨٦ ، ٤٠ ، ٢٨/٢ ، ١٧٣
 • ١٤٧ ، ١٣٨ ، ١٢٨ ، ١٢٣
 • ١٩٢ ، ١٤٨
 • ٩١/١ : الضرب بالقارع
 • ٥١ ، ٤٦ - ٤٤/١ : طلاق بن زياد
 • ٧٣ ، ٧٢/٢ ، ٢٤٦
 • ١٨٣/٢ : الطاعون
 • ٢٠٦/١ : طالب بن مردود المهدي
 • ٢٧٠
 • ٢٤٨ ، ٧٢ - ٧٠/١ : طالوت
 • ٢٥٠
 • ابن طاهر (أبو عبد الرحمن القيسي)
 • ١١٥ ، ١١٤ ، ١١١/٣
 • ٨/٢ : طب العيون
 • ١٢١/٣ : الطبرزين
 • ٥٩/١ : الطراز
 • ٢١١/١ : الطروز
 • ٢١٨/١ : طرزون
 • ٢٧٥ ، ٢٣١ ، ٢٢٦/١ : طرش
 • ١١٣ ، ٩٧/١ : طروب السلطنة
 • ١١٤
 • ١٦/٣ : طروشة
 • ٤٤ ، ٤٣/١ : طريف بن ابي زرع
 • ١٠/٣ : طشانة
 • ٤٤ ، ٢٣ ، ١٦/٢ : طليبرة
 • ٤٧/١ : الطلعة البلجية الشامية
 • ٤٠/٢ : طليارة
 • ١٦٧/١ : طلياطة
 • ٦٢/٢ ، ٤٦ ، ٥١ : طليطلة
 • ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٥
 • ٢٣٥ ، ١٦٧ ، ١٢٣ - ١٢٠
 • ٢٧٧ ، ٢٧٤ ، ٢٥٨ ، ٢٤٨
 • ١٠٠ ، ٤٧ ، ٣١ ، ١٧ ، ١٦/٢
 • ١٧٤ ، ١٦٥ ، ١٦٣ ، ١٢٦
 • ٨٣ ، ٨/٣ ، ١٨١ ، ١٧٧
 • ١٣٢ ، ١٢٨ - ١٢٥ ، ١٢١
 • ١٦٥
 • ٨٠ ، ٧٩ ، ٦٢/١ : الطليطليون
 • ١٢٠
 • ١٧٤ ، ١٦٨/١ : الطمشكة
 • ٧٧ ، ٧٤ ، ٦٢/٢ : ابن طملس
 • ٧٧ ، ٢٤٢/٢ ، ٢٧٤/١ : طنجة
 • ١٧٠ ، ٤١/٣ ، ١٩١ ، ١٤٢
 • ١٧٤
 • الطسواف بالرؤوس المقطوعة :
 • ١٤٨/٢
 • ٤٤ ، ٣٩ ، ٣٤ ، ٣٢/٢ : طوطة
 • ٢٣٨ ، ٢٢٥ ، ٥٢
 • ٥٧ ، ١٢/٣ : ابن طيفور
 • ٢٠٥/٢ : الظاهرية

- عائل أهل الأندلس (يحيى بن يحيى
 المالكي) : ٥٨/١ ،
 الصامة : ٨٨/١ ، ٨٠/٢ ، ٨٩ ،
 ٩١ ، ١١٠ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ،
 ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ،
 ٢٠٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ،
 عامر بن أبي جوشن : ٢٧٦/١ ،
 عامر بن حريز بن هائل : ٢٦٧/١ ،
 ٢٦٧/١ ،
 أبو عامر السلمى : ٢٧١/١ ،
 أبو عامر بن شهيد : ٢١٥/١ ،
 أبو عامر (فتوح الغافقى) : ٢/٢ ،
 ١٩١ ،
 أبو عامر بن محمد بن الوليد محمد :
 ٧٣/٢ ،
 عامل الشرطة : ١٥٤/٢ ،
 عامل شرطة المدينة : ١١٤/١ ،
 العاهرات : ١٨٨/١ ،
 ابن عباد : ١٠٧/٣ ، ١٠٨ ، ١٨٠ ،
 ١٨٠ ،
 عباد القاسم : ١٢/٣ ،
 عباد بن محمد بن اسماعيل (انظر
 المعتضد)
 عباد بن المعتضد : ١٠٤/٣ ، ١٠٥ ،
 ابن عباس (وزير زهير) : ٢٤/٣ ،
 ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ،
 ابن عباس التوزير : ١٠٢/٢ ،
 عباس بن الأحنف : ٢٠٦/٢ ،
 عباس بن فرناس : ٢٥٨/١ ،
 العباس بن المتوكل : ١٥٧/٣ ،
 العباسيون : ٥٨/١ ، ٦٨ ، ١٨٧ ،
 ١٣/٢ ، ٣٠ ،
 عبد الجبار الفقيه : ١٩٤/٢ ،
 ابن عبد الجبار (محمد بن هشام
 المهدي بالله) : ١٦٤/٢ ، ١٦٦ ،

- ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
 ١٧٦ - ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٣ ،
 ٢٦٨ ،
 عبد الجبار بن المعتضد : ١٧٨/٣ ،
 ١٧٩ ،
 عبد الجليل بن وهبون : ٩٩/٣ ،
 ابن عبد الحكم : ٢٤١/١ ،
 عبد الحميد بن بسيل : ٢٣٤/١ ،
 ٢٣٥/٢ ،
 ابن عبد ربه : ١٩٦/١ ، ٢١٢ ،
 ٢٥٨ ،
 عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج :
 ٢٠٧/١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٤ ،
 عبد الرحمن بن الحكم : ٦١/١ ،
 ٦٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ - ٨١ ،
 ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
 ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٤ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٧٤/٢ ،
 عبد الرحمن بن الشيخ الاسلامي :
 ٢٣٤/١ ،
 عبد الرحمن الداخيل : ٥١/١ ، ٥٧ ،
 ١٨٧ ،
 عبد الرحمن بن سعيد : ٢٥/٢ ،
 عبد الرحمن بن عبد الله الناصر :
 ١٠٨/٢ ،
 عبد الرحمن بن فطيس : ١٥٤/٢ ،
 عبد الرحمن بن عمر بن حفصون
 ٢٣١/١ ،
 عبد الرحمن (محمد بن جهور) :
 ١٠٣/٣ ،
 عبد الرحمن المرتضى : ١٩٦/٢ ،
 ١٩٧ ، ٢١٧ ،
 عبد الرحمن بن مروان بن يونس :
 ٢٥٩/١ ،

- عبد الرحمن بن المستظهر : ٢٠٣/٢ - ٢٠٥
 عبد الرحمن بن مطرف التيجيبي : ١٢٨ ، ١١٧/٢
 عبد الرحمن الناصر : ٢١٨ ، ١٦٥/١ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ١٤/٢ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ - ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ - ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٥ - ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١١٥ ، ١١٢ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٧/٣ ، ١٦٥
- عبد الرحمن بن هشام (أخو المهدي) : ٢٠٠ ، ١٩٩/٢
 عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار : ٢١٩ ، ٢١٥ - ٢١٣/٢
 عبد الرحمن بن وضاح : ٢٧٦/١
 ابن عبد الرحمن الشاعر : ١٧٩/٣
 عبد العزيز (أمير بلنسية) : ١٦/٣ ، ٢٩٠ ، ٣٣ ، ١١٥ ، ١١٦
 عبد العزيز (حفيد المنصور بن أبي عامر) : ٧/٣
 عبد العزيز بن العيار : ٢٦١/١
 عبد العزيز بن موسى : ٤٨/١ ، ٢٤٢
 عبد العظيم رمضان : ٢٣/١
 عبد القافر (أخو جعد) : ١٧٤/١
 عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث : ٢٤٩/١
 عبد الله (أخو المتندر) : ١٤٧/١ ، ١٤٨ ، ١٥١
- عبد الله (القائد الأموي) : ١٩٤/١ ، ١٩٨
 عبد الله (حفيد باديس ملك غرناطة) : ١٤٥ ، ١٣٩ ، ١٣٢ ، ١٣٠/٣ ، ١٤٧ ، ١٧٠
 عبد الله بن الأشعث القرشي : ١٧٣/١
 عبد الله بن الأفطس : ١٢/٣ ، ١٣
 عبد الله بن أمية : ١٠٣/١ ، ١٢٠ ، ٢٥٥
 عبد الله بن البطرشك : ١١٦/٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨
 عبد الله بن بلقين : ١٤٩/٣
 عبد الله بن عبد الله البننسي : ٢٤٩ ، ٦٧/١
 عبد الله الجذامي القاضي : ٤٦/٣
 عبد الله بن الحكم : ١٦٠/١ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩٣ - ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٢
 عبد الله الرميمي : ٩٥/١
 عبد الله بن طروب (وابن عبد الرحمن الثاني) : ٩٧/١ ، ١١٢ - ١١٤
 عبد الله بن القاسم (مطران طليطلة) : ٦٤ ، ٦٢/٢
 عبد الله بن مغامس : ٢٠٠/٢
 عبد الله بن المنصور بن أبي عامر : ١٣٣ ، ١٣٠ - ١٢٦/٢
 عبد الله بن المهدي : ١٨١/٢
 عبد الله بن ميمون القداح : ٨/٢ ، ١١
 عبد الملك بن أمية : ١٩٤/١
 عبد الملك بن أبي الجود : ١٨٢/١
 عبد الملك بن حبيب : ١٤ ، ١٢/٢

- عبد الملك بن عبد العزيز (المظفر) :
 • ٨٢/٣
- عبد الملك بن محمد بن جهور : ٣/
 • ١٠٣ ، ١٠٢
- عبد الملك المعافى : ٤٤/١
- عبد الملك بن المنذر : ١٠٧/٢ ،
 • ١٠٨
- عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر :
 • ٢٥٧ ، ١٤٦ ، ١٤٢ ، ١٢٧/٢
- عبد الواحد الروطى : ٢١٠/١
- عبد الواحد المراكشى : ٩/١
- ابن أبي عبدة : ٢١٠ ، ٢٠٩/١
- عبد الوهاب ابن حزم : ٢١٣/٢
- عبدة بنت شنانجة النصراني : ٢/
 • ٢٦٦
- العبي الساعر : ٢٥٧/١
- العبيد : ٩٦ ، ٨٠ ، ٥٠ ، ٤٧/١ ،
 • ١٩٧ ، ١٦/٢
- عبيد الأراضى : ٢٩/١
- العبيد الأشتوريون : ٣٨/١
- العبيد السود : ١٧/٣
- العبيد الطلقاء : ٢٧/١
- عبيد الله الشيعى : ١١/٢ ، ٢٢٠/١ ،
 • ٢٣٢ ، ٢٥ ، ١٢
- عبيد الله بن المعتصم : ١٤٨/٣ ،
 • ١٤٩
- العتقى : ٧٩/٢ ، ٤٩/١
- عثمان المصحفى : ١٠٢ ، ٩٩/٢
- العجم : ٦٧/١
- العدنانيون : ١٥٨/١
- العدوة الأفریقیة : ٣٩ ، ٥/١
- عدوة الأندلس : ٢٤٥/١
- ابن عذارى : ٢٤١/١
- العذرى (أبو محمد) : ٢١١/١ ،
 • ٢١٢
- العراق : ٧/١ ، ٢٧١ ، ٦٧/٢ ،
 • ١٦٠/٣ ، ٢٢٧
- العرب : ٣/١ ، ٤ ، ٤٠ ، ٤٥ -
 ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٨ ،
 ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٥ - ٨٧ ، ١٣٥ ،
 ، ١٤٥ ، ١٥١ - ١٥٦ ، ١٥٨ ،
 ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،
 ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٢١٩ ،
 ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٩/٢ ، ١٠ ، ١٥ ،
 ، ١٦ ، ٣٨ ، ١١٣ ، ١١/٣ ، ١٢ ،
 ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ،
 ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٥ ،
 • ١٢٢ ، ٨٢
- عرب أشبيلية. المعدين : ١٧١/١
- عرب الأندلس : ٢١٢/١
- عرب جيان : ١٥٩ ، ١٥٥/١
- عرب رية : ١٥٩ ، ١٥٥/١
- عرب الريف : ١٦٥/١
- عرب الشام : ٥١/١
- عرب الغرب : ١٦٥/١
- عرب غرناطة : ٢٠٢/١ ، ٢٠٣
- عرب قلعة رباح : ١٥٥/١
- أبو العرب (المغنى الصقلبي) :
 • ٩٩ ، ٨٥/٣
- العرفاء (ج عريف) : ٢٤٨/١
- ابن عروس (أحمد بن حمد) : ٢/
 • ١٠٨
- العريش : ١٠/٣
- ابن العريف (أبو القاسم) : ٢١/٣ ،
 • ٢٢
- عز الدولة (عبد العزيز البكرى) :
 ٥٩/٣
- عز الدولة (ابن المعتصم) : ١٥٦/٣

- ابن عسقلانة (عمرو بن عبد الله) :
 • ١٢/٣٢
 • غسل النحل : ١٥/٢
 • العسيلي : ١٠٩/٢
 • العصيان : ١٦١/٢
 • أبو العطف (نعيم) : ١٠/٣
 • عكاشة بن محصن : ٢٧٤/١
 • أبو العلاء بن زهر الطيب : ١٧٦/٣ ، ١٧٧
 • العلاج بالكى : ١٥٢/٢
 • علقمة (قائد جيوش مندوسسة) :
 • ٢٣/٣
 • علم الرياضة : ٢٣/٣
 • علم الطبيعة : ١٦١/٣
 • علم الفلك : ٣٣ ، ٢٣/٣ ، ١٥٨/٢
 • علم الكلام : ١٦١/٣ ، ١٠٩/٢
 • علم المنطق : ٢٣/٣
 • علم النحو : ٢٣/٣
 • العلماء : ١١٠/٢
 • علوج قرطبة : ٦٥/١
 • العلويون : ٧٧/٢ ، ٥٨/١
 • علي بن حمود : ١٩١/٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٩
 • علي بن أبي طالب : ٩/٢ ، ١١ ، ٢٢٨
 • أبو علي القالي : ٦٧/٢ ، ٧٣ ، ١٥٠
 • علي بن يوسف بن تاشفين : ١٦٤/٣ ، ١٦٨
 • العم صمويل مطران البيرة : ١/١
 • ١٥٢
 • عماد الدولة بن رزين : ١٥٧/٣ ، ١٥٨
 • ابن عمار : ٨٩/٣ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢١
 • العمال : ١٧٢/١ ، ١٧٤/٢ ، ٢١٤
 • العمامة : ٢٠٠/٢
 • عمامة الشرب : ١٤٧/٣
 • عمامة الفقهاء : ١٦٢/٢
 • عمامة : ١٦٢/٢
 • عمر بن خزير : ١٦٢/٢
 • عمر بن حفصون : ١٤١/١ - ١٤٥ ، ١٤٧ - ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢ - ١٨٩ ، ١٩٥ - ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ - ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٧ - ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣١
 • عمر بن الخطاب : ٢٣٧/٢ ، ٢٣٧/٣ ، ١٦٤
 • عمر بن عبد العزيز (الخليفة) :
 • ١٦٣/٣
 • عمر بن قومص الكاتب : ٢٥٧/١
 • عمر بن مضمين البتروني : ٢٦٦/١
 • عمروس : ٦٠/١ - ٦٢
 • عمرو بن عبد الله بن عسقلانة :
 • ١٢٣/٢ ، ١٢٤ ، ١٦٣ ، ١٨٤
 • عمير اللخمي : ١٦٦/١
 • العناب : ١٨١/٣
 • العنب : ١٣١/١ ، ١٩٤/٢
 • العنبر : ٩٩/٣
 • عنبر الصقلي : ١٧٧/٢ ، ١٧٨ ، ١٨١
 • العود الرطب : ١٠٦/٣
 • العود من آلات الموسيقى : ٧٦/١
 • العود الهندي : ٥١/٣
 • عيد الأضحى : ٧٨/١
 • عيد الفطر : ٧٨/١ ، ٩٦
 • عيد القيامة : ٣٣/١ ، ٣٦
 • عيسى المسيح (عليه السلام) :

- الغزالي (الامام) : ١٦٦ ، ١٦١/٣
- غزلان الجارية المغنية : ٧٧/١
- الغلال : ١٨٣/٢
- الغناء : ٧٧ ، ٧٦/١
- الغنم : ٨٩/١
- أبو الغوث الصنعاني : ١٥٠/٢
- غيطشة القوطي : ٤٤/١ - ٤٦ ،
- ١٦٦ ، ٥١

- فاتسييس (أسقف قرطبة) : ١/١
- ١٨٥
- فارس : ٦٧ ، ١١ ، ٧/٢
- فاس : ٢٤٥ ، ٦٩ ، ٦٨/١ ، ٢/٢
- ٢٦٤ ، ١٢٢
- الفاطميون : ١١/٢ - ١٤ ، ٢٤ ،
- ٤٢ ، ٤١ ، ٣٣ ، ٣٠ ، ٢٥
- ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٦ ،
- ٢٣٥ ، ٧٧
- فاطمة الزهراء : ١٢/٢
- فالجش : ٢٩/٢
- فاليرياس الكبير : ٢٣٧/١
- فايرس : ١٢ ، ٧ ، ٦/١
- فائق : ٨٥/٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ،
- ٢٧٢ ، ٢٤٨ ، ٩١
- الفتح بن خاقان : ١٢/١
- الفتح بن المعتمد (المأمون) : ٣/٣
- ١٥٣ ، ١١٣
- فتح بن موسى بن ذى النون : ١/١
- ١٨٢
- أبو الفتوح يوسف بن زيوري : ٢/٢
- ٧٣
- أبو الفتوح (= ثابت بن محمد
- الجرجاني) : ٣٣/٢ - ٣٧ ،
- الفتوى : ٢٦٣/٢

- ١٠٩ ، ٩٨ ، ٩٥/١
- عيسى الوزير : ١١٩/٣
- عيسى بن دينار بن واقد الغافقي : ٢٤٦/١
- عيشون (قائد حامية أرشدونة) : ١٤٦/١
- غالب (أمير البحر) : ٤٦/٢ ، ٦٤ ،
- ٧٨ ، ٧٧
- غالب (حمو المنصور) : ١١١/٢
- ١١٢ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١٢٢ ،
- ٢٥٤
- غالب (صاحب الثغر الأدنى) : ٢/٢
- ٩٦ - ١٠٠
- غالب (والى سبتة) : ٦٢/٢
- غالة : ٣٠/١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٣٨ ،
- غاليسيا : ٣٢/١ ، ٤٦ ، ١٤١/٢ ،
- ١٢٥/٣
- الغاليسيون : ٣٢/١ ، ٣٣ ، ٣٨/٢
- غثون (أخو اردزون الأول) : ١٢١/١
- ٢٥٨ ، ٢٥٧
- غرب أفريقية : ٦٨/١
- غريب الشاعر : ٦٠/١
- غرسية (بن طوطة) : ٣٢/٢ ، ٥٣ ،
- ٦١ ، ٦٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٣/٣
- ١٠٦
- غرسية بن أردونيو الصغير : ٦٤/٢
- غرسية جينز : ١٢٩/٣
- غرناطة : ١٥٢/١ ، ٢٢٣ ، ٢٦١ ،
- ١٩٦/٢ ، ١٩٧ ، ٧/٣ ، ١٨ ،
- ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ -
- ٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
- ٧٣ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
- ١٦٦ ، ١٦٣ ، ١٦٢
- غزاة القدرة : ٣٩/٢

- القادر ملك طليطلة : ١٢٧ ، ١٢٥/٣ ، ١٢٧
- قادش : ١٦٨/٣
- القاسم متولى اشبيلية : ٢٠٨/١
- ابن القاسم صاحب ارزيلة : ٢٠٨/١
- قاسم الخصى : ١١٣/١
- قاسم بن العباس : ٢٥٧/١
- قاسم بن على بن حمود : ١٩٥/٢ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٩/٣ ، ١١ ، ١٧ ، ٦٩
- القاسم بن محمد بن طلمس : ٨٦/٢
- قاسم بن محمد بن اسماعيل (قاضى اشبيلية) : ٩/٣ - ١٢
- قاسم بن الوليد الكلبي : ٢٢٥/١
- القاضى (منصب) : ٢١١/١
- قاضى اشبيلية : ٧٦/٢
- قاضى الجماعة بغرناطة : ١٤٣/٣
- قاضى الجماعة بقرطبة : ١٣٠/٣
- قاضى قضاة قرطبة : ٢٢٥/١ ، ٢٧١ ، ٢٢٥/٢
- قاضى قضاة المغرب : ١١٢ ، ٧٨/٢
- قاضى لبلة : ٧٦/٢
- قاضى نصارى قرطبة : ٦٢/٢ ، ٦٤
- القاهرة : ٦٦/٢
- قبائل البتر البربرية : ١٦٦/١
- قبرة : ١٤٦/١
- قبط مصر : ٣٣/٢
- قبيلة الهان : ١٠/٣
- قبيلة ايفرن : ٩/٣
- قبيلة الحنسن : ٧٩/٣
- قبيلة قيس : ١٥٣/١
- قبيلة بنى كعب العربية : ٢٤٦/١
- قبيلة لحم اليمنة : ١٧٩ ، ١٠/٣ ، ١٨٠
- قبيلة مصمودة البربرية : ٢٤٦/١
- قبيلة معافر اليمينية : ٧٠/١
- ٧٢/٢
- قبيلة نفزة : ١٨١/١
- قبيلة نفوسة : ١٨/٢
- قبيلة بنى يفرن البربرية : ٤١/٢
- القتل ذبحا : ١٦٦/٢ ، ١٨٤
- القتل بالسهم : ٩٨/١ ، ١٦٧/٢
- قحطان : ١٥٨/١ ، ١٧٥ ، ٢٦٧/٢
- قدام السودانى : ٣٦ ، ٣٥/٣
- القدس : ٨/٢ ، ١٥/٣ ، ٢٤
- القديس اسيسكيل : ٩٧/١
- القديس اوجستين : ٣٣/١
- القديس ايزيدور قديس الفرما : ٨٣/٣ ، ٣٧/١
- القرآن الكريم : ٦/١ ، ١٤
- القرطبة : ١٣ ، ٩/٢
- القراصنة : ٣٨/٢
- القرفة : ٩٣/٣
- قرطاجنة : ٣٢/١ ، ٤٤ ، ٢٤٢ ، ٧٢/٢
- قرطبة : ٤/١ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٩ - ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ - ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ١٣/٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ - ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٧

- ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١١ ،
 • ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ،
 • ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٦١ ،
 • ١٦٣ - ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ،
 • ١٧٥ - ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ،
 • ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥ - ١٩٨ ،
 • ٢٠٨ ، ٢١٤ - ٢١٦ ، ٢٣٥ ،
 • ٨/٣ ، ٩ ، ١٤ - ١٧ ، ٢١ ،
 • ٢٥ ، ٢٩ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٧٠ ،
 • ٧٢ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٢ - ١٠٦ ،
 • ١١٣ ، ١١٨ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ،
 • ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ،
 • ١٦٨
 • القرطبيون : ٦٦/١ ، ٦٧ ، ٦٩ ،
 • ٩٧
 • قرمونة : ٤٦/١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،
 • ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ،
 • ٢٠٩ ، ٢٢٤ - ٢٢٧ ، ٧/٣ ،
 • ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٥٢ ،
 • ٥١ ، ٨٤ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 • قرية نبرة : ١٢٩/٣ ،
 • قرية يومين : ١٠/٣ ،
 • قريش : ٦٩/١ ، ١٦٦ ، ٢٥٣ ،
 • ٣٣/٢ ، ١٦٧ ،
 • القرز (الوزير الحاجب) : ٢٢٠/٢ -
 • ٢٢٢
 • القسس : ٨٨/١ ،
 • القسطنطينية : ١٠/٢ ، ١٣ ، ٤٥ ،
 • القسم بالمصحف : ١١٣/١ ،
 • قشتالة : ١٣٤/١ ، ٢٩/٢ ، ٣١ ،
 • ٤٠ ، ٤٣ - ٤٥ ، ٥٤ - ٥٦ ،
 • ٩٦ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، ٧٩/٣ ،
 • ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ،
 • قشتالة القديمة : ١٦/٢ ،
 • القشتاليون : ١٧٤/٢ ، ١٧٦ ،
 • قشبر البلجي : ١١٣/٣ ،
- قص شعر المرأة : ٩٢/١ ،
 • قصر بادين : ٧٦/٣ ،
 • قصر الحمراء : ٤٩/٣ ،
 • قصر أبي دانس : ١٣٩/٢ ،
 • قصر الزاهرة : ١٦٢/٢ ،
 • قصر الشراحيب : ٩٥/٣ ،
 • قصر مصمودة : ٧٧/٢ ،
 • قضاء أشبيلية : ١٠/٣ ،
 • القضاء : ٧٦/١ ،
 • قضاة قرطبة : ٢٦٣/٢ ،
 • قطاع الطرق : ٨٨/١ ،
 • قطالونيا : ٨٠/١ ، ٣٤/٢ ، ١٢١ ،
 • ١٢٢
 • قطع الأرجل : ١١٢/١ ،
 • قطع الأيدي : ١١٢/١ ،
 • قطع العنق والرأس : ١٢٦/١ ،
 • القطن : ١٦٥/١ ،
 • قلائد العقيان : ١٢/١ ،
 • القلب والتزييل : ١٥٠/٢ ،
 • ابن قلزم الشاعر : ٢٧٠/١ ،
 • القلعة Alcala : ١٤٥/٣ ،
 • قلعة استجة : ١٩٦/١ ،
 • قلعة أشبيلية : ٧١/٣ ،
 • قلعة ايرش : ٤٤/٣ ،
 • قلعة أيوب : ٣٢/٢ ،
 • قلعة بطليوس : ١٥٦/٣ ،
 • قلعة بلدة : ٢٣١/١ ،
 • قلعة بياسة : ١٩٧/٢ ،
 • قلعة جيان : ١٨١/١ ،
 • قلعة حجر النسر (أو صخرة حجر
 • النسر) : ٧٨/٢ ،
 • قلعة الحنش : ٢٣/٢ ، ١٣٥/١ ،
 • قلعة رباح : ٨١ ، ٨٠/١ ، ١٢٠ ،
 • ١٢٢ ، ٦٥/٢ ، ١٦٦ ، ١٨٤ ،

- ٤٧ ، ٤٩ - ٥١ ، ١١١ ، ١٦٥ ،
- ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٧ ، ١٥٨/٣ ،
- ابن القوطية : ٦٧/٢ ، ٧٣ ،
- قومس بن انتيان بن جولييان /١
- ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ،
- ٢٥٧
- قومس جلبقية : ١٢٦/٢ ،
- قومس قشتالة : ١١٦/٢ ، ١٢٩ ،
- ١٦١
- القيامة بعد الموت : ٢٠٥/٢ ،
- القيد بالسلاسل : ٩٦/١ ، ٩٩ ،
- ١٣٠/٢ ، ٢٩/٣ ،
- القيروان : ٩٦/١ ، ٤١/٢ ، ٤٤ ،
- ١٧٢ ، ٢٣٧ ،
- القيسية : ٤/١ ،
- الكانوليك : ٣٥/١ ،
- الكانوليكية : ٣٥/١ ، ٥٠ ،
- كافور (عبد صاعد البغدادى) :
- ١٥١/٢ ،
- كالديرون : ١٩/١ ،
- كامبليوس (مكان) : ١٣١/١ ،
- ١٤٣ ،
- الكاهن بول أوروزا : ٢٣٨/١ ،
- كتاب الأغاني : ٦٧/٢ ،
- كتاب انخلمان : ١٤/١ ،
- كتاب طوق الحمامة : ٣٤/٣ ،
- كتاب الكنز : ٢٢/٣ ،
- كتاب مدينة الرب : ٢٣٨/١ ،
- ٢٣٩ ،
- كتابة الرقاع : ٧٤/٢ ،
- كتامة : ١٠/٢ ، ١١ ، ١٤ ،
- الكتاميون : ١٤/٢ ،
- الكردينال أكسمناس : ٢٥٢/١ ،
- كركبولية : ٢٠٢/١ ،

- ١٦٨ ، ٦٩ ، ١٥/٣ ، ١٩٧
- قلعة طلبيرة : ١٢٢/١ ،
- قلعة قرطبة : ١٩١/٢ ،
- قلعة كازلونا : ٢٢٢/١ ،
- قلعة كونكة : ٨٣/٣ ،
- قلعة لوس باثيوس : ٩٢/٢ ،
- قلعة مونت فيق : ٢٠٦/١ ،
- قلعة مويش : ٢٨/٢ ، ٢٣٢ ،
- قلعة نوالش : ٢٠٣/١ ،
- قلعة هنرى : ١٢٣/١ ،
- قلعة يحصب : ١٨٤/١ ،
- القلفاط (أبو عبد الله محمد بن يحيى) : ٢١٢/١ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ ،
- القليعى (أبو جعفر) : ١٣٠/٣ ،
- ١٤٣ ، ١٤٥ ،
- قلقرة : ٢٩/٢ ،
- قلمرية : ١٢٥/٢ ،
- القلنسوة الخليفية : ١٣٧/٢ ،
- ١٦٦
- القمبياطور Cid : ١٣٨/٣ ،
- القمح : ٣١/١ ، ٢٨/٢ ،
- ١٦٥/٣
- قمر (المغنية) : ٢١١/١ ، ٢١٢ ،
- ٢٧٠ ، ١٦٧/٣ ،
- القنباية : ٦٧/١ ،
- قنبرة : ٨٢/٣ ،
- قنبيط : ٢٠٨/١ ، ٢١٧ ، ٢٧١ ،
- قند (صاحب طليطلة) : ٢٣٨/٢ ،
- القنطرة : ١١٤/١ ،
- قنطرة البونت : ٢٧/٣ ، ٢٨ ،
- قنطيتس : ١٧٤/٢ ،
- ابن القواصة : ٢٤١/١ ،
- قورية : ١٦/٢ ، ١٣٩ ،
- القوط : ٤/١ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ،
- ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ،

- الكوريات Curiales : ٢٨/١ ،
 • ٣٨ ، ٢٩
 كولومبرا (زوج أرجنتا ابنة عمر بن
 حفصون) : ٢٢١/١ •
 كونت برشلونة : ٢١٨/١ •
 كونت بلاذر : ٢١٨/١ •
 كونت بوريل القطلوني : ٦٥/٢ ،
 • ٢٤٤
 كونت جوننالث : ٦٦/٢ •
 كونت رزريق فولسك : ٦٥/٢ •
 كونت قبيرة : ١٨٩/١ •
 كونت قشستالة : ٣١/٢ ، ٥٥ ،
 • ٦٥
 كونت كاربون : ١٦٥/٢ ، ١٦٦ •
 كونت مونزن : ٤٣/٢ •
 كونت ميرون : ٦٥/٢ •
 كونت يوليان : ٢٤١/١ •
 كوندية : ١٠/١ ، ١٣ •
 كويهبر : ١٦/٢ •
 الكيمياء : ١٧/٢ •
 لاتيفونديا (المزارع الكبيرة) :
 • ٢٣٧ ، ٢٧/١
 لاردة : ١١٧/٣ ، ٣٢/١ •
 لافونتين (الشاعر) : ٤٤/٣ •
 لامبيجيا بنت اردو دوق اكويتانيا :
 • ٢٢٩/٢
 لاميجو : ٧٩/٣ ، ١٤١/٢ •
 لانجة (بلد) : ١٢٩/٢ •
 اللاهوت (علم) : ٦/١ •
 لب (بن موسى) : ١٣٤/١ ، ٢١٥ •
 ابن اللبانة (الشاعر) : ١٧٠/٣ ،
 • ١٧٨
 لبلة : ١٣٦/١ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ،
 • ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٦٥ •
- كركر : ٢٥٩١ •
 كريب : ١٦٦/١ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
 • ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٤ •
 • ٢١١ ، ٢٠٦
 الكريز : ١٣١/١ •
 الكساء : ١٣١/١ •
 الكعبة : ١٣٩/٢ •
 الكعك : ٩٦/١ •
 الكلاب : ٨٧/١ •
 كلابريا : ٤٥/٢ ، ٦٥ ، ٢٣٥ ،
 • ٢٤٤
 كمارش : ٤١/٣ •
 الكمتري : ١٣١/١ •
 ابن كنون (الحسن بن ادريس) :
 ٧٧/٢ - ٧٩ ، ٨٧ ، ١٢٢ -
 • ١٢٤
 كنيسة ازمنت : ١٢٤/١ •
 الكنيسة الاسبانية : ٣٤/١ •
 كنيسة أسبسيكل : ١٠٩ ، ٩٥/١ •
 كنيسة باب ألبيرة : ١٥٢/١ •
 كنيسة تيرازون : ٣٢/١ •
 كنيسة جديلا : ١٦٣/٣ •
 كنيسة سنت سيرين : ١٢٣/١ •
 كنيسة سنت مرسية : ١٨٢/١ •
 كنيسة شنت ياقب : ١٢١/٢ •
 كنيسة غاليسيا : ١٤٥/٢ •
 كنيسة القديس جاك : ٢٩/٢ •
 كنيسة القديس زويل : ٨٩/١ ،
 • ٩٠
 كنيسة كوربو : ١٨٢/١ •
 كهف كوفادينا : ١٤/٢ •
 كورة الشرف : ١٦٥/١ - ١٦٧ •
 كورة الغرب : ١٦٩/١ ، ١٧٠ ،
 • ١٨٢ ، ١٧٥
 كورة مورور : ١٦٦/١ ، ١٧١ •

- ١٤٤ ، ١٣٩ - ١٣٧
- اللوز : ٩٣/٣
- لوزيتانيا : ٣٢/١
- لوكان : ١١١١/١
- لونا (Luna محبوبه المعتمد) :
- ١٠١/٣
- اللؤلؤ : ١٤٨/٣
- لويس النقي : ٧٩/١
- الليمون : ١٣١/١
- ليفي بروفنسال : ١١/١ ، ١٣ ،
- ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥٩
- ليوفجلا : ١٢٣/١
- لبوكرينيا : ١٢٤/١ - ١٢٦
- ليون : ٢١٨/١ ، ١٤/٢ - ١٦ ،
- ٢٩ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٥ ،
- ٦١ ، ٩٦ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
- ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ،
- ١٤٧ ، ١٦٢ ، ٢٣٩ ، ٨٠/٣ ،
- ٨٣ ، ١٦٩
- الليونيون : ١٢١/١ ، ١١٥/٢ ،
- ١١٦
- مارتلة : ١٨٢/١
- ماردة : ٤٧ ، ٤٦/١ ، ٦٠ ، ٧٩ ،
- ١٣٥ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ٢٣٤
- ١٥/٢ ، ٢٣ ، ٢٣١ ، ٦٠/٣
- ماري الراهبة : ١٠٩/١ ، ١١١
- ماريه كاروليان (زوجة دوزي) :
- ٨/١
- الماس : ١٤٨/٣
- مالقة : ٥١/١ ، ١٣١ ، ١٤١ ،
- ٢٧٤ ، ٢٥/٢ ، ٢٦ ، ٧١ ،
- ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ،
- ٢١٦ ، ٧/٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١

- ١٨٩/٢ ، ٢٠٥ ، ٥٧/٣ ، ٥٨
- لبن العنزة : ٩٨/١
- اللحم : ١٦٥/٣
- لذريق الملك : ٤٣/١ - ٤٥ ،
- ٢٤٢
- لتسبونة : ٤٥/٢ ، ١٧٤ ، ١٢/٣ ،
- ٤٣ ، ١٥٦
- اللعن : ٩٥/١
- اللعن على المناير : ٤١/٢ ، ٤٦ ،
- ١٦٤
- اللغة الاسبانية : ١٠/١ ، ١١ ، ١٣ ،
- ١٤ ، ٢١ ، ١٩٣
- اللغة الالمانية : ١٣/١ ، ٢١
- اللغة الانجليزية : ١٤/١ ، ٢١
- اللغة البرتغالية : ١٤/١
- اللغة السريانية : ٦/١
- اللغة العبرية : ٦/١ ، ١٢
- اللغة العربية : ٦/١ ، ١٠ ، ١٢ -
- ١٤ ، ١٧ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
- ٩٥ ، ١٠٠ ، ١١٣/٢ ، ١٩١
- اللغة الفارسية : ١٢/١
- اللغة الفرنسية : ١٢/١ ، ١٣ ،
- ٢١
- اللغة اللاتينية : ١١/١ ، ٨٥ ،
- ٨٦
- اللغة الهولندية : ١٣/١
- لقنت : ٤٧/١ ، ٢٣٤
- للمبارديون : ٢٤٢/١
- لميجو (انظر لاميجو)
- لندن : ١٦/١
- لوثينا : ١٦٣/٣
- لوجو (بلد) : ٣٣/١
- لوجو (بلد) : ٣٣/١
- ١٨٣ ، ٢٧٤ ، ١٢٢/٢ ، ١٢٩/٣ ،

- مجمع طليطلة السابع عشر :
 • ٢٣٩/١
- مجمع طليطلة الثامن عشر : /١
 • ٢٤٣
- المجمع الكنسى الثامن : ٢٣٩/١
 • مجمع نيقية : ٢٦٩/١
 • المجوس : ٢٥٨/١
 • تسبب البصرة : ٢٢٧/٢
 محمد (صلى الله عليه وسلم) :
 ، ٩٩ ، ٩٥ ، ٨٦ ، ٦٩ ، ٤٩/١
 ، ١٠٩ ، ١٠٧ ، ١٠٢ ، ١٠١
 ، ٢٥٢ ، ١٠٢/٢ ، ١٢٣ ، ١٥٩ ،
 • ١٩١ ١٦٢
- محمد بن ادريس : ٤٤/٣ ، ٤٥ ،
 • ٥٧
- محمد من اسحق التميمي :
 • ٢٤٦/٢
- محمد بن اسحق بن السليم :
 • ٢٤٦/٢
- محمد بن اسماعيل (الكاتب) :
 • ١٠٤/٢
- محمد بن اسماعيل (قاضي أشبيلية) :
 • ٤٩/٣
- بن أضحى : ١٥٧/١ ، ٢٠٣ ،
 • ٢٠٤
- محمد بن أفلح : ٢٦١/١ ، ٧٤/٢ ،
 • ٧٥
- محمد (الامام الثانى عشر) :
 • ١٠/٢
- محمد بن بريم : ١١/٣ ، ١٢ ،
 محمد بن البشير (القاضى) :
 • ٧٢/٢
- محمد بن تاجيت : ٢٣١/٢
- ٢٥ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ -
 ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ٧٢ - ٧٤ ،
 • ١٤٩ ، ١٤٥
- مالك بن أنس : ٥٨/١ ، ٧٠ ،
 • ١٦١/٣ ، ٤١/٢ ، ٢٤٥
 • ١٥٥/٣ : مالك بن المعتمد
- مالك بن وهب الاشبيلي : ١٦١/٣
 للمون (صاحب طليطلة) : ٦٨/١ ،
 • ٨٣/٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،
 • ٢٤٣/١ : ماسون أسقف ماردة
- المانوية : ٨/٢ ، ٩ ،
 متاليا (زوجة أوريليوس) :
 • ٢٥٨/١
- المتبررون : ٤/١ ، ٣١ ، ٣٢ ،
 • ٣٦ - ٣٤
- المتوكل (صاحب بطليوس ١٢٧/٣ ،
 • ١٧٠ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٣٠
- المجاعة : ٣١/١ ، ٨١ ، ١٩٧ ،
 • ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ١٥/٢ ، ١٦ ،
 • ١١٣/٣ ، ٢٢٩
- مجاهد أمير دانية : ٢١٦/٢ ، ٢١٧ ،
 • ٣٣ ، ١٦/٣
- مجاهد (آخر أمراء جزر البليار) :
 • ٧/٣
- مجريط : ٩٧/٢ ،
 مجلة دى خيلد : ١٣/١ ،
 • ٢٩/١ : مجلس الأعيان
- مجلس المشورة : ١٥٢/٢ ، ١٩٤ ،
 • ١٦/٣ ، ٢١٧
- مجمع طليطلة : ٣٦/١ ، ٣٩ ،
 • ٢٣٩/١ : مجمع طليطلة الرابع
 • ٢٣٩/١ : مجمع طليطلة الثامن
 مجمع طليطلة السادس عشر :
 • ٢٤٣/١

- محمد بن غالب : ١٦٨/١ - ١٧١
- محمد بن القاسم بن حمود : ٤٥/٣
- محمد بن قاسم بن طملس : ٣٤٧/٢
- محمد بن القاسم القرشي : ٢٤٧/٢
- محمد بن لب : ١٤٤/١ ، ٢١٧ ، ٢٧/٢
- محمد بن مرتين : ١٠٣/٣ ، ١٠٤
- محمد بن مسلمة : ١٠٤/٢
- محمد بن المعتضد : ٦٠/٣
- محمد بن المنذر : ١٦٩/١ - ١٧١
- محمد المهدي الخليفة : ٢٠٧/٢
- محمد بن موسى : ١١٢/١ ، ١١٥
- محمد بن نوح : ٦٠/٣ ، ٦١
- محمد بن هاشم التجيبي : ٣٢/٢ ، ٣٤ ، ٣٣٥ ، ٢٣٧
- محمد بن الوليد بن غانم : ١٤٤/١
- محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي بالله) : ١٦٣/٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩
- محمد بن يعلى الزناتي : ١٦٥/٢
- مدير أملاك ولي العهد : ٧٦/٢
- مدير : ٣١/٢
- مدينة بازو : ١١/٣
- مدينة الرب : ٣٤/١
- مدينة الزهراء : ٥٧/٢ ، ٦٢
- مدينة سالم : ١٨١/١ ، ٢١/٢ ، ٤٤ ، ١٧٣ ، ١٧٥
- مدينة بني السليم : ٢٠٦/١
- مدينة اللج : ١٤٧/٣
- مدينة لوسينا : Lucina
- ١٦٢/٣
- المدينة المنورة : ٥٨/١ ، ٢٤٥

- محمد الحجاري : ١٧٧/٣
- محمد بن حجاج : ٢٢٤/١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
- محمد بن حفص بن جابر : ١٠٢/٢
- محمد بن خزر : ٣٠/٢
- محمد بن ديسم : ٨٠/١
- محمد بن زيري : ٩/٣
- محمد بن السليم : ٧٢/٢
- محمد بن سعيد بن هرون (المعتصم) : ٥٩/٣
- محمد شرحبيل المغافري : ٢٤٦/٢
- محمد الطليطلي : ١٧٤/٢ ، ٢٢٤/١
- محمد بن أبي عامر : ٧٤/٢ - ٧٦ ، ٧٨ ، ٢٥٠
- محمد بن عبد الرحمن التجيبي : ٢٣٤/٢
- محمد بن عبد الرحمن بن الحكم : ٩٧/١ - ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٩
- ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٥٢
- محمد بن عبد الرحمن (المستكفي) : ٢١٩ ، ٢١٦ ، ٢١٥/٢
- محمد بن عبد الله (أمير قرمونة) : ١٧ ، ١٦ ، ١٢/٣
- محمد بن عبد الله الأفضس : ١٢/٣
- محمد عبد الله عنان : ٢٢٨/٢
- محمد بن العراقي : ١٩٩/٢ ، ٢٠٠ ، ٢٧٥
- محمد بن عمر بن أنجلين : ١٦٩/١ ، ١٧١ ، ١٧٢

- ابن مستنة : ١٨٤/١ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
- ٢١٧ ، ٢٣٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧
- مسجد قرطبة الجامع : ١٢٠/١
- ابن مسرة : ١٣/٢ ، ١٤ ، ١٥٨ ، ٢٢٨ ، ١٦٢/٣
- المسلمون : ٤/١ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠/٢ ، ١٩
- المسيح (عليه السلام) : ٣٦/١ ، ٣٨ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ٢٥٣
- المسيح المنتظر : ١٠/٢ ، ١٦٢/٣
- المسيحية : ١٠٠/١ ، ١٠٣
- المسيحيون : ٣٤/١ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٣ ، ١٢٠
- المشقيات (مجلة تصدر في هولندا) : ١٢/١
- المشقة : (انظر المقصلة)
- المشيخة : ٢٢١/٢ ، ٢٢٣
- المصادرة : ٣٨/١ ، ٤٩ ، ١٠١/٢ ، ١٥٢ ، ١٨٥ ، ٢١٩ ، ١٠/٣ ، ١٦٥
- مصالة : ٢٥/٢ ، ٢٦
- المصحفي (جعفر بن عثمان بن نصر : أبو الحسن) : ٧٤/٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٥
- ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢
- مصر : ٢١١/١ ، ٧٦/٢ ، ١٠/٣ ، ١٥٠ ، ١٨١
- مضيق جبل طارق : ٧٧/١ ، ٧٧/٢ ، ١٤٢
- المطران أجيل : ٢٦٩/١

- ٣٠/٢
- مدينة وبر : ٢٠٦/١
- المذهب السني : ١٩٧/٢
- المذهب الشيعي : ١٩٧/٢
- المذهب المالكي : ٥٨/١ ، ٥٩ ، ٢٦٣/٢ ، ٢٤٥
- المرابطون : ٣/١ ، ٥ ، ٩ ، ١٣ ، ٨٤/٣ ، ١٣٢ - ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩
- مراكش : ١٧٤/٣ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، المرند : ٩١/١
- المرتزقة : ٢٤/٢ ، ٧٦ - ٧٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٢
- المرتضى الخليفة : ٢٠٥/٢
- مرتولة : ٥٧/٣
- مرسى الحزر : ٥٤/٢
- مرج الفضة : ٩٢/٣
- مرسية : ٧٩/١ ، ١٨٢ ، ٢٥/٢ ، ٢٦ ، ١٢٢ ، ٨٢/٣ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٣٧ - ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٥٦
- ابن مروان الجليقي : ١٣٥/١ - ١٣٧ ، ١٥١ ، ٢٣٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧٧
- المريسة : ٤٦/٢ ، ٥٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ٢١٧ ، ١٥/٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٧٥
- المزامير : ٤٣/٣
- المستعربون : ١٦٢/٣ ، ١٦٣
- المستعين (من بنى هود) : ١٥٧/٣

- معد : ٤/١ ، ٧٩ ، ١٥٤
- معد بن اسماعيل : ٢٤١/٢
- معركة وادي بولون : ٢١٧/١
- المعز لدين الله الفاطمي : ٤٦/٢ ، ٧٦ ، ٢٢٧
- مسكر المدور : ٢٥٩/١
- معن بن صمادح (أبو الأحوص) : ٢٩/٣
- المعهد الاسباني : ١٥/١
- المعهد الملكي الهولندي : ٧/١
- ١١١ - ١١٧ ، ١١٩ - ١٢١ ، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية بالقاهرة : ٢٣/١
- المغاربة : ٣٠/٢ ، ٣١ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٦
- المغرب : ٣/١ ، ٧٧ ، ٢٤/٢
- ٧٦ - ٧٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٩٩ ، ٢٣٥
- المغيرة بن الناصر : ٨٦/٢ - ٨٩ ، ١٤٩
- مفتي قرطبة : ١٤٩/٢
- أبو المفرج الخصى : ١١٣/١
- مقبرة اغمات : ١٧٩/٣
- المقنندر (ملك سر قسطة) : ٨٣/٣ ، ١١٧
- مقدم بن معافي : ٢٠٤/١
- مقدمة ابن خلدون : ١٤/١
- المقصلة (انظر المشنقة) : ٩٧/١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٣٠/٢
- مكة : ٣٠ ، ٢٥/٢ ، ١١٣ ، ٥٨/١
- ٧٣ ، ٢٧١ ، ١٤/٣ ، ٥٢

- مغران سر قسطة : ٣٦/١
- مطران طليطلة ، ٦٢/٢
- المطرف بن موسى بن ذى النون : ٢٣٣/٢ ، ١٨٢/١
- المطرف بن هشام : ١٨١ ، ١٨٠/١ ، ١٨١
- مطمخ الأنفس : ١٢/١
- المظفر (محمد بن القاضي ابي القاسم) : ١٣ ، ١٢/٣
- المظفر (محمد بن عبد الله بن محمد سلمان أمير بطليوس) : ٥٨/٣ ، ٥٩ ، ٧٩
- المظفر بن أبي عامر : ١٥٧/٢ ، ١٦١ - ١٦٣
- مهاذ بن أبي قررة : ١٦٣ ، ٦٢/٣
- المعتد بالله بن المعتد : ١٥٦/٣
- المعتزلة : ٢٨٨ ، ١٥٩/٢
- المعتصم (= محمد بن سعيد بن هرون) : ١٣٩ ، ١٣٢/٣ ، ١٤٤ ، ١٤٣
- المعتضد (= عباد بن محمد بن اسماعيل) : ٥٣ - ٤٩/٣ ، ٥٣ ، ٥٨ - ٥٨ ، ٦٤ - ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٧٦
- المعتد (= محمد بن عباد) : ٧٣ ، ٦٠/٣ ، ٦ ، ٥ ، ٣/١ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ - ٩٥ ، ٩٩ - ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ - ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٦٨ - ١٧٠ ، ١٧٤ - ١٨١ ، معجم لين : ١٤/١

- المنذر بن محمد بن عبد الرحمن :
 • ١٢٢/١ ، ١٣٦ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٧٠
 المنذر بن يحيى التجيبي : ١٩٥/٢ ،
 • ٣٤ ، ٣٣ ، ٧/٣ ، ١٩٦
 منزل هاني : ٦٦/٢
 المنصور (بن أبي عامر) : ٤/١ ،
 • ٩٢ ، ٨٦ - ٨١ ، ٨٠/٢ ، ٥ ،
 ٩٥ - ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،
 ١٠٧ - ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٦ ،
 ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٣ - ١٤٢ ،
 ١٤٥ - ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٨١ ،
 ١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ ،
 • ٢٦٤ ، ٧/٣ ، ١٦٥
 المنصور اليهودي : ٧٧/١ ، ٧٨ ،
 المنصورية بافريقية : ٧٦/٢ ،
 المنفتل الشاعر : ٢٣/٣ ،
 ابن مهاجر الطليطلي : ٨١/١ ،
 المهدي بالله (ابن عبد الجبار) :
 • ١٧٥ ، ١٦٩/٢
 المهدي (المزعوم) : ١٨/٢ ، ٢٣ ،
 المهدي المنتظر : ١٠/٢ - ١٢ ،
 • ١٧
 المهديّة : ٤١/٢ ، ٤٢ ، ١٧٨/٣ ،
 المهرجان : ٧٨/١ ،
 الموالي الأمويون : ٧٢/١ ، ١٤٦ ،
 • ١٩٢ ، ١٢٢ ، ٧٦/٢ ،
 الموت بالسّم : ٢١٦/٢ ،
 المؤتمن : ١١٧/٣ ، ١١٨ ، ١٦٦ ،
 الموحدون : ١٦٧/٣ ،
 مورة : ٧/٣ ، ٢٠٦/١ ،
 مورور : ٢٧٠/١ ، ٦٠/٣ - ٦٢ ،
 • ٦٤ ، ٦٨
 موسى بن جعفر الصادق : ١٠/٢ ،
 مكتبة بريل : ١٣/١ ، ٢١ ، ٢٢ ،
 مكتبة بودليان : ١٩/١ ،
 مكتبة جامعة لندن : ٩/١ ، ١٢ ،
 مكتبة الحكم الناني : ١٨٣/٢ ،
 المكتبة الجغرافية : ١١/١ ،
 مكتبة جوته : ٩/١ ،
 مكناسة : ١٦٣/٣ ، ٣٠/٢ ،
 • ١٧٤
 ابن الكوي (الفقيه أحمد بن
 هشام الاشبيلي) : ١٤٩/٢ ،
 • ٢٦٣
 الملابس العربية : ٧/١ ،
 الملاحه : ١٦٦/١ ،
 الملاحى : ١٨١/١ ،
 الملائكة : ٨٧/١ ،
 ملسون (أسقف ماردة) : ٣٦/١ ،
 الملك ريكارد : ٤٩/١ ،
 ملك الصقالبة : ٢٣٦/١ ،
 الملك فاميا : ٤٠/١ ،
 ملك نفارة : ٢١٨/١ ،
 ملوك الطوائف : ٣/١ ، ٥ ، ٧ ،
 ملىزند : ١١٠/١ ،
 الممالك الخرص : ٦٥/١ ،
 ممر رونسفال : ٢٣٣/٢ ،
 منتسة : ٢٢١ ، ١٨١/١ ،
 المنتلون : ٢٢٣/١ ، ٢٧٤ ،
 منت شلوط : ١٣٦/١ ،
 مندجو : ١٧/٢ ،
 مندوسة البربرى : ١٥/٢ ،
 المنذر (= حاكم سرقسطة) :
 • ١٩٤/٢
 المنذر بن حريز بن هابل : ٢٦٧/١ ،
 • ٢٧٤

- النحل : ٧١/٢
- النحو : ٦٧/٢ ، ٦/١
- نخاس الحمير : ٣٣/٢
- النرمنديون : ١٢٣/١ ، ١٢٤ ،
- ٢٥٨ ، ٢٥/٢ ، ٨٢/٣ ، ٨٣
- نزع القبعة (احتراماً) : ٦٣/٢
- نزهة المشتاف : ١١/١
- النساطرة : ١٥٩/٢
- النسك : ٢٢٨/٢
- النصرارى (انظر أيضاً المسيحيون) :
- ٥/١ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
- ٥١ ، ٥٣ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٠١ ،
- ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٠/٢ ، ١٤ ،
- ٢٩
- النصرارى الاسبان : ١١/٣
- النصرارى التوابون : ٥٢/١
- نصرارى الشمال : ٢٢٧/١ ، ٢٤/٢ ،
- ٣٠ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٧٩ ، ٩١ ،
- ١٣٣ ، ٢٦٦
- نصرارى قرطبة : ٨١/١ ، ٨٥ ،
- ٨٦ ، ١٢٢ ، ١٨٥
- نصرارى الليط : ١٤٤/٣
- نصر الحاجب : ٧٩/١ ، ٩٦ - ٩٨
- النصرانية (= المسيحية) : ٣٤/١ ،
- ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ - ٥٢
- النغيد (لقب يهودى) : ٢٤/٣
- نفارة : ١١١/١ ، ١٢٠ ، ٢٣٤ ،
- ٢٥٢ ، ١٩/٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٢ ،
- ١٤٨ ، ٢٣٣ ، ١٢٥/٣
- النفى : ٣٨/١ ، ٣٩ ، ٦٩
- النقش على السكة : ٧٣/٢
- تكور : ٢٥/٢ ، ٢٦ ، ١٤٠ ،
- النهب : ٤٧/١
- نهر ابرو : ١٦/٢ ، ٢٦
- نهر ارفيجو : ٣٢/١
- موسى بن ذى النون : ١٨١/١
- موسى بن أبى العافية : ٣٠/٢
- موسى بن قسى : ٣٤/١ ، ١٢١ ،
- ١٣٤ ، ١٣٥
- موسى بن نصير : ٤٣/١ - ٤٦ ،
- ١١/٣
- الموسوية (اليهودية) : ٣٩/١
- مول : ١٩/١
- مولة : ١١٣/٣
- الموللون : ٢٧/١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ،
- ١٣٤
- المؤمل : ١٤٧/٣ ، ١٤٩
- مونت روىي : ٢٣٣/١
- مويش (قلعة) : ١٨/٢ ، ٢٣٣ ،
- ميرندة : ١٦/٢
- ميسرة قائد العلوج : ٨٠/١
- ميسور (كاتب المنصور) : ٨٠/٢
- ميشيل المؤرخ : ٣٨/١
- ميلية : ٤٧/١
- ميلخر انتونيا : ٢٦٢/١
- منوسة : ٢٢٩/٢
- ميناء الخزر : ٥٤/٢
- نابل قائد العلوج : ١٥٣/١
- ناجرة : ٢٦/٢ ، ٢٨
- ابن نادر البواب : ٦٧/١
- الناصر بن ابى عامر : ١٦١/٢
- ناظر بيت المال : ٧٦/٢
- نبش القبور : ٢٣٣/١
- النبيذ : ١٥١/٢ ، ١٦١
- نجاء الوزير الصقلبي : ٤١/٣ ،
- ٤٢
- نجدة بن حسين : ٢٣٦/٢
- نجدة الصقلبي : ٣٩/٢

- هرات : ٣٠/٢
- الهراطقة : ٢٩/١
- هرثمة بن أيمن : ٢٤٩/١
- الهراطقة : ٤٨/١
- هرمو جيس (اسقف نوى) :
- ٢٨/٢
- هرون الرشيد : ٧/٢ ، ٧٦/١
- هشام الثاني : ١٨٥/٢ ، ١٩٠ ، ٢
- ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩٠ ، ١٨٥ ، ٢
- ١٩٤ ، ٢٥٠ ، ١١/٣ ، ١٤ -
- ١٨ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٦٩
- هشام الثالث (المعتمد) : ٢١٧/٢ ،
- ٢٢٣ ، ٢٢١ ، ٢١٨
- هشام الحاجب : ١٣٥/١ - ١٣٧
- هشام بن حمزة : ٢٤٦/١
- هشام بن سليمان بن عبد الرحمن :
- ١٧٢ ، ١٧١/٢
- هشام بن عبد الرحمن : ٥٧/١ ،
- ٢٣٢/٢ ، ٥٨
- هشام بن المستنصر بن الحكم :
- ٨٠/٢ ، ٨١ ، ٨٥ - ٨٩ ، ٩٧ ،
- ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ،
- ١١٥ ، ١٣٣ - ١٣٧ ، ١٥٧ ،
- ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٥ ،
- ١٨١ ، ١٧٧
- هشام المصحفي : ١٠١/٢
- هلال بن أبي قررة : ٦٠/٣ ، ٦١
- هلدوين الأسقف : ١٢٢/١
- الهليون : ٧٨/١
- هنج حاخام اليهود الرباني :
- ٢١/٣
- هنريخ فليشر : ٨٠/١
- هنيادة جارية زرياب : ٧٧/١
- هوراس : ١١١/١ ، ١٥٢

- نهر بكة : ٤٥/١
- نهر تاجة : ١٢٤/١ ، ٢٤٢ ، ١٦/٢ ،
- ١٩ ، ١٧
- نهر الجودوز al-Godoz :
- ٢٣٥/١
- نهر دورو : ١٧/٢ ، ١٩ ، ٦٦ ،
- ٧٩/٣
- نهر دويرة : ١٦/٢ ، ١٧ ، ٢٤ ،
- ٢٧ ، ٣٩ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
- ١٣٩
- نهر الراين : ٣٠/١ ، ٢٣٧ ،
- نهر زباط : ٢٢٩/٢
- نهر الفرات : ٢٧٠/١
- نهر الفوشكة : ٢٦٩/١
- نهر قرطبة : ٢٦٤/٢
- نهر كريون : ٤٠/٢
- نهر موندجو : ١٦/٢
- نهر منهو : ١٣٩/٢ ، ٢٦٢
- نهر وادي آره : ٢٠٦/١
- نهر الوادي الكبير : ٩٧/١ ، ١٦٩ ،
- ١٧٤ ، ٢٢٤ ، ٢٦٥ ، ٧٢/٢ ،
- ١١٠ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٥١ ،
- ٧١/٣ ، ٩٠ ، ١٧٠
- نهر الوادي اليانح : ١٧/٢ ، ٢٢٩ ،
- نورتيرج : ٩/١
- النوروز : ٧٨/١
- الهابليون : ١٨٢/١
- هادي (خادم ابن عمار) : ١١٧/٣ ،
- ١١٨
- هاشم بن عبد العزيز : ١١٩/١
- هاشم الندوي : ٢٦٤/٢
- هدم الكنائس : ٢٣٧/١
- هذيل الصقابي : ٢٨/٣

- الورع : ١٣/٢
- الوزارة : ٩٥/٢
- الوزراء : ٢٠٠/٢
- الوزير : ٢٧/٢ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٥١
- وستريمر الاسقف : ١٢٢/١
- وشقة : ٦٠/١ ، ١٣٤ ، ٢١٨ ، ٢٦١
- الوضع في قفص من حديد : ٤٢/٢
- الوطاء بسنابك الخيل : ١٦٦/٢
- وقعة ارزول : ١٦٣/٣
- وقعة استنجة : ٤١ ، ٣٦/٣
- وقعة أنتيسة : ٦٥/٢
- وقعة بانبلونة : ٢٩/٢
- وقعة بلاي : ٢٦٩/١
- وقعة جمعد : ١٥٥/١
- وقعة الحرة : ٦٧/١
- وقعة الخندق : ٣٩/٢ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٢٣٧
- وقعة راهط : ١٩٦/١
- وقعة روطه : ١١٦/٢
- وقعة زلاقة : ١٣٢/٣ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٣٨
- وقعة شمندة : ١٩٦/١
- رقعة شلمنقة : ١٩/٢ ، ٥٤ ، ٢٣٧
- وقعة عقبه البقر : ١٧٠/٢ ، ١٧٦
- وقعة قنطيش : ١٧٥/٢
- وقعة المدينة : ١٨٤/١
- وقعة وادي سليط : ١٩٥/١
- ولادة القرطبية : ٩٢/٣
- ولاية ارشدونة : ٢٢٦/١
- ولاية الجننو : ١٨١/١

- الهوزني : ١١/٣ ، ١٢
- عوستجيسسيوس الاسقف : ٥١/ ، ١٥٢
- هولنفة : ١٦ ، ١٤ ، ١٣ ، ٨/١
- الهولنديون : ١٣/١
- الهون (Huns) : ٣١/١
- هونوريوس : ٣٠/١
- هويده (بلد) : ١٨٢/١
- هيبون (مكان) : ٣٣/١
- هيچ دى بروفانس : ٤١/٢
- هيروودوس : ١٣٨/٢
- وادي أرملاط : ١٧٢/٢
- وادي اش : ١٩٧ ، ١٩٥/٢
- وادي باب شيزروا : ٢٧/٢
- وادي بكة : ٢٤٢/١
- وادي الحجارة : ١٦/٢ ، ١٧٣
- وادي الخيزران : ٢٨/٢
- وادي سليط : ١٢١/١ ، ٢٤١
- وادي بنى عبيد الله : ٢٧٤/١
- وادي منيه : ١٣٩/٢
- وادي هورش : ٢٦١/١
- وادي يانه : ١٧/٢
- وازمار البربرى : ١١٣/٢ ، ١١٤
- واضح الحاجب : ١٤٢/٢ ، ١٧٠ ، ١٧٣ - ١٧٧ ، ١٨١
- ١٨٤ ، ٢٦٣
- الوباء : ٣١/١
- الوثنية : ٤٩/١
- الوثنية الرومانية : ٨٧/١
- الوثنيون : ٣٤/١
- وخنمة : ٢٦/٢ - ٢٨ ، ٣١
- وداد (محبوبة المعتمد) : ١٠١/٣
- ابن أبى رداة (القائد الصقابي) : ١٨٣/٢ ، ١٨٤

- ولاية تدمير : ١٨٣/١
ولاية رية : ٢٧٤/١
ولاية مورور : ٢٢٥/١
ولبة : ٨٩ ، ٥٩/٣
ولى العهد : ٢٦٧ ، ١٦٢/٢
أبو الوليد (محمد بن جهور) :
١٠٢ ، ٥٧/٣
الوليد بن الحكم : ٨١/١
الوليد بن خيزران : ٦٤ - ٦٢/٢
الوندال : ٣٣ ، ٣٢ ، ٣٠/١
يابرة : ٥٨ ، ١٢/٣
الياقوت : ١٤٨/٣
يحيى بن ادريس : ٤٢ ، ٤١/٣
يحيى بن اسحق (الطيب النصراني) :
٧٣/٢
يحيى بن أناتول : ٢٠٨/١
يحيى بن صفالة : ١٦٢ ، ١٥٣/١
يحيى بن على بن حمودى بن ذى
النون : ٧٩/٢ ، ١٨٢/١ ، ١٩٥ ، ٢١٥ - ٢١٧ ، ٢٧٥ ،
١٢/٣ - ١٧
يحيى بن محمد التجيبى : ٦٥/٢
يحيى بن يحيى الليثى : ٥٨/١ -
٦٠ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٧ ،
٢٤٦
يدير (ابن عم باديس) : ٣٤/٣
يزفتو : (وقد يقال له بزنت ،
أو برنت ، أو بزنت) : ٢٤٦/١
اليعاقبة : ٢٠٥ ، ١٥٩/٢
يعرب : ١٨٠/٣
- يعقوب بن أبى خالد التويرى :
٢٧٦/١
يعيش بن محمد بن يعيش : ٨/٣
اليمن : ١٠/٢
اليمنية : ١٧٤ ، ٧٩ ، ٤/١ ،
١٧٩
اليمنيون : ١٥٤/١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
١٨٠ ، ١٧٩
اليهود : ١٣/١ ، ٢٩ ، ٣٨ - ٤٠ ،
٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٣٩ ،
٢٤٠ ، ١٠/٢ ، ٢٢/٣ ، ٢٤ -
٢٦ ، ٣٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٢٦ ،
١٦٢ - ١٦٤
اليهود فى مكة (كتاب لدوزى) :
١٣/١
يوسف (أخو أيولوج) : ٨٩/١
يوسف بن بسيل : ١١٤/١ ،
١١٥
يوسف بن تاشفين : ١٣٠/٣ -
١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٥٠ - ١٥٣ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ - ١٦٤ ،
١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٩
يوسف بن زيرى (أبو الفتوح) :
٧٧ ، ٧٦/٢
يوسف بن صمويل : ٧٦/٣
يولييان حاكم سبتة : ٤٤ ، ٤٣/١
يوم الحفرة : ٧٩ ، ٦٣ ، ٦٢/١
يوم الكركربد : ١٩٥/١
يومين : ١١٦/٣
اليونان (الشعب) : ٦٨/١
اليونان (بلاد) : ٢٣٧/١

اعمال الأستاذ الدكتور حسن حبشى

- ★ نور الدين والصلبيون (حركة الافاقة الاسلامية فى القرن الثانى عشر) • (نشرته دار الفكر العربى) •
 - ★ الحرب الصليبية الأولى (دار الفكر العربى) •
 - ★ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (الجستا) مترجم عن اللاتينية (دار الفكر العربى) •
 - ★ الشرق العربى بين شقى الرحى (دراسة تاريخية عن حملة لويس التاسع على مصر والشام) • دار الفكر العربى •
 - ★ أهل الذمة فى الاسلام (لترتون) نشر دار المعارف ودار الفكر وهيئة الكتاب •
 - ★ زنجبار (من ١٨٩٠ - ١٩١٣) • دار المعارف •
 - ★ رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر (دار المعارف) •
 - ★ مذكرات جوانفيل عن القديس لويس مع دراسة تاريخية مطولة بقلم المترجم (دار المعارف) •
 - ★ تاريخ مسلمى اسبانيا لدوزى • العصبية القبلية (دار المعارف •
 - ★ الجزائر عبر التاريخ (مع أساتذة بعض الجامعات) نشره معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة •
 - ★ فتح القسطنطينية لكلارى (مترجم عن الفرنسية القديمة) ، نشره مركز كتب الشرق الأوسط •
 - ★ حوليات دمشقية لمؤرخ شامى مجهول • نشرته مكتبة الأنجلو المصرية •
 - ★ الاحتكار فى العصر المملوكى (حوليات جامعة عين شمس) •
 - ★ انباء الهصر بانباء العصر للجوهري الصيرفى • دار الفكر العربى •
 - ★ مضمائر الحقائق لمحمد بن عمر بن شاهنشاه • نشره عالم الكتب •
- المسلمون ج٣ - ٢٨٩

- ★ زهنة النفوس والأبدان (أربع مجلدات) نشره مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .
- ★ الحروب الصليبية لوليم الصوري (أربع مجلدات) نشرته هيئة الكتاب .
- ★ مذكرات فلهااردوان عن الحرب الصليبية الرابعة . نشرها المجلس العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .
- ★ أنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني . أربع مجلدات . نشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر .
- ★ جمال الدين الشيال : كلمة تأبين في ذكراه .
- ★ المسلمون في الأندلس لدوزي (ثلاثة مجلدات) نشرته هيئة الكتاب .
- ✧ A Fifteenth Century Crusade Against Egypt (1959) (B.A.S. UN.)
- ✧ The Egyptian Expeditions Against Rhodes and Castellrosso (B.A.S. Un.)

تحت الطبع : للدكتور حسن حبشي :

- ★ الكسياد (عن الامبراطور الكسسيوس كومنين) لابنته الأميرة أنا كومنينا ، مجلدان .
- ★ فاسطين في ظل الحكم الإسلامي لابي سترانج (مجلدان) .
- ★ البقاعي (ابراهيم بن حمدن) : بينوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقربان (ست مجلدات) أعد مركز التراث بدار الكتب المصرية الجزء الأول منه .
- ★ البقاعي : المعجم الصغير (في مجلدين) .
- ★ البقاعي : اظهر النصر لأسرار أهل العصر (ذيل على انباء الغمر) في أربعة مجلدات (من المسودة بخط المؤلف) .
- ★ ابن الحنبلي : در الحب في تاريخ حلب (سبعة مجلدات والنسخة الأصلية بخط المؤلف مع مراجعتها على سبع نسخ أخرى .
- ★ ابن حجر وتلاميذه (دراسة تاريخية له ولأربعة من تلاميذه) .
- ★ أحداث صنعت التاريخ (عرض لتسعة أحداث كبرى في الشرق والغرب كان كل منها نقطة تحول في التاريخ المحلي والعالمي) .

- ★ العصر المملوكى : (دراسة اجتماعية) .
- ★ التاريخ بين المؤرخين المسلمين والصلبيين .

A Transition Period in Antioch Between 1090 & 1118 A. D.

- ★ تطور الجريمة والعقاب فى التاريخ .
- ★ الدبلوماسية البابوية .

★★★

المكتبة الاسلامية للدكتور حسن حبشى :

- ★ الرحمة المهداة (عرض جديد للسيرة النبوية العاطرة) : مجلدان .
- ★ سرايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عرض وتحليل قائمان على الوثائق والمصادر الأولية والسيرة الطاهرة .
- ★ قرون الهجرة : دراسة عرضية للعالم منذ الهجرة الشريفة .
- ★ سير الصحابة (أو قصة اسلام صحابى) فى أربعة مجلدات .
- ★ صحايبات عرفن الرسول عليه الصلاة والسلام وحدثن عنه (جزءان) .
- وكلها تذاع من اذاعات الرياض وجدة ومكة المكرمة .
- ★ الفتح المبين (تمثيلية عن تاريخ مكة المكرمة حتى انعم الله عليها بالاسلام) .

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	الفصل الأول : الصراعات المحلية وظهور هشام الثانى
١٩	الفصل الثانى : الصراع بين صمويل اليهودى وابن عباس
٣١	الفصل الثالث : مؤامرة الجرجانى ونهايته
٢٩	الفصل الرابع : اضطراب الأحوال بين الأمراء مرة أخرى
٤٧	الفصل الخامس : ارتقاء المعتضد معارج القوة
٥٥	الفصل السادس : استفحال أمر المعتضد حربيا
٦٥	الفصل السابع : انتقام ياديس
٧٧	الفصل الثامن : فرديناند ملك ليون وأمراء الطوائف
٨٧	الفصل التاسع : ابن عمار والمعتمد والرميكية
٩٧	الفصل العاشر : صور من حياة المعتمد
١٠٩	الفصل الحادى عشر : مطامع ابن عمار ونهايته
١٢٣	الفصل الثانى عشر : اذلال الفونس ملوك الطوائف
١٣٥	الفصل الثالث عشر : ابن تاشفين وأمراء الأندلس
١٥١	الفصل الرابع عشر : اليهود والنصارى زمن المرابطين
١٧١	الفصل الخامس عشر : سيرة المعتمد ونهايته
٢٠٩ - ١٨٣	الحواشى
٢٢٤ - ٢١١	الملاحق
	ملحق بالرسمين العربى واللاتينى للمسند والأعلام
٢٢٥	الواردة فى هذا الكتاب
	المصادر والمراجع المستعملة فى الأصل والترجمة
٢٣٩	للأجزاء الثلاثة
٢٤٨	كشاف عام للأجزاء الثلاثة من الترجمة العربية

رقم الايداع بدار الكتب ٩٧٣٩ / ١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 4142 — 0

هذا هو ختام ترجمة ما كتبه المستشرق الهولندي
دورى من أسبابها الإسلامية حتى دخول المرابطين
إليها، وقد تناولها المؤلف من شتى النواحي، كما
بسط ما كان هناك من خصومات عنيفة بين ملوك
الطوائف، وعدم وجود الشخصية البارزة التي
تستطيع أن تسيطر على الأمور، وتأخذ بزمامها في
يدها، فتتخذ الإسلام والمسلمين والحكام على السواء
بدلاً من هذه النهاية المأسوية التي انتهت إليها من
تفتت القوى الإسلامية، واستعانتها أخيراً بقوى
خارجية.

ولقد كان من أمانى الباحثين في تاريخ الأندلس
أن يروا ترجمة عربية أمينة لهذا الكتاب حتى تحقق
ذلك على يد مؤرخ وأستاذ قدير هو الدكتور حسن
حبش الذى لم يقف جهده عند حد النقل بل تعداه
إلى التعليق والتصحيح.

ويسعد هيئة الكتاب أن تقدم هذه الترجمة
بتعليقاتها وملاحقها وكشافها إلى القارئ العربى.

تصميم الغلاف

علياء أبوشادى